
بسم الله الرحمن الرحیم

أعلام الهداية

(١٤)

خاتم الأوصياء
الإمام المهدي (عليه السلام)

المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام) ـ قم



اسم الكتاب: أعلام الهداية (١٤) / الإمام المهدي المنتظر عليه السلام خاتم الأوصياء

المؤلف: لجنة التأليف في المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

الموضوع: كلام وتاريخ

الناشر: المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

الطبعة: الخامسة المحققة، منقحة ومزيدة

المطبعة: المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

الكمية: ٣٠٠٠

تاريخ النشر: ١٤٢٩ هـ

ردمك: ISBN: 978-964-529-357-2

ردمك الدورة: 978-964-529-358-9

www.ahl-ul-bayt.org

E-mail: info@ahl-ul-bayt.org

الفهرس الاجمالي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كلمة المجمع

الحمد لله الذي أعطى كلّ شيء خلقه ثم هدىٰ، ثم الصلاة والسلام على من اختارهم هداةً لعباده، لا سيما خاتم الأنبياء وسيّد الرسل والأصفياء أبو القاسم المصطفىٰ محمّد (صلى الله عليه وآله) وعلىٰ آله الميامين النجباء.

لقد خلق الله الإنسان وزوّده بعنصري العقل والإرادة، فبالعقل يبصر ويكتشف الحقّ ويميّزه عن الباطل، وبالإرادة يختار ما يراه صالحاً له ومحقّقاً لأغراضه وأهدافه.

وقد جعل الله العقل المميّز حجّةً له على خلقه، وأعانه بما أفاض على العقول من معين هدايته؛ فإنّه هو الذي علّم الإنسان ما لم يعلم، وأرشده إلى طريق كماله اللائق به، وعرّفه الغاية التي خلقه من أجلها، وجاء به إلى هذه الحياة الدنيا من أجل تحقيقها.

وأوضح القرآن الحكيم بنصوصه الصريحة معالم الهداية الربّانية وآفاقها ومستلزماتها وطرقها، كما بيّن لنا عللها وأسبابها من جهة، وأسفر عن ثمارها ونتائجها من جهةٍ أُخرىٰ.

قال تعالى:

﴿**قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ**﴾[1].

(١) الأنعام (٦): ٧١.

﴿وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[١].

﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ﴾[٢].

﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٣].

﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمْ مَن لاَّ يَهِدِّي إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[٤].

﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾[٥].

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ ٱللَّهِ﴾[٦].

فالله تعالى هو مصدر الهداية. وهدايته هي الهداية الحقيقية، وهو الذي يأخذ بيد الإنسان إلى الصراط المستقيم وإلى الحقّ القويم.

وهذه الحقائق يؤيدها العلم ويدركها العلماء ويخضعون لها بملء وجودهم.

ولقد أودع الله في فطرة الإنسان النزوع إلى الكمال والجمال ثمّ مَنّ عليه بإرشاده إلى الكمال اللائق به، وأسبغ عليه نعمة التعرّف على طريق الكمال، ومن هنا قال تعالىٰ : ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[٧] . وحيث لا تتحقّق العبادة الحقيقية من دون المعرفة، إذ كانت المعرفة والعبادة طريقاً منحصراً

(١) البقرة (٢): ٢١٣ .
(٢) الأحزاب (٣٣) : ٤
(٣) آل عمران (٣) : ١٠١ .
(٤) يونس (١٠) : ٣٥.
(٥) سبأ (٣٤) : ٦.
(٦) القصص (٢٨) : ٥٠.
(٧) الرعد (١٣) : ٧.

وهدفاً وغايةً موصلةً إلى قمّة الكمال.

وبعد أن زوّد الله الإنسان بطاقتي الغضب والشهوة ليحقّق له وقود الحركة نحو الكمال؛ لم يؤمَن عليه من سيطرة الغضب والشهوة والهوى الناشئ منهما، والملازملهما. فمن هنا احتاج الإنسان ـ بالإضافة إلى عقله وسائر أدوات المعرفة ـ الى ما يضمن له سلامة البصيرة والرؤية؛ كي تتمّ عليه الحجّة، وتكمل نعمة الهداية، وتتوفّر لديه كلّ الأسباب التي تجعله يختار طريق الخير والسعادة، أو طريق الشرّ والشقاء بملء إرادته.

ومن هنا اقتضت سُنّة الهداية الربّانية أن يُسند عقل الإنسان عن طريق الوحي الإلهي، ومن خلال الهداة الذين اختارهم الله لتولّي مسؤولية هداية العباد، وذلك عن طريق توفير تفاصيل المعرفة وإعطاء الإرشادات اللازمة لكلّ مرافق الحياة.

وقد حمل الأنبياء وأوصياؤهم مشعل الهداية الربّانية منذ فجر التاريخ وعلى مدىٰ العصور والقرون، ولم يترك الله عباده مهملين دون حجّةٍ هاديةٍ وعلمٍ مرشدٍ ونورٍ مُضيء، كما أفصحت نصوص الوحي ـ مؤيّدةً لدلائل العقل ـ بأنّ الأرض لا تخلو من حجّة لله على خلقه، لئلّا يكون للناس على الله حجّة، فالحجّة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق، ولو لم يبق في الأرض إلّا اثنان؛ لكان أحدهما الحجّة. وصرّح القرآن ـ بشكلٍ لا يقبل الريب ـ قائلاً: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[1].

ويتولّى أنبياء الله ورسله وأوصياؤهم الهداة المهديّون مهمّة الهداية بجميع مراتبها، والتي تتلخّص في:

---

(١) الرعد (١٣): ٧.

١ ـ تلقّي الوحي بشكلٍ كامل واستيعاب الرسالة الإلهية بصورة دقيقة. وهذه المرحلة تتطلّب الاستعداد التام لتلقّي الرسالة، ومن هنا يكون الاصطفاء الإلهي لرسله شأناً من شؤونه،كما أفصح بذلك الذكر الحكيم قائلاً: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[1] و ﴿ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُسُلِهِ مَن يَشَاءُ﴾[2].

٢ ـ إبلاغ الرسالة الإلهية الى البشرية ولمن اُرسلوا إليه، ويتوقّف الإبلاغ على الكفاءة التامّة التي تتمثّل في «الاستيعاب والإحاطة اللازمة» بتفاصيل الرسالة وأهدافها ومتطلّباتها، و «العصمة» عن الخطأ والإنحراف معاً، قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتابَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيما ٱخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ﴾[3].

٣ ـ تكوين اُمّةٍ مؤمنةٍ بالرسالة الإلهية، وإعدادها لدعم القيادة الهادية من أجل تحقيق أهدافها وتطبيق قوانينها في الحياة، وقد صرّحت آيات الذكر الحكيم بهذه المهمّة مستخدمةً عنواني التزكية والتعليم، قال تعالى: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[4] والتزكية هي التربية باتجاه الكمال اللائق بالإنسان. وتتطلّب التربية القدوة الصالحة التي تتمتّع بكلّ عناصر الكمال، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ...﴾[5].

٤ ـ صيانة الرسالة من الزيغ والتحريف والضياع في الفترة المقرّرة لها، وهذه المهمة أيضاً تتطلّب الكفاءة العلمية والنفسية. والتي تسمى العصمة.

٥ ـ العمل لتحقيق أهداف الرسالة المعنوية وتثبيت القيم الأخلاقية في

(١) الأنعام (٦): ١٢٤.
(٢) آل عمران (٣): ١٧٩.
(٣) البقرة (٢): ٢١٣.
(٤) الجمعة (٦٢): ٢.
(٥) الأحزاب (٣٣): ٢١.

نفوس الأفراد وأركان المجتمعات البشرية وذلك بتنفيذ الأُطروحة الربّانية، وتطبيق قوانين الدين الحنيف على المجتمع البشري من خلال تأسيس كيانٍ سياسيٍّ يتولّىٰ إدارة شؤون الأُمّة علىٰ أساس الرسالة الربّانية للبشرية، ويتطلّب التنفيذ قيادةً حكيمةً، وشجاعةً فائقةً، وصموداً كبيراً، ومعرفةً تامّةً بالنفوس وبطبقات المجتمع والتيارات الفكرية والسياسية والاجتماعية وقوانين الإدارة والتربية وسنن الحياة، ونلخّصها في الكفاءة العلمية لإدارة دولةٍ عالميةٍ دينية، هذا فضلاً عن العصمة التي تعبّر عن الكفاءة النفسية التي تصون القيادة الدينية من كلّ سلوكٍ منحرفٍ أو عملٍ خاطئٍ بإمكانه أن يؤثّر تأثيراً سلبيّاً على مسيرة القيادة وانقياد الأُمّة لها بحيث يتنافىٰ مع أهداف الرسالة وأغراضها .

وقد سلك الأنبياء السابقون وأوصياؤهم المصطفون طريق الهداية الدامي، واقتحموا سبيل التربية الشاقّ، وتحمّلوا في سبيل أداء المهامّ الرسالية كلّ صعب، وقدّموا في سبيل تحقيق أهداف الرسالات الإلهية كلّ ما يمكن أن يقدّمه الإنسان المتفاني من أجل مبدئه وعقيدته، ولم يتراجعوا لحظة، ولم يتلكّأوا طرفة عين.

وقد توّج الله جهودهم وجهادهم المستمرّ على مدى العصور برسالة خاتم الأنبياء محمّد بن عبدالله (صلى الله عليه وآله) وحمّله الأمانة الكبرىٰ ومسؤولية الهداية بجميع مراتبها، طالباً منه تحقيق أهدافها. وقد خطا الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) في هذا الطريق الوعر خطواتٍ مدهشة، وحقّق في أقصر فترةٍ زمنيةٍ أكبر نتاجٍ ممكنٍ في حساب الدعوات التغييرية والرسالات الثورية ، وكانت حصيلة جهاده وكدحه ليل نهار خلال عقدين من الزمن ما يلي :

١ ـ تقديم رسالةٍ كاملةٍ للبشرية تحتوي على عناصر الديمومة والبقاء .

٢ ـ تزويدها بعناصر تصونها من الزيغ والإنحراف .

٣ ـ تكوين أُمّةٍ مسلمةٍ تؤمن بالإسلام مبدأً، وبالرسول قائداً، وبالشريعة قانوناً للحياة .

٤ ـ تأسيس دولةٍ إسلاميةٍ وكيانٍ سياسيٍّ يحمل لواء الإسلام ويطبّق شريعة السماء .

٥ ـ تقديم الوجه المشرق للقيادة الربّانية الحكيمة المتمثّلة في قيادته(صلى الله عليه وآله) .

ولتحقيق أهداف الرسالة بشكلٍ كاملٍ كان من الضروري :

أ ـ أن تستمرّ القيادة الكفوءة في تطبيق الرسالة وصيانتها من أيدي العابثين الذين يتربّصون بها الدوائر .

ب ـ أن تستمرّ عملية التربية الصحيحة باستمرار الأجيال؛ على يد مربٍّ كفوءٍ علمياً ونفسياً حيث يكون قدوة حسنة في الخلق والسلوك كالرسول(صلى الله عليه وآله)، يستوعب الرسالة ويجسّدها في كلّ حركاته وسكناته .

ومن هنا كان التخطيط الإلهيّ يحتّم على الرسول (صلى الله عليه وآله) إعداد الصفوة من أهل بيته، والتصريح بأسمائهم وأدوارهم؛ لتسلّم مقاليد الحركة النبويّة العظيمة والهداية الربّانية الخالدة بأمر من الله سبحانه وصيانة للرسالة الإلهية التي كتب الله لها الخلود من تحريف الجاهلين وكيد الخائنين، وتربية الأجيال على قيم ومفاهيم الشريعة المباركة التي تولّوا تبيين معالمها وكشف أسرارها وذخائرها على مرّ العصور، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وتجلّىٰ هذا التخطيط الربّاني في ما نصّ عليه الرسول(صلى الله عليه وآله) بقوله: «**إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض**» .

وكــان أئــمّة أهــل البــيت صــلوات الله عــليهم خــير مــن عــرّفهم النبيّ الأكرم(صلى الله عليه وآله) بأمر من الله تعالى لقيادة الأُمّة من بعده.

إنّ سيرة الأئمّة الاثني عشر من أهل البيت (عليهم السلام) تمثّل المسيرة الواقعية للإسلام بعد عصر الرسول (صلى الله عليه وآله) ، ودراسة حياتهم بشكلٍ مستوعبٍ تكشف لنا عن صورة مستوعبة لحركة الإسلام الأصيل الذي أخـذ يشـقّ طـريقه إلى أعماق الأُمّة بعد أن أخذت طاقتها الحرارية تتضاءل بعد وفاة الرسول(صلى الله عليه وآله) ، فأخذ الأئمّة المعصومون (عليهم السلام) يعملون على توعية الأُمّـة وتـحريك طـاقتها باتجاه إيجاد وتصعيد الوعي الرساليّ للشريعة ولحركة الرسول(صلى الله عليه وآله) وثـورته المباركة، غير خارجين عن مسار السنن الكونية التي تتحكّم في سلوك القيادة والأُمّة جمعاء.

وتبلورت حياة الأئـمّة الراشـدين فـي اسـتمرارهـم عـلى نـهج الرسـول العظيم(صلى الله عليه وآله) وانفتاح الأُمّة عليهم والتفاعل معهم كأعلامٍ للهداية ومصابيح لإنارة الدرب للسـالكين المـؤمنين بـقيادتهم، فكـانوا هـم الأدلّاء عـلى الله وعـلى مرضاته، والمستقرّين في أمر الله، والتامّين في محبّته، والذائبين في الشـوق إليه، والسابقين إلى تسلّق قمم الكمال الإنسانيّ المنشود.

وقد حفلت حياتهم بأنواع الجهاد والصبر علىٰ طاعة الله وتـحمّل جـفاء أهل الجفاء؛ حتّىٰ ضربوا أعلى أمثلة الصـمود لتـنفيذ أحكـام الله تـعالىٰ، ثـم اختاروا الشهادة مع العزّ على الحياة مع الذّل فيها، حتى فازوا بلقاء الله سبحانه بعد كفاحٍ عظيمٍ وجهادٍ كبير.

ولا يستطيع المؤرّخون والكتّاب أن يلمّوا بجميع زوايا حياتهم العـطرة ويدّعوا دراستها بشكلٍ كامل. ومن هنا فإنّ مـحاولتنا هـذه إنّـما هـي إعـطاء قبساتٍ من حياتهم، ولقطاتٍ من سيرتهم وسلوكهم ومـواقـفهم التـي دوّنـها

المؤرّخون، واستطعنا اكتشافها من خلال مصادر الدراسة والتحقيق ، عسى الله أن ينفع بها إنّه وليّ التوفيق .

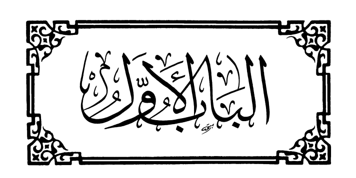
إنّ دراستنا لحركة أهل البيت (عليهم السلام) الرسالية تبدء برسول الإسلام وخاتم الأنبياء **محمّد بن عبدالله** (صلى الله عليه وآله) وتنتهي بخاتم الأوصياء، **محمّد بن الحسن العسكري المهدي المنتظر** عجّل الله تعالى فرجه وأنار الأرض بعدله.

ويختصّ هذا الكتاب بدراسة حياة هذا الإمام المنتظر محمّد بن الحسن المهدي الذي وعد الله به الأُمم أن يملأ به الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً.

وفي الختام نتقدم بالشكر الجزيل للمؤلف فضيلة الأخ عرفان محمود والسيّد منذر الحكيم في هذا الجزء الخاص بالإمام المهدي(عليه السلام) ، والأخ الفاضل السيد محمّد هاشم المدني الذي اهتمّ بتخريج وتوثيق النصوص للطبعة المحقّقة الخامسة، والأخ الفاضل حسين رفعت الصالحي لمقابلته وإكمال النواقص مع التدقيق، والأخ الفاضل جواد الطاهر الذي راجعه لغوياً، والأخ الفاضل قاسم البغدادي لصف الحروف والاخراج الفني للكتاب، وسائر العاملين الساهرين على أهداف الرسالة في المجمع العالمي لأهل البيت(عليهم السلام) سائلين المولىٰ لهم من الله تعالىٰ دوام التوفيق وحسن الأجر إنّه وليّ ذلك .

المعاونية الثقافية

للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام



فيه فصول :

الفصل الأوّل :

الإمام المهدي المنتظر (عليه السلام) في سطور

الفصل الثاني :

المهدي الموعود (عليه السلام) وغيبته في بشارات الأديان

الفصل الثالث :

المهدي الموعود (عليه السلام) وغيبته في القرآن الكريم

الفصل الرابع:

المهدي الموعود (عليه السلام) وغيبته في المتفق عليه من السنّة

الفَصلُ الأوّلُ

الإمام المهدي المنتظر(عليه السلام) في سطور

إنّ قضية الإمام المهدي المنتظر الذي بشّر به الإسلام وبشّرت به الأديان من قبل، قضية إنسانية قبل أن تكون دينية أو إسلامية ؛ فإنّها تعبير دقيق عن ضرورة تحقّق الطموح الإنساني بشكله التام.

وقد تميّز مذهب أهل البيت(عليهم السلام) بالاعتقاد بإمامة محمّد بن الحسن المهدي(عليه السلام) الذي ولد في سنة ٢٥٥ هـ[1] ، واستلم زمام الأمر وتصدى لمسؤولياته القيادية سنة ٢٦٠ هـ وهو الآن حيٌّ يرزق يقوم بمهامّه الرسالية من خلال متابعته الأحداث فهو يعاصر التطورات ويرقب الظروف التي لابدّ من تحققها كي يظهر الى العالم الإنساني بعد أن تستنفذ الحضارات الجاهلية كلّ ما لديها من قدرات وطاقات، وتتفتح البشرية بعقولها وقلوبها لتلقّي الهدي الإلهي من خلال قائد ربّاني قادر على قيادة العالم أجمع،كما يريد الله له.

وهذا الإمام هو الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت(عليهم السلام) وبشّر بهم أُمّته. وقد تحقّقت ولادته في ظروف حرجة جداً لم تكن لتسمح بالإعلان العام عن ولادته، ولكنّ أباه الإمام الحسن العسكري(عليه السلام) وعدّة من أهل بيته

(١) ستأتي الإشارة الى توثيق وتخريج هذه التواريخ من مراحل حياة الإمام المهدي(عليه السلام) في الفصول القادمة فانتظر.

وأقربائه كحكيمة ونسيم وغيرهما قد شهدوا ولادته وأعلنوا فرحهم وسرورهم بذلك، وأطلع شيعته وأتباعه على ولادته وحياته وأنه إمامهم الثاني عشر الذي بشّر به خاتم الرسل(صلى الله عليه وآله) وتبعه نشاط الإمام المهدي(عليه السلام) نفسه طيلة خمس سنوات من أجوبة المسائل والحضور في الأماكن الخاصة التي كان يؤمن فيها عليه من ملاحقة السلطة، وبعد استشهاد أبيه، أقام الأدلّة القاطعة على وجوده حتى استطاع أن يبدّد الشكوك حول ولادته ووجوده وإمامته ويمسك بزمام الأُمور ويقوم بالمهام الكبرى وهو في مرحلة الغيبة الصغرى كلّ ذلك في خفاء من عيون الحكّام وعمّالهم.

واستمرّ بالقيام بمهامّه القياديّة في مرحلة الغيبة الكبرى بعد تمهيد كافٍ لها وتعيينه لمجموعة الوظائف والمهام القيادية للعلماء بالله، الأُمناء على حلاله وحرامه ليكونوا نوّابه على طول خط الغيبة الكبرى وليقوموا بمهام المرجعية الدينية في كلّ الظروف التي ترافق هذه المرحلة حتى تتوفر له مقدّمات الظهور للإصلاح الشامل الذي وعد الله به الأُمم.

لقد بدأت غيبته الكبرىٰ سنة (٣٢٩ هـ) ولازالت هذه الغيبة مستمرة حتّى عصرنا هذا.

وقد مارس الإمام محمّد بن الحسن المهدي(عليه السلام) خلال مرحلة الغيبة الصغرى نشاطاً مكثّفاً وهو مستتر عن عامّة أتباعه لتثبيت موقعه كإمام مفترض الطاعة، وأنه الذي ينبغي للأُمة أن تنتظر خروجه وقيامه حين تتوفّر الظروف الملائمة لثورته العالمية الشاملة.

وقد واصل الإمام المهدي المنتظر(عليه السلام) ارتباطه بأتباعه من خلال نوّابه الأربعة خلال مرحلة الغيبة الصغرى، غير أنها انتهت قبل أن تكشف السلطة محل تواجد الإمام ونشاطه، وانقطعت الأُمة عن الارتباط بوكلائه عند إعلانه

انتهاء الغيبة الصغرى، وبقي يمارس مهامّه القيادية وينفع الأُمّة كما تنتفع بالشمس إذا ظللها السحاب.

وقد ترك الإمام المهدي المنتظر (عليه السلام) للأُمّة الإسلامية خلال مرحلة الغيبة الصغرى، تراثاً غنياً لا يمكن التغافل عنه.

وهو لا يزال يمارس ما يمكنه من مهامه القيادية خلال مرحلة الغيبة الكبرى. وهو ينتظر مع سائر المنتظرين اليوم الذي يسمح له الله سبحانه فيه أن يخرج ويقوم بكل استعداداته وطاقاته التي أعدّها وهيّأها الله له ليملأ الأرض عدلاً بعد أن تُملأ ظلماً وجوراً. وذلك بعد أن تتهيّأ كلّ الظروف الموضوعية اللازمة من حيث العدد والعدّة، وسائر الظروف العالمية التي ستمهّد لخروجه ظهوره كقائد ربّاني عالمي، وتفجير ثورته الإسلامية الكبرى، وتحقيق أهداف الدين الحقّ وذلك حين ظهوره على الدين كلّه ولو كره المشركون.

* * *

الفصل الثاني

المهدي الموعود وغيبته في بشارات الأديان

عراقة الإيمان بالمصلح العالمي

يعتبر الإيمان بحتمية ظهور المصلح الديني العالمي وإقامة الدولة الإلهية العادلة في كلّ الأرض من نقاط الإشتراك البارزة بين جميع الأديان، والاختلاف فيما بينها إنّما هو في تحديد هوية هذا المصلح الديني العالمي الذي يحقق جميع أهداف الأنبياء (عليهم السلام).

وقد استعرض الدكتور محمّد مهدي خان في الأبواب الستة الأُولىٰ من كتابه «مفتاح باب الأبواب» آراء الأديان الستة المعروفة بشأن ظهور النبيّ الخاتم(صلى الله عليه وآله) ثم بشأن المصلح العالمي المنتظر وبيّن أنّ كلَّ دينٍ منها بشّر بمجيء هذا المصلح الإلهي في المستقبل، أو في آخر الزمان ليصلح العالم وينهي الظلم والشرّ، ويحقق السعادة المنشودة للمجتمع البشري[1]. كما

---

(١) نقله عنه آية الله المرعشي النجفي في كتابه «ملحقات إحقاق الحقّ» ٢٩: ٦٢١ ـ ٦٢٢ ونقله عنه أيضاً آقابزرك الطهراني في كتابه «الذريعة الى تصانيف الشيعة» ٢١: ٥٢٦٧/٣١٩ قال: «(مفتاح باب الأبواب) في تاريخ البابية، مختصر كالفهرس لباب الأبواب في بيان مبدأهم وشرح عقائدهم، للميرزا مهدي خان الدكتور بن الميرزا محمّد تقي بن جعفر الأمير الملقب بزعيم الدولة، صاحب جريدة الحكمة نزيل مصر ـ القاهرة والمتوفىٰ سنة (١٣٣٣ هـ) طبع سنة (١٣٢١ هـ)، ابتدأ بذكر أنواع الديانات السبعة: (المسلمون، النصارى، اليهود، المجوس، البوذية، البرهمنية، الشفتية) واتفاقهم على المعهود، والبشارة بإتيان أنّ موعود مكمل للدين».

تحدث عن ذلك الميرزا محمّد الإسترابادي في كتابه «ذخيرة الأبواب» بشكل تفصيلي، ونقل طرفاً من نصوص وبشارات الكثير من الكتب السماوية لمختلف الأقوام بشأنه.

وهذه الحقيقة من الواضحات التي أقرَّ بها كلّ مَن درس عقيدة المصلح العالمي حتىٰ الذين أنكروا صحتها، أو شككوا فيها كبعض المستشرقين مثل جولد تسيهر المجري في كتابه «العقيدة والشريعة في الإسلام»[1]، فاعترفوا بأنها عقيدة عريقة للغاية في التاريخ الديني وجدت حتىٰ في القديم من كتب ديانات المصريين والصينيين والمغول والبوذيين والمجوس والهنود والأحباش فضلاً عن الديانات الكبرىٰ الثلاث: اليهودية والنصرانية والإسلامية[2].

البشارات بالمنقذ في الكتب المقدسة

والملاحظ في عقائد هذه الأديان بشأن المصلح العالمي أنها تستند الىٰ نصوص واضحة في كتبهم المقدسة القديمة وليس الىٰ تفسيرات عرضها علماؤهم لنصوص غامضة حمّالة لوجوه تأويلية متعددة[3].

---

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام : ٢١٨ حيث وصفها بأنها من الأساطير ذات الجذور غير الإسلامية لكنه لم ينكر اتفاق كلمة الأديان عليها وأنكرها أيضاً المستشرق رونلدسن في كتابه «عقيدة الشيعة»: ٢٣١، والمستشرق فان فلوتن في كتابه «السيادة العربية»: ١١٠ ـ ١١٦، وتابعهم بعض المتأثرين بهم من المسلمين أمثال أحمد أمين ومحمّد فريد وجدي، والسائح الليبي وغيرهم، راجع المزيد في ذلك دفاع عن الكافي للسيّد العميدي: ٢٠٦ وما بعدها.

(٢) راجع أيضاً الإمامة وقائم القيامة للدكتور مصطفىٰ غالب : ٢٧٠ ـ ٢٧٢، المهدي المنتظر في الفكر الإسلامي، ثامر العميدي: ١٢ ـ ١٣، الإمام المهدي في الكتب السابقة، محمّد رضا حكيمي: ٥٢ ـ ٥٧ .

(٣) راجع النصوص الخاصة بالمهدي الموعود من كتاب «بشارات عهدين» بالفارسية للشيخ محمّد ←

وهذه الملاحظة تكشف عراقة هذه العقيدة وكونها تمثل أصلاً مشتركاً في دعوات الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ ، حيث إن كلّ دعوة نبوية ـ وعلىٰ الأقل الدعوات الرئيسة والكبرىٰ ـ تُمثل خطوة علىٰ طريق التمهيد لظهور المصلح الديني العالمي الذي يحقق أهداف هذه الدعوات كافة[1].

كما أنّ للتبشير بحتمية ظهور هذا المصلح العالمي تأثيراً علىٰ هذه الدعوات فهو يشكل عامل دفع لأتباع الأنبياء للتحرك باتجاه تحقيق أهداف رسالتهم والسعي للمساهمة في تأهيل المجتمع البشري لتحقيق أهداف جميع الدعوات النبوية كاملة في عصر المنقذ الديني العالمي.

ولذلك كان التبشير بهذه العقيدة عنصراً أصلياً في نصوص مختلف الديانات والدعوات النبوية.

رسوخ الفكرة في الديانتين اليهودية والنصرانية

إنّ الإيمان بفكرة ظهور المصلح ثابت عند اليهود مدوّن في التوراة والمصادر الدينية المعتبرة عندهم، وقد فصل الحديث عن هذه العقيدة عند اليهود كثير من الباحثين المعاصرين خاصةً في العالم الغربي مثل جورج رذرفورد في كتابه (ملايين من الذين هم أحياء اليوم لن يموتوا أبداً)، والسناتور الأميريكي بول منزلي في كتابه (من يجرؤ علىٰ الكلام) والباحثة

← الصادقي ، وراجع أيضاً كتاب «أهل البيت في الكتاب المقدّس»، لأحمد الواسطي: ١٢١ وما بعدها وكتاب «الإمام المهدي في كتب الأُمم السابقة والمسلمين» لمحمّد رضا حكيمي: ٥٢ ـ ٥٧ ، «عقيدة المسيح الدجّال» لسعيد أيوب: ٣٧٩ ـ ٣٨٠ .

(١) لمعرفة تفصيلات هذا التمهيد يُراجع كتاب تاريخ الغيبة الكبرىٰ للسيّد محمّد الصدر، في حديثه عن التخطيط الإلهي لليوم الموعود قبل الإسلام : ٢٥١ وما بعدها.

غريس هالسل في كتابها (النبوءة والسياسة). وغيرهم كثير[١].

فكــل مَــن درس الديــانة اليــهودية التـفت الىٰ رسـوخ هـذه العـقيدة فيها.والنماذج التي ذكرناها آنفاً من هذه الدراسـات اخـتصت بـعرض هـذه العقيدة بالذات عند اليهود والآثار السياسية التي أفرزتها نتيجة لتحرك اليهود انطلاقاً من هذه العقيدة، وفي القرون الأخيرة خاصة بهدف الاستعداد لظهور المنقذ العالمي الذي يؤمنون به.

وسبب هذا التحرك هو أنّ عقيدة اليهود في هـذا المـجال تشـتمل عـلىٰ تحديد زمني لبدء مقدمات ظهور المنقذ العالمي؛ الذي يبدأ مع عام (١٩١٤) للميلاد ـ وهو عام تفجر الحرب العالمية الأُولىٰ كما هو معروف ـ، ثم عودة الشتات اليهودي الىٰ فلسطين وإقامة دولتهم التـي يـعتبرونها مـن المـراحـل التمهيدية المهمة لظهور المنقذ الموعود، ويعتقدون بأنّ العودة الىٰ فلسطين هي بداية المعركة الفاصلة التي تنهي وجـود الشـر فـي العـالم ويـبدأ حـينئذٍ (حكم الملكوت في الأرض لتصبح الأرض فردوساً)[٢].

وبغض النظر عن مناقشة صحة ماورد من تفصيلات في هذه العقيدة عند اليهود، إلّا أنّ المقدار الثابت هو أنها فكرة متأصلة في تراثهم الديني وبـقوة بالغة مكّنت اليهودية ـ من خلال تحريف تفصيلاتها ومصاديقها ـ أن تـقيم علىٰ أساسها تحركاً استراتيجياً طويل المدىٰ وطـويل النـفس، اسـتقطبت له الطـاقات اليـهودية المـتباينة الأفكـار والاتـجاهات، ونـجحت فـي تـجميع جهودها وتحريكها باتجاه تحقيق ما صـوّره قـادة اليـهودية لأتـباعهم بأنـه

---

(١) راجع أيضاً أهل البيت في الكتاب المقدس، أحمد الواسطي : ١٢١ وما بعدها، وكتاب «المهدي المـنتظر بين الدين والفكر البشري» د. محمّد طي: ٥٧ ـ ٦٢، الإمامة وقائم القيامة: ٢٧١.

(٢) صحيفة العهد اللبنانية العدد : ٦٨٥ ، مقال تحت عنوان «حركة شهود يهوه، النشأة، التنظيم، المعتقد».

مصداق التمهيد لظهور المنقذ الموعود.

وواضح أنّ الإيمان بهذه العقيدة لو لم يكن راسخاً ومستنداً الىٰ جذور عميقة في التراث الديني اليهودي لماكان قادراً علىٰ إيجاد مثل هذاالتحرك الدؤوب ومن مختلف الطاقات والأتباع، فمثل هذا لا يتأتىٰ من فكرة عارضة أو طارئة لا تستند الىٰ جذور راسخة مجمع عليها.

كما آمن النصارىٰ بأصل هذه الفكرة استناداً الىٰ مجموعةٍ من الآيات والبشارات الموجودة في الإنجيل والتوراة. ويصرح علماء الإنجيل بالإيمان بحتميةِ عودة عيسىٰ المسيح في آخر الزمان ليقود البشرية في ثورةٍ عالمية كبرىٰ يعم بعدها الأمن والسلام كلّ الأرض،كما يقول القس الألماني فندر في كتابه (ميزان الحقّ)[١] وأنه يلجأ الىٰ القوة والسيف لإقامة الدولة العالمية العادلة. وهذا هو الاعتقاد السائد لدىٰ مختلف فرق النصارىٰ.

الإيمان بالمصلح العالمي في الفكر غير الديني

الملاحظ أن الإيمان بحتميةِ ظهور المصلح العالمي ودولته العادلة التي تضع فيها الحرب أوزارها ويعم السلام والعدل في العالم لا يختص بالأديان السماوية بل يشمل المدارس الفكرية والفلسفية غير الدينية أيضاً. فنجد في التراث الفكري الإنساني الكثير من التصريحات بهذه الحتمية، فمثلاً يقول المفكر البريطاني الشهير برتراند رسل: (إنّ العالم في انتظار مصلح يُوحّد العالم تحت علم واحد وشعار واحد)[٢]. ويقول العالم الفيزياوي المعروف ألبرت اينشتاين صاحب النظرية النسبية: (إنّ اليوم الذي يسود العالمَ كله

(١) بشارت عهدين : ٢٦١ ، نقلاً عن كتاب ميزان الحقّ للقس الألماني فندر : ٢٧١.

(٢) المهدي الموعود ودفع الشبهات عنه للسيّد عبد الرضا الشهرستاني : ٦.

الصلح والصفاء ويكونُ الناس متحابين متآخين ليس ببعيد)[١].

وأدق وأصرح من هذا وذاك ما قاله المفكر الإيرلندي المشهور برناردشو، فقد بشّر بصراحةٍ بحتميةِ ظهور المصلح وبلزوم أن يكون عمره طويلاً يسبق ظهوره؛ بما يقترب من عقيدة الإمامية في طول عمر الإمام المهدي(عليه السلام)؛ ويرىٰ ذلك ضرورياً لإقامة الدولة الموعودة، قال في كتابه «الإنسان والسوبرمان» ـ حسب ما نقله عنه الدكتور عباس محمود العقاد في كتابه «برناردشو» في وصف المصلح بأنه: (إنسانٌ حيٌ ذو بنيةٍ جسدية صحيحةٍ وطاقة عقلية خارقة، إنسانٌ أعلىٰ يترقىٰ إليه هذا الإنسان الأدنىٰ بعد جهد طويل»، وأنه: «يطول عمُرهُ حتىٰ ينيف علىٰ ثلاثمائة سنة ويستطيع أن ينتفع بما استجمعه من أطوار العصور وما استجمعه من أطوار حياته الطويلة»[٢].

طول عمر المصلح في الفكر الإنساني

إنّ الأوصاف التي يذكرها المفكر الإيرلندي للمصلح العالمي من الكمال الجسمي والعقلي وطول العمر والقدرة علىٰ استجماع خبرات العصور والأطوار بما يمكنه من إنجاز مهمته الإصلاحية الكبرىٰ قريبة من الأوصاف التي يعتقد بها مذهب أهل البيت (عليهم السلام) في المهدي المنتظر (عليه السلام) وغيبته.

وقضية طول العمر في هذا المصلح العالمي التي أكد ضرورتها

(١) المهدي الموعود ودفع الشبهات عنه للسيّد عبد الرضا الشهرستاني : ٦.

(٢) برناردشو، للأُستاذ عباس محمود العقاد : ١٢٤ ـ ١٢٥ ، وعلق الأُستاذ العقاد علىٰ كلمة برناردشو بالقول : «يلوح لنا أنّ (سوبرمان شو) ليس بالمستحيل، وأنّ دعوته لا تخلو من حقيقة ثابتة»، نقلاً عن الشيخ محمّد حسن آل ياسين في كتابه المهدي المنتظر بين التصور والتصديق : ٦٥ ـ ٦٦ وكتابه أُصول الدين: ٤٢٣ ـ ٤٢٤.

بــرناردشو؛ تشـيرُ الىٰ إدراك الفكـر الإنسـاني لضـرورة أن يكـون المـصلح العالمي مستجمعاً -عند ظهوره لتجارب العصور لكي يكون قادراً علىٰ إنجاز مهمته[(١)]، وهذه الثمرة متحصلة من غيبة الإمام المهدي (عليه السلام) الطويلة حسب عقيدة الإمامية الاثـني عشـرية، ولكـن الفـرق هـو أنّ عـقيدتنا فـي الإمـام المعصوم تقول بأنه مستجمع منذ البداية لهذه الخبرة والثمار المـرجـوة مـن طول عمره، فهو (عليه السلام) مؤهّل بدءاً لأداء مهمته الإصلاحية الكـبرىٰ ومسـددٌ إلهيٌّ لها، قادرٌ عليها متىٰ ما تـهيأت الأوضـاع المـلائمة لظـهوره. وأنّ طـول الغيبة يؤدي الىٰ إكتساب أنصاره والمجتمع البشري لهذه الثمار فيستجمعونها جيلاً بعد آخر[(٢)].

الإيمان بالمهدي (عليه السلام) تجسيد لحاجة فطرية

إنّ ظهور الايمان بفكرة حتمية ظهور المنقذ العالمي في الفكر الإنساني عموماً يكشف عن وجود أُسس متينةٍ قوية تستند إليها تـنطلق مـن الفـطرة الإنسانية، بمعنىٰ أنها تعبّر عن حاجة فطرية عامة يشترك فـيها بـنو الإنسـان عموماً، وهذه الحاجة تقوم علىٰ ما جُبل عليه الإنسان من تطلّع مستمرٍ للكمال بأشمل صوره وأنّ ظـهور المـنقذ العـالمي وإقـامة دولتـه العـادلة فـي اليـوم الموعود يُعبّر عن وصول المجتمع البشري الىٰ كماله المنشود.

يقول العلّامة الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر (قدس سره): «ليس المهدي (عليه السلام) تجسيداً لعقيدة إسلامية ذات طابعٍ ديـني فـحسب، بـل هـو عـنوانٌ لطـموحٍ

(١) راجع توضيح هذه النقطة في البحث القيم الذي كتبه آية الله الإمام الشهيد الصدر حول المهدي : ٤١ ـ ٤٨ ، ط ٣ دار التعارف.

(٢) لمزيد من التوضيح راجع تاريخ الغيبة الكبرىٰ : ٢٧٦ وما بعدها.

اتجهت إليه البشرية بمختلف أديانها ومذاهبها، وصياغة لإلهام فطري أدرك الناس من خلاله ـ على الرغم من تنوع عقائدهم ووسائلهم الىٰ الغيب ـ أنّ للإنسانية يوماً موعوداً علىٰ الأرض تحقق فيه رسالات السماء بمغزاها الكبير وهدفها النهائي. وتجد فيه المسيرة المكدودة للإنسان علىٰ مرِّ التاريخ استقرارها وطمأنينتها بعد عناء طويل.

بل لم يقتصر الشعور بهذا اليوم الغيبي، والمستقبل المنتظر علىٰ المؤمنين دينياً بالغيب، بل امتد الىٰ غيرهم أيضاً وانعكس حتىٰ علىٰ أشد الايدلوجيات والاتجاهات العقائدية رفضاً للغيب والغيبيات، كالمادية الجدلية التي فسرت التاريخ علىٰ أساس التناقضات وآمنت بيومٍ موعود، تُصفّىٰ فيه كلّ تلك التناقضات ويسودُ فيه الوئامُ والسلامُ.

وهكذا نجد أن التجربة النفسية لهذا الشعور والتي مارستها الإنسانية علىٰ مرَّ الزمن من أوسع التجارب النفسية وأكثرها عموماً بين أفراد الإنسان»[١].

إذن الإيمان بالفكرة التي يجسدها المهدي الموعود هي من أكثر وأشد الأفكار إنتشاراً بين بني الإنسان كافة لأنها تستند الىٰ فطرة التطلّع للكمال بأشمل صوره، أي أنها تعبّر عن حاجة فطرية، ولذلك فتحققها حتمي؛ لأنّ الفطرة لا تطلب ماهو غير موجود كما هو معلوم.

موقف الفكر الإنساني من غيبة المهدي (عليه السلام)

إنّ الفكر الإنساني لا يرىٰ مانعاً من طول عمر هذا المصلح العالمي الذي يتضمنه الإيمان بغيبته وفقاً لمذهب أهل البيت (عليهم السلام)، بل يرىٰ طول عمره

---

(١) بحث حول المهدي: ٥٣ ـ ٥٤.

أمراً ضرورياً للقيام بمهمته الإصلاحيّة الكبرىٰ كما لاحظنا في كلام المـفكر الإيرلندي برناردشو. وعليه فالفكر الإنساني العام لا يرفض مـبدئياً الإيـمان بالغيبة إذا كانت الأدلة المثبتة لها مقبولة عقلياً.

وقد تناول العلماء ايضاح الإمكان العـقلي لطـول عـمر الإمـام المـهدي وعدم تعارضه مع أي واحد من القوانين العقلية، كما فعل الشيخ المـفيد فـي كتابه «الفـصول العشـرة فـي الغـيبة»[١] والعـلّامة الكـراجكـي فـي رسـالته «البرهان علىٰ طول عمر إمام الزمان (عليه السلام)» التي تضمنها كتابه كنز الفوائـد في جزئه الثاني[٢]، والشيخ الطبرسي في «اعلام الورىٰ»[٣]، والسـيّد الصـدر في بحثه عن المهدي[٤] وغيرهم كثير، بل قلّما يخلو كتاب من كتب الغيبة من مناقشة هذا الموضوع والاستدلال عليه.

الفكر الديني يؤمن بظهور المصلح العالمي بعد غيبة

إنّ الإجماع علىٰ حتمية ظـهور المـصلح العـالمي مـقترنٌ بـالإيمان بأنّ ظهوره يأتي بعد غيبة طويلة، فقد آمن اليهود بعودة عـزير أو مـنحاس بـن العازر بن هارون، وآمن النصارىٰ بغيبة المسيح وعودته، ويـنتظر مسـيحيو الأحباش عودة ملكهم تيودور كمهدي في آخر الزمان، وكذلك الهنود آمنوا بعودة فيشنوا، والمجوس بحياة أوشيدر، وينتظر البوذيون عودة بوذا ومنهم مَن ينتظر عودة إبراهيم (عليه السلام) وغير ذلك[٥].

---

(١) الفصول العشرة في الغيبة، المفيد: ٩١ ـ ١٠٧.

(٢) كنز الفوائد، الكراچكي ٢: ١١٤ ـ ١٣٤.

(٣) إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ، الطبرسي ٢: ٣٠٤ ـ ٣١٠ المسألة السادسة.

(٤) بحث حول المهدي، الشهيد الصدر: ٦٣ ـ ٨٩.

(٥) راجع كتاب دفاع عن الكافي للسيّد العميدي: ١/١٨٠ ـ ١٨١، وإحقاق الحقّ، ١٣: ٣ـ٤. والإمـام المـهدي ←

إذن قضية الغيبة قبل ظهور المصلح العالمي ليست مستغربة لدىٰ الأديان السماوية، ولا يمكن لمنصف أن يقول بأنـها كـلّها قـائمة عـلىٰ الخـرافـات والأساطير، فالخرافات والأساطير لا يـمكن أن تـوجد فكـرة مـتأصلة بـين جميع الأديان دون أن ينكر أي من علمائها أصل هذه الفكرة، فلم ينكر أحدٌ منهم أصل فكرة الغيبة وإن أنكر مصداق الغائب المنتظر في غير الدين الذي اعتنقه وآمن بالمصداق الذي إرتضاه.

إنّ إنتشار أصل هذه الفكرة في جـميع الأديـان السـماوية كـاشفٌ عـن أرضية اعتقادية مشتركة رسخها الوحي الإلهي فيها جميعاً. ودعمتها تجارب الأنبياء (عليهم السلام) التي شهدت غيبات متعددة مثل غيبة إبراهيم الخليل وعـودته، وغيبة موسىٰ عن بني إسرائيل وعودته إليـهم بـعد السـنين التـي قـضاها فـي مدين، وغيبة عيسىٰ (عليه السلام) وعودته فـي آخـر الزمـان التـي أقـرّتها الآيـات الكريمة واتفق عليها المسلمون من خلال ورودهـا فـي الأحـاديث النـبوية الشريفة، وغيبة نبي الله إلياس التي قال بها أهل السنّة كما صرّح بذلك مـفتي الحرمين الكنجي الشافعي في الباب الخامس والعشرين من كتابه (البيان فـي أخبار صاحب الزمان)، وصرّح كذلك بإيمان أهل السنّة بغيبة الخـضر (عليه السلام) وهي مستمرة الىٰ ظهور المهدي (عليه السلام) في آخر الزمان حيث يكون وزيره.

بل إنّ إنتشار فكرة غيبة المصلح العالمي في الأديان السابقة قـد تكـون مؤشراً علىٰ وجود نصوص سماوية صـريحة بـذلك كـما سـنلاحظ ذلك فـي نموذج النبوة الواردة في سـفر الرؤيـا مـن الكـتاب المـقدس والتـي طـبقها

← في كتب الأُمم السابقة والمسلمين، محمّد رضا حكيمي: ٥٢ ـ ٥٧، والإمامة وقائم القيامة، د. مصطفى غالب: ٢٧٠ ـ ٢٧١.

الباحث سعيد أيوب علىٰ المهدي الإمامي[(١)].

أما الاختلاف في تشخيص هوية المصلح الغائب فهو ناشئ مـن الخـلط بين النصوص المخبرة عـن غـيبات بـعض الأنـبياء (عليهم السلام) وبـين النـصوص المتحدثة عن غيبة المصلح العالمي، بدوافع عدة سنشير إليها لاحقاً.

الاختلاف في تشخيص هوية المنقذ العالمي

إذن الإجماع قائم في الأديان السماوية علىٰ حتمية اليوم الموعود، وكما قال العلّامة المتتبع آية الله السيّد المرعشي النجفي في مقدمة الجـزء الثـالث عشر من «إحقاق الحقّ»: قال «وليعلم أنّ الأُمم والمذاهب والأديان اتـفقت كلمتهم ـ إلّا من شذ وندر ـ علىٰ مجيء مصلح سماوي إلهي ملكوتي لإصلاح ما فسد من العالم وإزاحة ما يُرىٰ من الظلم والفساد فيه وإنارة مـا غشـيه مـن الظلم، غاية الأمر إنه اختلفت كلمتهم بين مـن يـراه عُـزيراً، وبـين مَـن يـراه مسيحاً، ومن يراه خليلاً، ومَن يراه ـ من المسلمين ـ من نسل الإمام مولانا أبي محمّد الحسن السبط ومَن يراه من نسل الإمام مـولانا أبـي عـبد الله الحسـين السبط الشهيد...».

وإذا اختلفت الأديان بل الفرق والمـذاهب المـتشعبة عـنها فـي تـحديد هوية المصلح العالمي رغم اتفاقهم علىٰ حـتمية ظـهوره وعـلىٰ غـيبته قـبل عودته الظاهرة، فما هو سر هذا الاختلاف؟

يبدو أنّ سبب هذا الاختلاف يرجـع الىٰ تـفسير النـصوص والبشـارات السماوية وتأويلها استناداً الىٰ عوامل خارجة عنها وليس الىٰ تـصريحات أو إشارات في النصوص نفسها، وإلىٰ التأثر العاطفي برموز معروفة لأتـباع كـلّ

---

(١) عقيدة المسيح الدجّال في الأديان، سعيد أيوب: ٣٧٩.

دين أو فرقة وتطبيق النصوص عليها ولو بالتأويل، بمعنىٰ أنّ تحديد هوية المصلح الموعود لا ينطلق من النصوص والبشارات ذاتها بل ينطلق من انتخاب شخصية من الخارج ومحاولة تطبيق النصوص عليها. يُضاف الىٰ ذلك عوامل أُخرىٰ سياسية كثيرة لسنا هنا بصدد الحديث عنها، ومعظمها واضحٌ معروف فيما يرتبط بالأديان السابقة وفيما يرتبط بالفرق الإسلامية، ومحورها العام هو: إنّ الإقرار بما تحدده النصوص والبشارات السماوية ينسف قناعات لدىٰ تلك الأديان وهذه الفرق يسلبها مبرر بقائها الاستقلالي، ومسوغ إصرارها علىٰ عقائدها السالفة.

أما بالنسبة للعامل الأوّل فنقول: إنّ النصوص والبشارات السماوية وأحاديث الأنبياء وأوصيائهم (عليهم السلام) بشأن المصلح العالمي تتحدث عن قضيةٍ ذات طابع غيبي وشخصية مستقبلية وعن دورٍ تاريخي كبير يحقق أعظم إنجاز للبشرية علىٰ مدىٰ تأريخها ويحقق في اليوم الموعود أسمىٰ طموحاتها، والإنسان بطبعه ميال لتجسيد القضايا الغيبية في مصاديق ملموسة يحس بها، هذا من جهة، ومن جهة أُخرىٰ فكل قومٍ يتعصبون لشريعتهم ورموزهم وما ينتمون إليه ويميلون إلى أن يكون صاحب هذا الدور التاريخي منهم.

لذا كان من الطبيعي أن يقع الاختلاف في تحديد هوية المصلح العالمي، لأنّ من الطبيعي أن يسعىٰ أتباع كلّ دين الىٰ اختيار مصداق للشخصية الغيبية المستقبلية التي تتحدث عنها النصوص والبشارات الثابتة في مراجعهم المعتبرة والمعتمدة عندهم ممن يعرفون ويحبون من زعمائهم، يدفعهم لذلك التعصب الشعوري أو اللاشعوري لشريعتهم، ورموزها، والرغبة الطبيعية العارمة في أن يكون لهم افتخار تحقق ذاك الدور التاريخي علىٰ يد شخصية تنتمي إليهم أو ينتمون إليها.

تأويل البشارات والخلط بينها

من هنا أخذت كلّ طائفة تسعىٰ لتطبيق الصفات التي تذكرها تلك النصوص والبشارات المروية لدىٰ كلّ منها علىٰ الشخصية المحبوبة لديها أو أقرب رموزها الىٰ الصفات المذكورة؛ فإذا وجدت بعض تلك الصفات صريحةً في عدم إنطباقه علىٰ الشخصية التي اختارتها عمدت الىٰ معالجة الأمر بالتأويل والتلفيق، أو بتغييبها أو تحريفها لتنطبق علىٰ مَن انتخبته مسبقاً أو الخلط بين النصوص والبشارات السماوية الواردة بشأن النبيّ اللاحق أو المنقذ للعالم في برهة معيّنة أو المصحح لإنحراف أُمةٍ معيّنة وبين النصوص والبشارات الخاصة بالحديث عن المصلح العالمي الذي يقيم الدولة العادلة علىٰ كلّ الأرض في آخر الزمان ويحقق أهداف الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام) جميعاً.

منهج لحل الاختلاف

وحيث اتضح سبب الاختلاف في تحديد هوية المصلح العالمي؛ أمكن معرفة سبيل حلّه والتوصل الإستدلالي لمصداقه الحقيقي بصورةٍ علمية سليمة ومقنعة، ويمكن تلخيص مراحله علىٰ النحو التالي:

١ ـ تمييز البشارات والنصوص الخاصة بالمصلح العالمي الموعود فيآخر الزمان عن غيرها من الواردة بشأن نبي أو وصي معين، إستناداً الى دلالات نصوص البشارات نفسها ومن مصادرها الأصلية، وإلى ما تقتضيه المبادئ الأولية المرتبط بمهام الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام) وسيرهم وواقعهم التاريخي الثابت، وكذلك الى ما تقتضيه معرفة الثابت من دور المصلح

ومهمته العالمية الكبرى .

٢ ـ تحديد الصفات والخصائص التي تحددها النصوص والبشارات نفسها للمصلح الموعود وبصورة مجتمعة وتوضيح الصورة التي ترسمها له قبل افتراض مسبق لمصداقٍ لها، لكي لا تكون الصورة المرسومة له متأثرة بالمصداق المفترض سلفاً.

٣ ـ وبعد اكتمال الصورة التجريدية المستفادة ، تبدأ عملية التعرف على الصفات والخصائص والحقائق التاريخية المذكورة كمصاديق للمصلح العالمي الموعود، ثم عرضها على الصورة التي ترسمها له نصوص البشارات نفسها، والمتحصلة من المرحلتين السابقتين، ليتم بذلك تبيان عدم إنسجام صفات المصاديق غير الحقيقية مع تلك الصورة وبالتالي التعرف على المصداق الحقيقي من بينها.

المهدي الإمامي وحل الاختلاف

من المؤكد أنّ البشارات السماوية الواردة في الكتب المقدسة تهدي الى المهدي المنتظر الذي يقول به مذهب أهل البيت (عليهم السلام) كما سنشير لذلك لاحقاً، وأثبتته دراسات متعددة في نصوص هذه البشارات[1].

إذن فالتعريف بعقيدة أهل البيت (عليهم السلام) في المهدي المنتظر (عليه السلام) يفتح آفاقاً أوسع للإهتداء للمصداق الحقيقي للمصلح العالمي الذي بشّرت به كلّ الديانات طبقاً لدلالات نصوص البشارات الواردة في الكتب المقدسة حتى

---

(١) نظير كتب بشارات عهدين للشيخ محمّد الصادقي وترجمته العربية بقلم المؤلف نفسه المطبوعة بإسم «البشارات والمقارنات». ومثله بالفارسية: بشارات صحف آسماني به ظهور حضرت مهدى (عليه السلام) لعليّ أكبر شعفي إصفهاني. والعربية: المهدي المنتظر والعقل لمحمّد جواد مغنيّة.

لوكان الإيمان الجديد من خلال قناعات أتباع الديانات السابقة.

وكنموذج على تأثير هذا التعريف نشير الى نتيجة تحقيق القاضي جواد الساباطي من أعلام القرن الثاني عشر الهجري، إذكان في بداية أمره عالماً نصرانياً ثم تعرّف على الإسلام وأعتنقه على المذهب السُنّي الذي كان أول ما عرف من الفرق الإسلامية، وألف كتابه المعروف «البراهين الساباطية» في ردِّ النصارى وإثبات نسخ شرائعهم؛ إستناداً الى ما ورد في نصوص كتبهم المقدسة[١].

رأي القاضي الساباطي

تناول القاضي الساباطي إحدىٰ البشارات الواردة في كتاب أشعيا من العهد القديم من الكتاب المقدس بشأن المصلح العالمي، ثم ناقش تفسير اليهود والنصارى لها ودحض تأويلات اليهود والنصارى لها ليخلص الى قوله: «فيكون المنصوص عليه هو المهدي(عجل الله فرجه) بعينه بصريح قوله ولا يدين بمجرد السمع، لأنّ المسلمين أجمعوا على أنه(عجل الله فرجه) لا يحكم بمجرد السمع والحاضر بل لا يلاحظ إلّا الباطن ولم يتفق ذلك لأحد من الأنبياء والأوصياء. الى أن قال: وقد اختلف المسلمون في المهدي(عجل الله فرجه)، فقال: أصحابنا من أهل السنّة، والجماعة إنه رجل من أولاد فاطمة (عليها السلام) يكون اسمه محمّد واسم أبيه

(١) كشف الأستار عن وجه الغائب عن الأبصار، الميرزا حسين النوري الطبرسي: ٨٤، وأولى منه كتاب كبير في ستة مجلدات بعنوان: أنيس الأعلام في نصرة الإسلام. لعالم نصراني أرميني كبير اعتنق الإسلام على مذهب أهل البيت(عليهم السلام) وكتب ذلك الكتاب بالفارسية استجابة لاقتراح علماء الإسلام، من أواخر القرن الثاني عشر وأوائل الثالث عشر، سيأتي ذكره بعد قليل باسم الشيخ محمّد صادق فخر الإسلام، وهذا ما لقّبه به علماء اصفهان يومئذٍ تقديراً لجهوده في مجلدات كتابه القيّم.

عبدالله وأُمّه آمنة.

وقال الإماميون: بل هو محمّد بن الحسن العسكري رضي الله عنهما وكان قد ولد سنة (٢٥٥ هـ) من فتاة للحسن العسكري اسمها نرجس في «سُرَّ من رأىٰ» بزمن المعتمد ثم غاب سنة[١] ثم ظهر ثم غاب وهي الغيبة الكبرىٰ ولا يؤوب بعدها إلّا إذا شاء الله.

ولما كان قولهم أقرب لتناول هذا النصّ وكان غرضي الذب عن ملّة محمّد (صلى الله عليه وآله) مع قطع النظر عن التعصّب في المذهب؛ ذكرت لك مطابقة ما يدعيه الإماميون مع هذا النصّ»[٢].

نلاحظ هنا أنّ هذا العالم الخبير بالنصرانية يصرح بإنطباق البشارة مورد البحث على المهدي المنتظر طبق ما يعتقده مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، على الرغم من انتمائه هو الى المذهب السنيّ بعد إعتناقه الإسلام، والمذهب السُنّي يعتقد في تشخيص هوية المهدي المنتظر غير ما يراه الإمامية فخالف رأي المذهب الذي ينتمى إليه في هذا المجال ورجّح رأي مذهب أهل البيت (عليهم السلام) وصرّح بإنطباق بشارة كتاب أشعيا على هذا الرأي والذي أوصله الى الإهتداء للمصداق الحقيقي على رأي الإمامية في المهدي المنتظر(عليه السلام)، وبدون التعرف على هذا الرأي لعله لم يكن ليتوصّل الى المصداق الذي تنطبق عليه البشارات المذكورة ولولا ذلك لكان يقتصر إمّا على ردّ أقوال النصارىٰ بشأن البشارة المذكورة أو اغفالها أصلاً أو تأويل بعض دلالاتها

---

(١) الثابت أن غيبة الإمام المهدي بعد وفاة أبيه ـ (عليهما السلام) ـ استمرت ٦٩ سنة. فلعل الساباطي ترك بياضاً ليتأكد من المدّة ثم نسي ملء الفراغ فانتشر الكتاب كذلك.

(٢) كشف الأستار عن وجه الغائب: ٨٥، وذكر أن كتاب البراهين الساباطية قد طبع قبل اكثر من ثلاثين سنة من تاريخ تأليف كتابه كشف الأستار.

لتنطبق على رأي المذهب الذي كان ينتمي إليه في المهدي الموعود.

والملاحظة نفسها نجدها في دراسات علماء آخرين من أهل الكتاب بشأن هذه البشارات، فقد أصبح من اليسير عليهم معرفة المصداق الذي تتحدث عنه عندما تعرفوا على رأي مذهب أهل البيت (عليهم السلام) في المهدي المنتظر وخاصة الذين اعتنقوا الإسلام وتهيأت لهم فرصة التعرف على هذا الرأي، وقد أثارهم شدة إنطباق ما تذكره البشارات التي عرفوها في كتب دياناتهم السابقة على المهدي المنتظر (عليه السلام) الذي تؤمن به الإمامية؛ الأمر الذي دفعهم الى دراسة هذه البشارات في كتبهم.

والنموذج الآخر هو : ما فعله العلّامة محمّد صادق فخر الإسلام الذي كان نصرانياً واعتنق الإسلام وانتمى لمذهب أهل البيت (عليهم السلام) وألّف كتابه الموسوعي (أنيس الأعلام) في ردّ اليهود والنصارى[1] وتناول فيه دراسة هذه البشارات وانطباقها على الإمام محمّد المهدي بن الحسن العسكري (عليهما السلام). مثل ما فعله العلّامة محمّد رضا رضائي الذي أعرض عن اليهودية ـ وقد كان من علمائها ـ واعتنق الإسلام وألّف كتاب (منقول رضائي) الذي بحث فيه أيضاً موضوع تلك البشارات وأثبت النتيجة نفسها.

البشارات السماوية لا تنطبق على غير المهدي الإمامي

إنّ من الواضح لمن يمعن النظر في نصوص تلك البشارات السماوية أنّها تقدّم مواصفات للمصلح العالمي لا تنطبق على غير المهدي(عليه السلام) طبقاً لعقيدة

(١) بشارات عهدين: ٢٣٢، وذكر أن العالم المذكور كان من متتبعي علماء النصارى ومحققيهم واعتنق الإسلام بعد دراسة معمقة استغرقت أمداً وألّف عدة كتب منها الكتاب المذكور الذي يُوصف بأنه أفضل ما أُلّف في الرد على اليهود والنصارى.

مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) لذلك فإنّ مَن لم يتعرف على هذه العقيدة لا يستطيع التوصل الى المصداق الذي تتحدث عنه كما نلاحظ ذلك مثلاً في أقوال مفسري الإنجيل بشأن الآيات (١ ـ ١٧) من سفر الرؤيا الفصل الثاني عشر «مكاشفات يوحنا اللاهوتي» فهم يصرحون بأنّ «الشخص الذي تتحدث عن البشارة الواردة في هذه الآيات لم يُولد بعد، لذا فإنّ تفسيرها الواضح ومعناها البيّن موكول للمستقبل والزمان المجهول الذي سيظهر فيه»[١]، في حين أنّ هذه الآيات تتحدّث بوضوح عن الحكومة الإلهية التي يقيمها هذا الشخص في كلّ العالم ويقطع دابر الأشرار والشياطين وهي المهمة التي حددتها البشارات الأُخرى بأنها محور حركة المصلح العالمي. لكنَّ مفسري الإنجيل لم يستطيعوا تطبيقها على المصداق الذي اختاروه لهذا المصلح وهو السيّد المسيح عيسى بن مريم (عليهما السلام) لأنّ البشارة واردة عن يوحنا اللاهوتي عن السيّد المسيح فهو المبشر بمجيء هذا المنقذ، كما أنّهم لم يتعرفوا على عقيدة أهل البيت (عليهم السلام) في المهدي المنتظر (عليه السلام)، لذلك لم يستطيعوا الإهتداء الى مصداق تلك الآيات.

البشارات وغيبة الإمام الثاني عشر

وهناك باحث من أهل السنّة استطاع الإهتداء الى المصداق الذي تتحدّث الآيات المشار إليها عندما تعرف على عقيدة أهل البيت في المهدي المنتظر ـ سلام الله عليهم اجمعين ـ وهو الأُستاذ سعيد أيوب حيث يقول في كتاب (المسيح الدجّال) عن هذه الآيات نفسها: «ويقول كعب : مكتوب في أسفار

(١) بشارات عهدين : ٢٦٤.

الأنبياء : المهدي ما في عمله عيب» ثم علق على هذا النص بالقول: (وأشهد أنّي وجدته كذلك في كتب اهل الكتاب، لقد تتبع أهل الكتاب أخبار المهدي كما تتبعوا أخبار جده (صلى الله عليه وآله)، فدلت اخبار سفر الرؤيا الى امرأة، يخرج من صلبها اثنا عشر رجلاً، ثم أشار الى امرأة أُخرى: أي التي تلد الرجل الأخير الذي هو من صلب جدته، وقال السفر: إنّ هذه المرأة ستحيط بها المخاطر، ورمز للمخاطر باسم (التنين) وقال: (والتنين وقف أمام المرأة العتيدة حتى تلد، يبتلع ولدها متى ولدت). (رؤيا ١٢: ٣)

أي إنّ القيادة كانت تريد قتل هذا الغلام، ولكن بعد ولادة الطفل؛ يقول باركلي في تفسيره : (عندما هجمت عليها المخاطر اختطف الله ولدها وحفظه). والنص: (اختطف الله ولدها) (رؤيا ١٢: ٥) أي : «إن الله غيّبَ هذا الطفل» كما يقول باركلي .

وذكر السفر أنّ غيبة الغلام ستكون ألفاً ومائتين وستين يوماً[١]، وهي مدة لها رموزها عند أهل الكتاب، ثم قال باركلي عن نسل المرأة عموماً: إنّ التنين سيعمل حرباً شرسة مع نسل المرأة كما قال السفر: (فغضب التنين على المرأة، وذهب ليصنع حرباً مع باقي نسلها الذين يحفظون وصايا الله) (رؤيا ١٢: ١٣).

وقال الأُستاذ سعيد أيوب : «هذه هي أوصاف المهدي، وهي نفس أوصافه عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية»، ودعم قوله بتعليقات أوردها في الهامش بشأن إنطباق الأوصاف على مهدي آل البيت (عليهم السلام)[٢].

---

(١) المدة رمزية وقد وردت في الأصل العبري بتعبير: «وسيغيب عن التنين زماناً وزمانين ونصف زمان»، راجع بشارات عهدين: ٢٦٣.

(٢) المسيح الدجّال ، سعيد أيوب : ٣٧٩ ـ ٣٨٠ .

البشارات وخصوصيات المهدي الإمامي

ويُلاحظ في هذه البشارات الإنجيلية ذكرها لخصوصيات في المصلح العالمي لا تنطبق إلّا على أبرز ما يميز عقيدة مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) والواقع التاريخي الذي مرّت به .

إنّ ذكر هذه الخصوصيات بالذات يشير الى حكمة ربانية في هداية الآخرين الى المصداق الحقيقي للمصلح العالمي بأبلغ حجّة من خلال الإشارة الى ابرز خصوصياته الظاهرة والمعروفة لكي يكون الإهتداء إليها أيسر، فمثلاً نلاحظ فيها الإشارة الى تعرض مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) لمخاطر التصفية والإبادة التي تؤدي بالتالي الى غيبة الإمام الثاني عشر منهم، ثم التأكيد على أنّ هذا الإمام محفوظ بالرعاية الإلهية في غيبته حتى يحين موعد ظهوره المبارك ومعلوم أنّ القول بغيبة الإمام الثاني عشر هو أهم ما يميز عقيدة الإمامية في المهدي المنتظر ولذلك وردت الإشارة إليها بالذات تسهيلاً للإهتداء الى المصداق الحقيقي للمنقذ العالمي.

كما وردت إشارات الى مميزات معروفة أُخرى تختص بها عقيدة أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، مثل القول بأنّ الإمام المهدي هو الإمام الثاني عشر من سلسلة مباركة متصلة كما تشير لذلك الآيات المتقدّمة وبشارات أُخرى واردة في الكتب المقدسة، نظير ما ورد في «سفر التكوين»، من الوعد على لسان الربّ تعالى خطاباً لإبراهيم الخليل (عليه السلام)، بالمباركة والتكثير في صلب إسماعيل بمحمّد (صلى الله عليه وآله) والأئمة الاثني عشر من عترته (عليهم السلام)[1]. ومعلوم أنّ

(١) راجع كتاب «أهل البيت في الكتاب المقدس»: ١٠٥ ـ ١٠٧، لأحمد الواسطي فقد نقل النصّ باللغة العبرية في سفر التكوين، ثم ترجمه إلى اللغة العربية مع بيان لما أشرنا له في المتن.

مصداق الأئمة الاثني عشر من صلب إسماعيل لم يتحقق بالصورة المتسلسلة المشار إليها في البشارات إلا في الأئمة الاثني عشر من أهل البيت (عليهم السلام) كما يثبت ذلك الواقع التاريخي فضلاً عن الأحاديث النبوية المتفق على صحتها بين المسلمين[1]، فهي خاصة بهم حتى أصبحت ظاهرة واضحة في التاريخ الإسلامي أُطلقت على المذهب المنتمي لأهل البيت فسمي مذهب الإمامية الاثني عشرية.

وعليه يتضح أنّ تلك البشارات تهدي الى حقيقة هي: أنّ المهدي هو خاتم هؤلاء الأئمة الاثني عشر.

البشارات وأوصاف المهدي الإمامي

وردت في البشارات أيضاً اشارات الى ألقاب اختص بها المهدي الإمامي (عليه السلام) مثل وصف «القائم»[2] والذي جاء فيها البشارة التالية من سفر أشعيا النبيّ ـ وقد تقدّم حديث القاضي جواد الساباطي عن دلالتها على المهدي وفق عقيدة الإمامية الاثني عشرية فهي تشير الى المعاني التالية:

(١) راجع الفصل الأوّل، الباب الأوّل من كتاب منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر لآية الله الشيخ لطف الله الصافي، فقد نقل فيه (٢٧١) حديثاً من المصادر الحديثية المعتبرة عند مختلف طوائف المسلمين تشتمل على إخبار النبيّ (صلى الله عليه وآله) باتصال الإمامة في هؤلاء الأئمة الاثني عشر من أهل بيته (عليهم السلام) الى يوم القيامة وفيها أحاديث تنص صراحة على أسمائهم أو تحدد أنّ أوّلهم الإمام عليّ (عليه السلام) وآخرهم الإمام المهدي (عليه السلام)، وللشيخ الصافي في هذا الفصل تعليقة استقرائية تاريخية تثبت عدم صدق هذه الأحاديث على غير الأئمة الاثني عشر من عترة آل الرسول (صلى الله عليه وآله).

(٢) اختص هذا اللقب بأئمة العترة الطاهرة، وإذا أُطلق كان المراد منه الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر (عليه السلام)، راجع كتاب النجم الثاقب لآية الله الميرزا حسين النوري ١: ٢١١ من الطبعة المترجمة الى العربية، وقد ذكر الميرزا النوري أنّ هذا اللقب مذكور في الزبور الثالث عشر وغيره، نقل ذلك عن كتاب ذخيرة الألباب للشيخ محمّد الاسترآبادي.

«٢ ـ ويحلُ عليه روح الرب، وروح الحكمة والفهم، وروح المشورة، والقوة، وروح المعرفة ومخافة الرب. ٣ ـ ولذته في مخافة الرب، ولا يقضي بحسب مرأىٰ عينيه ولا بحسب مسمع أُذنيه، ٤ ـ ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض، ويضرب الأرض بقضيب فمه ويميت المنافق بنفخة شفتيه... ٦ ـ ويسكن الذئب والخروف، ويربض النمر مع الجدي، والعجل والشبل معاً وصبي صغير يسوقها... ٩ ـ لا يسيئون ولا يفسدون في كلّ جبل قدسي لأنّ الأرض تمتلئ من معرفة الرب كما تغطي المياه البحر. ١٠ ـ وفي ذلك اليوم سيرفع (القائم) راية الشعوب والأُمم التي تطلبه وتنتظره ويكون محله مجداً»[١].

ومثل وصف «صاحب الدار» المعدود من ألقاب الإمام المهدي(عليه السلام)[٢]، فقد وردت ضمن بشارات عن إنتظار المنقذ العالمي الذي لا يختصّ به المسيحيون إشارة الى عدم هذا الاختصاص وتحدّثت عن ظهوره المفاجئ وهي في «إنجيل مرقس، ١٣: ٣٥»[٣].

ومثل وصف «المنتقم لدم الحسين (عليه السلام) المستشهد عند نهر الفرات» كما ورد في بشارة في «سفر أرميا، ٤٦ / ٢ ـ ١١».

وقد صرّح بذلك الأُستاذ الأردني عودة مهاوش في دراسته (الكتاب المقدس تحت المجهر) وذكر أنّها تتعلق بالمهدي المنتقم لدم الحسين (عليه السلام)[٤].

وهناك نظائر كثيرة لا يتسع المقام لذكرها.

---

(١) أهل البيت في الكتاب المقدس: ١٢٣ ـ ١٢٧، فقد نقل النص كاملاً من سفر أشعيا باللغة العبرية وذكر ترجمته والإشارة الى مدلولاته.

(٢) النجم الثاقب ١ : ١٩٨.

(٣) بشارات عهدين : ٢٧٧.

(٤) الكتاب المقدس تحت المجهر: ١٥٥ .

الإهتداء الى هوية المنقذ على ضوء البشارات

إذن معرفة هذه الخصوصيات تقودنا الى إثبات أنّ المصلح العالمي الذي بشرت به جميع الديانات هو المهدي بن الحسن العسكري (عليهما السلام) كما تقوله عقيدة أهل البيت(عليهم السلام) لأنّ البشارات السماوية لا تنطبق على العقائد الأُخرى، فتكون النتيجة هو أنّ الديانات السابقة لم تبشر بظهور المنقذ العالمي في آخر الزمان بعنوانه العام وحسب بل شخّصت أيضاً هويته الحقيقية من خلال تحديد صفات وتفصيلات لا تنطبق على غيره (عليه السلام)، وهكذا تكون هذه البشارات دليلاً إضافياً على صحة عقيدة أهل البيت (عليهم السلام) بهذا الشأن.

ونكتفي هنا بالإشارة الى بعض البشارات الواردة في العهدين القديم والجديد (أسفار التوراة والأناجيل) بهذا الصدد، بحكم كونها معتبرةً عند أكبر وأهم الديانات السابقة على الإسلام أي اليهودية والنصرانية؛ ولأنّ هذين العهدين الموجودين حالياً قد مرّا بالكثير من التحقيق والتوثيق عند علماء اليهود والنصارى وأُجريت بشأنها الكثير من الدراسات ودونت الكثير من الشروح لهما، ونسخها كثيرة ومتداولة بترجمات كثيرة لمختلف اللغات، غير أنّ الاعتماد على الأُصول العبرية أدق لوقوع أخطاء ولبس في الترجمات.

فالإقتصار على العهدين لا يعني إنحصار البشارات ـ التي لا يمكن تفسيرها بغير المهدي المنتظر(عليه السلام) طبق عقيدة مذهب أهل البيت (عليهم السلام) ـ بهما ، بل على العكس فإنّ أمثالها موجودة في مختلف كتب الأديان الأُخرى

وبتصريحات ودلالات أوضح ذكرتها الدراسات المتخصصة في هذا الباب[1]. ولكنها غير مشهورة عند الجميع ونسخها غير متداولة وأغلبها لم تترجم عن لغاتها الأُم إلّا قليلاً. على أنّ الاقتصار على النماذج المتقدّمة من العهدين القديم والجديد فيه الكفاية في الاستدلال على المطلوب، والتفصيلات موكولة للمراجع المتخصصة المشار إليها في طيّات البحث.

الإستناد الى بشارات الكتب السابقة ومشكلة التحريف

وتبقى هنا قضيتان من الضروري التطرّق لهما قبل تثبيت النتائج المتحصّلة من البحث.

القضية الأُولىٰ هي: مناقشة السؤال التالي :كيف يمكن الإستناد الى كتب الديانات الأُخرى في إثبات قضية مهمة مثل قضية تشخيص هوية المصلح العالمي المنتظر وإثبات أنه المهدي بن الحسن العسكري (عليهما السلام)، وإثبات صحة هذه العقيدة وإنتمائها الإلهي مع اتفاق المسلمين على وقوع التحريف في هذه الكتب؟

نعتقد أنّ الإجابة على هذا التساؤل ممكنة بقليل من التدبر في حيثيات الموضوع، ويمكن تلخيصها بما يلي:

١ ـ إن إثبات عقيدة منهج أهل البيت (عليهم السلام) في المهدي المنتظر (عليه السلام) يستند الى الكثير من البراهين العقلية والآيات القرآنية وما اتفق عليه المسلمون من صحاح الأحاديث النبوية والواقع التاريخي لسيرة أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، كما هو مشهود في الكتب العقائدية التي تناولت هذا الموضوع.

(١) راجع ما نقله الشيخ الصادقي في كتابه بشارات عهدين من كتب الأديان الأُخرى.

أما الإستناد الى البشارات الواردة في كتب الأديان المقدسة فهو من باب الدليل الإضافي أو الشواهد المؤيدة فلا تسقط النتيجة المتحصلة منه بسقوط أو بطلان الأساس. لأنّ هذه العقيدة قائمة على أُسس أُخرى أيضاً، إذن لا مجال للاعتراض على صحة هذه العقيدة حتى مع افتراض بطلان بعض أُسسها بإعتبار القول بتحريف تلك الكتب.

٢ ـ ثمة ثمار مهمة لدراسة وتوثيق هذا الدليل، وهي هداية أتباع الديانات الأُخرى الى الحقّ والى المصلح الإلهي الحقيقي بالإستناد الى كتبهم نفسها وفي ذلك حجّة كاملة عليهم؛ هذا أوّلاً، وثانياً إنّ مثل هذه الدراسة تؤكد الجانب العالمي في القضية المهدوية، وتوفر محوراً جديداً للوفاق بين الأديان المختلفة بشأن المصلح العالمي الذي ينتظرونه جميعاً.

٣ ـ وليس ثمة مَن يقول بأنّ جميع ما في كتب الأديان السابقة محرف، بل إنّ المتفق عليه بين المسلمين وقوع التحريف في بعضها وليس في كلّها. لذلك فإنّ ما صدّقته النصوص الشرعية الإسلامية ـ قرآناً وسنّة ـ مما في الكتب السابقة محكوم بالصحة وعدم تطرق التحريف إليه؛ وهذا واضحٌ.

الإستناد الى ما صدّقه الإسلام من البشارات

١ ـ ومن الثابت إسلامياً أنّ الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) قد بشّر بالمهدي الموعود من أهل بيته ومن ولد فاطمة ـ سلام الله عليها[1] ـ، لذلك فإن البشارات الواردة في كتب الأديان السابقة ـ والتي لم تطالها يد التحريف ـ ما

(١) بل أثبتت دراسات عدد من علماء أهل السنّة تواتر هذه الأحاديث الشريفة، مثل كتاب «التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجّال والمسيح» للإمام الشوكاني، وكتاب «الإشاعة في أشراط الساعة» للبرزنجي، وكتاب «التصريح» للكشميري وقال به الكتاني في كتابه «نظم المتناثر من الحديث المتواتر»: ٢٣٦ ـ ٢٨٩/٢٣٩ ونقل القول بالتواتر عن الحافظ السخاوي والآبري والشوكاني وغيرهم الكثير.

دامت منسجمة مع ما صرّحت به النصوص الشرعية الإسلامية. لا مانع من الإستناد إليها والإحتجاج بها.

٢ ـ يُضاف الى ذلك أنّ القرآن الكريم نفسه قد بشّر بالدولة الإلهية العالمية وإقامتها في آخر الزمان كما صرّحت بذلك آياته الكريمة التي دلّ عددٌ منها على المهدي الموعود وحتمية وجوده وغيبته، كما سنوضح ذلك في بحث لاحق إن شاء الله تعالى. وهذا يعني تصديق ما ورد في بشارات الأديان السابقة الواردة بالمضمون نفسه، الأمر الذي يعني صدورها من نفس المصدر الذي صدر منه القرآن الكريم، وبالتالي الحكم بصحتها وعدم تطرق التحريف إليها، فلا مانع حينئذٍ من الإستناد إليها والإحتجاج بها في إطار المضامين التي صدّقها القرآن الكريم.

٣ ـ إنّ بعض هذه البشارات ترتبط بواقع خارجي معاش أو ثابت تاريخياً، بمعنى أنّ الواقع الخارجي الثابت جاء مصدِّقاً لها. فمثلاً البشارات التي تشير الى أنّ المصلح العالمي هو الإمام الثاني عشر من ذرية إسماعيل وأنه من ولد خيرة الإماء وأنّ ولادته تقع في ظل اوضاع سياسية خانقة ومهددة لوجوده فيحفظه الله ويغيّبه عن أعين الظالمين الى حين موعد ظهوره وأمثالها، كلها تنبّأت بحوادث ثابتة تاريخياً، وهذا يضيف دليلاً آخر على صحتها، مادام أنّ من الثابت علمياً أنها مدونة قبل وقوع الحوادث التي أخبرت عنها، فهي في هذه الحالة تثبت أنها من أنباء الغيب التي لا يمكن أن تصدر إلّا ممّن له ارتباط بعلّام الغيوب تبارك وتعالى. وبذلك يمكن الحكم بصحّتها وعدم تطرق التحريف إليها، وبالتالي يمكن الإستناد إليها والإحتجاج بها[1].

---

(١) هذا الحكم يصدق أيضاً على الأحاديث الشريفة المروية عن الرسول الأكرم وأئمة العترة ـ صلوات الله ←

تأثير البشارات في صياغة العقيدة المهدوية

أما القضية الثانية؛ فهي ترتبط بالاعتراض القائل بأنّ: الإستناد الى هذه البشارات في إثبات عقيدة اهل البيت في المهدي(عليه السلام) يفتح باب التشكيك والادّعاء بأنّ هذه العقيدة تسللت الى الفكر الاسلامي من الاسرائيليات ومحرفات الأديان السابقة.

والجواب على هذا الإعتراض يتّضح من الإجابة السابقة، فهو يصح إذا كانت العقيدة الإمامية المهدوية تستند الى تلك البشارات وحدها في حين أنّ الأمر ليس كذلك.

ولو قلنا بأنّ كلّ فكرة اسلامية لها نظير في الأديان السابقة هي من الأفكار الدخيلة في الإسلام؛ لأدى الأمر الى إخراج الكثير من الحقائق والبديهيات الإسلامية التي أقرّها القرآن الكريم وصحاح الأحاديث الشريفة وهي موجودة في الأديان السابقة، وهذا واضح البطلان ولا يخفى بطلانه على ذي لب. فالمعيار في تشخيص الأفكار الدخيلة على الإسلام هو عرضها على القرآن والسنّة والأخذ بما وافقهما ونبذ ما خالفهما ، وليس عرضها على ما في كتب الديانات السابقة ونبذ كلّ ما وافقها مع العلم بأنّ فيها ما لم تتطرق له

← وسلامه عليهم اجمعين ـ والتي تنبأت بولادة المهدي من الحسن العسكري وغيبته، فثبوت صدورها وتدوينها قبل وقوع الولادة والغيبة بما يزيد على القرن وأكثر ثم تحقق ما أخبرت عنه عملياً يثبت صحتها حتى لو كان ثمة نقاش في بعض أسانيدها، لأنّ تصديق الواقع لها دليل على صحة صدورها من ينابيع الوحي المتصلة بالله تبارك وتعالى الذي لا يعلم الغيب سواه ولا يطلع على غيبه إلّا من ارتضى، وقد استدل العلماء بهذا الدليل الوجداني على صحة الغيبة وصحة إمامة المهدي ابن العسكري (عليهما السلام) مثل الشيخ الصدوق في إكمال الدين: ١ / ١٩، والشيخ الطوسي في كتاب الغيبة : ١٠١ ـ ١٠٧، والطبرسي في أعلام الورىٰ، وابن طاووس في كشف المحجة وغيرهم.

يد التحريف وفيه ما ثبت صدوره عن نفس المصدر الذي صدر عنه القـرآن الكريم.

يُضاف الى ذلك أنّ عقيدة الإمامية في المهدي المنتظر(عليه السلام) تستند الى واقع تاريخي ثابت، فكون الإمام المهدي هـو الثـاني عشـر مـن أئـمة أهـل البيت(عليهم السلام) ثابت تاريخياً وحتى ولادته الخفية من الحسن العسكري (عليه السلام) قد سجلها المؤرخون من مختلف المذاهب الإسلامية وأقرها علماء مـختلف المذاهب حتى الذين لم يذعنوا أنّه هو المهدي الموعود وإن كان عدد الذين صرّحوا بأنه هو المهدي من علماء أهل السنّة غير قليل أيضاً[1].

نتائج البحث

نصل الى القسم الأخير من البحث، وهو تسجيل النتائج الحاصلة منه في النقاط التالية:

١ ـ إنّ أصل فكرة الإيمان بالمصلح العالمي في آخر الزمان وإقامة الدولة العادلة التي تحقق السعادة الحقّة للبشرية جمعاء تستند الى جذور فطرية في الإنسان تنبع من فطرة تـطلّعه الى الكـمال، ولذلك لاحـظنا إجـماع مـختلف التيارات الفكرية الإنسانية حتى المادية منها على حـتمية تـحقق هـذا اليـوم الموعود. أما الفكر الديني فهو مجمع عليها لتواتـر البشـارات السـماوية فـي

(١) ذكر الشيخ القندوزي الحنفي في ينابيع المودة الكثير من علماء أهل السنّة القائلين بأنّ المهدي الموعود هو ابن الحسن العسكري وأنه حي وغائب، كما ذكر الميرزا النوري في كتاب كشف الأستار أربعين عالماً منهم ونقل تصريحاتهم في ذلك، وكذلك فعل العلّامة نجم الدين العسكري فـي كـتابه المـهدي المـوعود المنتظر عند علماء أهل السنّة والإمامية، وجمع أقوالهم وتصريحاتهم السيّد ثامر العميدي في الجزء الأوّل من كتابه (دفاع عن الكافي). وكذلك السيّد الأمين العاملي ج٥ من المجالس السنية والأُستاذ الدخيّل فـي: الإمام المهدي(عليه السلام) .

كتب الأديان المختلفة بذلك. فلا يمكن قبول ما زعمه بعض المستشرقين بأنّ هذه الفكرة المجمع عليها تستند الى الخرافات والأساطير.

٢ ـ إنّ القول بوجود المهدي الموعود بالفعل وغيبته ـ وهو الذي يؤمن به مذهب أهل البيت (عليهم السلام) ويتميز عن عقيدة أهل السنّة في المهدي الموعود ـ غير مستبعد لا في الفكر الإنساني الذي يرىٰ أنّ من الضروري أن يكون عمر المصلح العالمي طويلاً، ولا من الفكر الديني الذي اقترن إيمانه بالمصلح العالمي بالإيمان بأنه يعود بعد غيبة. بل إنّ وقوع الغيبات في تاريخ الأنبياء (عليهم السلام) يدعم هذا القول ويعززه.

٣ ـ إن اجماع الأديان السماوية على الإيمان بالمصلح العالمي وغيبته قبل الظهور اقترن بالاختلاف الشديد في تحديد هويته، وهو اختلاف ناشئ من جملة من العوامل، منها: إن البشارات الواردة في الكتب المقدسة بشأنه تتحدث عن قضية غيبية والإنسان بطبعه ميّال لتجسيد الحقائق الغيبية في مصاديق محسوسة يعرفها. ومنها: أنّ التعصب المذهبي والرغبة في الفوز بافتخار الانتماء لصاحب هذا الدور التاريخي المهم دفعت أتباع كلّ دين الى تأويل تلك البشارات أو خلطها بالبشارات الواردة بشأن نبي أو وصي معين غير المصلح العالمي أو تحريفها لتطبيقها على الأقرب من المواصفات التي تذكرها من زعمائهم ورموزهم الدينية. فالاختلاف ناشئ من سوء تفسير وتطبيق البشارات السماوية وليس من نصوص البشارات نفسها.

٤ ـ إنّ سبيل حلّ الاختلاف هو تمييز البشارات الواردة بشأن المصلح العالمي عن غيرها المرتبطة بغيره من الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام)، ثم تحديد الصورة التي ترسمها بنفسها للمصلح العالمي بعيداً عن التأثر بالمصاديق المفترضة سلفاً. ثم عرض المصاديق عليها لمعرفة هويته الحقيقية إستناداً

الى الواقع التاريخي القابل للإثبات وبعيداً عن حصر هذه المصاديق المفترضة برموز دين معين، بل عرض كلّ مصداق مرشح من قبل أي دين او مذهب على الصورة التي ترسمها نصوص البشارات بصورة تجريدية.

٥ ـ إنّ تلك البشارات السماوية تهدي ـ بناءً على هذا المنهج العلمي ـ الى أنّ المصلح العالمي الذي تبشّر به هو الإمام الثاني عشر من عترة خاتم الأنبياء ـ صلوات الله عليه وآله ـ وهو صاحب الغيبة التي يضطر إليها بسبب تربّص الظلمة به لتصفيته، أي أنّها تهدي الى المهدي الإمامي الذي يقول به مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، وقد صرّحت تلك البشارات بالهداية إليه من خلال ذكر صفات لا تنطبق إلّا عليه، ومن خلال ذكرها لخصائص امتاز بها واشتهرت عنه كما لاحظنا.

٦ ـ إنّ الإستناد الى هذه البشارات في إثبات صحة عقيدة أهل البيت (عليهم السلام) في المهدي المنتظر (عليه السلام) يشكل دليلاً آخر في إثبات هذه العقيدة يضاف الى الأدلة العقلية والقرآنية وما صح لدى المسلمين من الأحاديث الشريفة، ولا مانع من الإستدلال بهذه البشارات بعدما ثبت أن التحريف في الديانات السابقة لم يشمل كلّ نصوصها الموحاة، فيمكن الإستناد الى ما صدقته النصوص الشرعية الإسلامية مما ورد في كتب الديانات السابقة؛ وكذلك ما صدقه الواقع التاريخي الكاشف عن صحة ما أخبرت عنه بإعتباره من أنباء الغيب التي لا يعلمها سوى الله تعالى، ومنها أخبار المهدي (عليه السلام).

٧ ـ إنّ في الإستناد الى بشارات الأديان السابقة في إثبات صحة عقيدة أهل البيت (عليهم السلام) في المهدي الموعود وإضافته الى الأدلة الشرعية والعقلية الأُخرىٰ، ثمارٌ عديدة، منها: الكشف عن أهمية هذه العقيدة وترسيخ الإيمان بها لدى أتباعها، ومنها: إعانة أتباع الديانات والمذاهب الأُخرى على الإهتداء

لمعرفة هوية المصلح العالمي الذي بشرت به نصوص كتبهم المقدسة ودعوتهم الى الإسلام من هذا الطريق، والإحتجاج عليهم بالنصوص المعتبرة عندهم وهو احتجاج أبلغ في الدلالة ، ومنها: إيجاد محور توحيدي لدعاة الإصلاح الديني من أتباع مختلف الديانات يعزز جهودهم وينسقها، يقوم على أساس الإيمان بهذا المصلح العالمي ووجوده فعلاً ورعايته لجهود المُمهدين لظهوره طبقاً للعقيدة الإسلامية الأوسع شمولية وتفصيلاً في عرض هذه الفكرة العريقة في الفكر الديني والإنساني.

يقول العلّامة الشهيد آية الله العظمىٰ السيّد محمّد باقر الصدر: وإذاكانت فكرة المهدي أقدم من الإسلام وأوسع منه، فإن معالمها التفصيلية التي حددها الإسلام جاءت أكثر اشباعاً لكلّ الطموحات التي إنشدّت إلىٰ هذه الفكرة منذ فجر التاريخ الديني، وأغنىٰ عطاءاً وأقوىٰ إثارة لأحاسيس المظلومين والمعذّبين علىٰ مر التاريخ. وذلك لأنّ الإسلام حوّل الفكرة من غيبٍ الىٰ واقع، ومن مستقبل الىٰ حاضر، ومن التطلع الىٰ منقذ تتمخض عنه الدنيا في المستقبل البعيد المجهول الىٰ الإيمان بوجود المنقذ فعلاً، وتطلعه مع المتطلعين الىٰ اليوم الموعود الىٰ اكتمال كلّ الظروف التي تسمح له بممارسة دوره العظيم.

فلم يعد المهدي (عليه السلام) فكرة ننتظر ولادتها، ونبوءة نتطلع الىٰ مصداقها، بل واقعاً قائماً ننتظر فاعليته، وإنساناً معيّناً يعيش بيننا بلحمه ودمه، نراه ويراناً، ويعيش آمالنا وآلامنا ويشاركنا أحزاننا وأفراحنا، ويشهد كلّ ما تزخر به الساحة علىٰ وجه الأرض من عذاب المعذّبين وبؤس البائسين وظلم الظالمين، ويكتوي بذلك من قريب أو بعيد، وينتظر بلهفة اللحظة التي يُتاح له فيها أن يمد يده الىٰ كلّ مظلوم وكلّ محروم وكلّ بائس ويقطع

دابر الظالمين.

وقد قُدّر لهذا القائد أن لا يُعلن عن نفسه ولا يكشف للآخرين هويته ووجوده علىٰ الرغم من أنه يعيش معهم انتظاراً للحظة الموعودة.

ومن الواضح أن الفكرة بهذه المعالم الإسلامية تقرّب الهوّة الغيبية بين المظلومين ـ كلّ المظلومين ـ وبين المنقذ المنتظر، وتجعل الجسر بينهم وبينه في شعورهم النفسي قصيراً مهما طال الإنتظار.

ونحن حينما يُراد منّا أن نؤمن بفكرة المهدي بوصفنا تعبيراً عن إنسان حيّ محدد يعيش فعلاً كما نعيش، ويترقب كما نترقب، يُراد الإيحاء إلينا بأنّ فكرة الرفض المطلق لكلّ ظلم وجور، والتي يمثلها المهدي، تجسدت فعلاً في القائد الرافض المنتظر، الذي سيظهر وليس في عنقه بيعة لظالم كما في الحديث، وإنّ الإيمان به إيمان بهذا الرفض الحيّ القائم فعلاً ومواكبة له...»[(١)].

* * *

(١) بحث حول المهدي: ١٢ ـ ١٤.

الفصل الثالث

المهدي الموعود(عليه السلام) وغيبته في القرآن الكريم

إنّ أبرز ما تتميز به عقيدة مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) في المهدي الموعود عن غيرها من الفرق الإسلامية هو القول بوجوده بالفعل وغيبته وتحدد هويته بأنّه الإمام الثاني عشر من أئمة العترة النبوية الطاهرة، وأنه قد ولد بالفعل من الحسن العسكري(عليه السلام) سنة (٢٥٥ هـ) وتولىٰ مهام الإمامة بعد وفاة أبيه العسكري سنة ٢٦٠ للهجرة وكانت له غيبتان الأُولىٰ وهي الصغرىٰ استمرت الىٰ (٣٢٩هـ) كان الإمام يتصل خلالها بشيعته عبر سفرائه الخاصين، ثم بدأت الغيبة الكبرىٰ المستمرة حتىٰ يومنا هذا والىٰ أن يأذن الله عزّ وجلّ بالظهور لأنجاز مهمته الكبرىٰ في إقامة الدولة الإسلامية العالمية التي يسيطر فيها العدل والقسط علىٰ أرجاء الأرض إن شاء الله تعالىٰ.

ويتفق أهل السنّة علىٰ انتماء المهدي الموعود لأهل البيت(عليهم السلام) وأنّه من ولد فاطمة(عليها السلام) وقد اعتقد جمع منهم بولادته لكن بعضهم ذهب الى أنه سيُولد ويظهر في آخر الزمان ليحقق مهمته الموعودة دون أن يستند الىٰ دليل نقلي ولا عقلي في ذلك سوى الإستناد الىٰ الأحاديث المشيرة الىٰ أنّ ظهوره يكون في آخر الزمان. وليس هذا دليلاً تاماً علىٰ أنّ ولادته ستكون في آخر الزمان أيضاً كما أنه ليس فيه نفي للغيبة؛ لأنها والظهور لا يكونان في زمن واحد لكي يُقال بأنَّ إثبات الظهور في آخر الزمان يعني نفي الغيبة

دفعاً لإجتماع النقيضين المحال عقلاً، فرأي الإمامية هو أنّ الغيبة تكون قبل الظهور فلا تعارض بينهما.

ومدرسة أهل البيت(عليهم السلام) تقدّم الأدلة لإثبات الغيبة بتفصيل في كتبها العقائدية المشهورة[١].

وقد لاحظنا سابقاً أن البشارات السماوية الواردة في الأديان السابقة بشأن المنقذ العالمي الموعود في آخر الزمان لا تنطبق بالكامل إلّا علىٰ المهدي ابن الحسن العسكري(عليهما السلام) الذي تؤمن به مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، بل وتصرّح بغيبته وهذا أهم ما يميّز رأي الإمامية كما تصرّح بأنه خاتم الأئمة الاثني عشر وتشير الىٰ خصائص لا تنطبق علىٰ سواه، الأمر الذي جعل التعرّف علىٰ عقيدة الإماميّة في المهدي المنتظر وسيلة ناجحة في حل الاختلاف في تحديد هوية المنقذ العالمي إستناداً الىٰ المنهج العلمي في دراسة هذه البشارات.

ونعرض هنا مجموعةً من الآيات الكريمة التي تدل بصورة مباشرة علىٰ حتمية أن يكون في كلّ زمان إمام حقّ يهدي الناس الىٰ الله ويشهد علىٰ أعمالهم ليكون حجّة الله عزّ وجلّ علىٰ أهل زمانه في الدنيا والآخرة، والتي تحدد له صفات لا تنطبق ـ في عصرنا الحاضر ـ علىٰ غير الإمام المهدي الذي تقول مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) بوجوده وغيبته. فتكون هذه الآيات دالة علىٰ صحة عقيدة الإمامية في المهدي المنتظر، وهي في الواقع من الآيات

---

(١) مثل رسائل الشيخ المفيد في الغيبة وهي خمس رسائل إضافة الىٰ كتاب الفصول العشرة في الغيبة، وكتاب المقنع في الغيبة للسيّد المرتضىٰ، وكتاب الغيبة للشيخ الطوسي، وكتاب إكمال الدين للشيخ الصدوق، وكتاب الغيبة للشيخ النعماني، وعموم كتب الإمامة كالشافي وتلخيصه وغيرها فقد حفلت بأشكال الأدلة علىٰ هذا الموضوع وهي كثيرة للغاية.

المثبتة لاستحالة خلو الأرض من إمام الحقّ في أي زمان، ودلالتها علىٰ المقصود واضحة لا تحتاج الىٰ المزيد من التوضيح إلّا أنّ الخلافات السياسية التي شهدها التاريخ الإسلامي وانعكاساتها في تشكيل الآراء العقائدية؛ أدّت الىٰ التغطية علىٰ تلك الدلالات الواضحة وصرفها الىٰ تأويلات بعيدة عن ظواهرها البيّنات.

ونكمل هذا البحث بدراسة لدلالات طائفة من الأحاديث الشريفة التي صحت روايتها عن الرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله) في الكتب الستة المعتبرة عند أهل السنّة وغيرها من الكتب المعتبرة عند جميع فرق المسلمين؛ فهي تشكل حجّة عليهم جميعاً؛ وهي تكمّل دلالات الآيات الكريمة المشار إليها وتشخص المصاديق التي حددت الآيات صفاتها العامة. وتثبت أنّ المهدي الموعود الذي بشر به رسول الله(صلى الله عليه وآله) هو الإمام الثاني عشر من أئمة العترة النبوية وهو ابن الحسن العسكري سلام الله عليه.

١ ـ عدم خلو الزمان من الإمام

قال الله تعالىٰ: ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً* وَمَن كَانَ فِي هٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً ﴾[١].

وهذا نصٌّ صريح علىٰ أنّ لكلّ أهل زمان «كلّ أُناس» إمام يُدعون به يوم القيامة. ويكون الإحتجاج به عليهم أو ليكون شاهداً عليهم يوم الحساب وهذا أيضاً يتضمن معنىٰ الإحتجاج عليهم. فَمن هو «الإمام» المقصود في

(١) الإسراء (١٧): ٧١ ـ ٧٢.

الآية الكريمة الأُولىٰ؟

للإجابة يلزم الرجوع الىٰ المصطلح القرآني نفسه لمعرفة المعاني المرادة منه والإهتداء به لمعرفة المنسجم مع منطوق النص القرآني المتقدم.

لقد أُطلق لفظ «الإمام» في القرآن الكريم علىٰ مَن يُقتدىٰ به من الأفراد، وهو علىٰ نوعين لا ثالث لهما في الاستخدام القرآني وهما: الإمام المنصوب من قبل الله تبارك وتعالىٰ لهداية الخلق إليه بأمره عزّ وجلّ، كما في قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾[١]، وقوله: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾[٢]، وقوله: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَارِثِينَ﴾[٣]، وقوله: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴾[٤]. فيُلاحظ في جميع هذه الموارد أنها تنسب جعل الإمامة الىٰ الله سبحانه مباشرة.

أما النوع الثاني فهو مَن يُقتدىٰ به للضلال كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ﴾[٥]، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ لاَ يُنصَرُونَ﴾[٦].

هذا في الأفراد أما في غير الأفراد فقد أُستخدم في معنيين وبصورة المفرد فقط في حين ورد بالمعاني السابقة بصيغة المفرد وصيغة الجمع، والمعنىٰ الأوّل هو التوراة كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَاماً

---

(١) الأنبياء (٢١): ٧٣.

(٢) البقرة(٢): ١٢٤.

(٣) القصص (٢٨): ٥.

(٤) الفرقان (٢٥): ٧٤.

(٥) التوبة (٩): ١٢.

(٦) القصص (٢٨): ٤١. والجعل هنا بمعنىٰ «تصييرهم سابقين في الضلال يقتدي بهم اللاحقون» الميزان: ٣٨/١٦، فليس هنا بمعنىٰ النصب كما هو حال أئمة الهدىٰ.

وَرَحْمَةً ﴾[١]، وربّما يُستفاد من هذا الاستخدام صدق وصف «الإمام» علىٰ الكتب السماوية الأُخرىٰ أو الرئيسة منها علىٰ الأقل. أما المعنىٰ الثاني فهو اللوح المحفوظ كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾[٢].

الإمام المقصود في الآية

فمَن هو «الإمام» المقصود في الآية والذي لا يخلو زمان من مصداق له ويُدعىٰ به أهل عصره يوم القيامة؟ هل هو شخصٌ معيّنٌ أم هو أحد الكتب السماوية في كلّ عصر أم هو اللوح المحفوظ؟

لا يمكن أن يكون المراد هنا الكتب السماوية ولا اللوح المحفوظ، لأنّ الآية عامة وصريحة بأنّ مدلولها ـ وهو عدم خلو أي زمان، وقوم من إمام ـ يشمل الأولين والآخرين، في حين أنّ من الثابت قرآنياً وتاريخياً أنّ أوّل الكتب السماوية التشريعية هو كتاب نوح(عليه السلام)، فالقول بأنّ المراد بالإمام في الآية أحدها في كلّ عصر يعني إخراج الأزمنة التي سبقت نوحاً(عليه السلام) من حكم الآية وهذا خلاف صريح منطوقها بشمولية دلالتها لكلّ عصر كما يدلّ عليه قوله(عليه السلام) ﴿ **كلّ أُناس** ﴾.

كما لا يمكن تفسير الإمام في الآية باللوح المحفوظ لأنه واحدٌ لا يختص بأهل زمان معين عن غيرهم في حين أن الآية الكريمة تصرّح بأنّ لكلّ أُناس إماماً.

إذن لا يبقىٰ إلّا القولان الأولان، فالمتعين أن يكون المراد من الإمام في الآية من يأتم به أهل كلّ زمان في سبيلي الحقّ أو الباطل. أو أن يكون المراد

(١) هود (١١): ١٧.

(٢) يس (٢٦): ١٢.

فيها إمام الحقّ خاصة وهو الذي يجتبيه الله سبحانه في كلّ زمانٍ لهداية الناس بأمره تبارك وتعالىٰ ويكون حجّة الله عزّ وجلّ عليهم يدعوهم به يوم القيامة للاحتجاج به عليهم سواءٌ كان نبيّاً كإبراهيم الخليل ومحمّد ـ عليهما وآلهما الصلاة والسلام ـ أو غير نبي كأوصياء الأنبياء(عليهم السلام).

ويكون المراد بالدعوة في الآية هو الإحضار، أي أنّ كلّ أُناس ـ في كلّ عصر ـ محضرون بإمام عصرهم، ثم يُؤتىٰ مَن اقتدىٰ بإمام الحقّ كتابه بيمينه ويظهر عمىٰ مَن عمي عن معرفة الإمام الحقّ في عصره وأعرض عن إتباعه.

وهذا ما يعطيه التدبر في الآيتين الكريمتين مورد البحث كما يقول العلّامة الطباطبائي في تفسيرهما[1]، وقد عرض في بحثه لجميع أقوال المفسّرين الأُخرى في تفسير معنىٰ الإمام هنا وبيّن عدم إنسجامها مع الاستخدام القرآني وظاهر الآيتين، وهي أقوال واضحة البطلان، ولعل أهمها القول بأنّ المراد من الإمام: النبيّ العام لكلّ أُمّة، كأن يُدعىٰ بأُمّة إبراهيم أو أُمّة موسىٰ أو أُمّة عيسىٰ أو أُمّة محمّد ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ ، وهذا القول أيضاً غير منسجم مع ظاهر الآيتين أيضاً لأنه يُخرج من حكمها العام الأُمم التي لم يكن فيها نبي وهذا خلاف ظاهرهما كما أنه مدحوض بالآيات الأُخرى التي سنتناولها لاحقاً إن شاء الله.

الإمام المنقذ من الضلالة

وعليه يكون محصّل الآيتين الكريمتين هو الدلالة علىٰ حتمية وجود إمام حقّ يُهتدىٰ به في كلّ عصر، يكون حجّة الله عزّ وجلّ علىٰ أهل زمانه في

(١) تفسير الميزان: ١٣/ ١٦٥ ـ ١٦٩، وما أوردناه مستفادٌ من بحثه التفسيري لهما.

الدنيا والآخرة، فتكون معرفة وإتباعه في الدنيا وسيلة النجاة يوم الحشر؛ فيما يكون العمىٰ عن معرفته وإتباعه في الدنيا سبباً للعمىٰ والضلال الأشد في الآخرة يوم يُدعىٰ كلّ أُناس بإمام زمانهم الحقّ، ويُقال للضالين عنه: هذا إمامكم الذي كان بين أظهركم فلماذا عميتم عنه؟ وبذلك تتم الحجّة البالغة عليهم، وتتضح حكمة دعوتهم وإحضارهم به يوم القيامة.

ونصل الآن للسؤال المحوري المرتبط بما دلّت عليه هاتان الآيتان، وهو: ـ مَن هو إمام الحقّ الذي يمثّل حجّة الله علىٰ خلقه في عصرنا هذا، والذي لابد له من مصداق في سائر العصور كما نصت عليه الآيتان المتقدمتان وغيرهما كما سنرىٰ؟

للإجابة علىٰ هذا السؤال من خلال النصوص القرآنية وحدها بإعتبارها حجّة علىٰ الجميع ـ ينبغي معرفة الصفات التي تحددها الآيات الكريمة لإمام الحقّ ثم البحث عمن تنطبق عليه في زماننا هذا.

المواصفات القرآنية لإمام الهدىٰ

والمستفاد من تفسير الآيتين المتقدمتين أنّ الإمام المقصود يجب أن تتوفر فيه الصفات التي تؤهله للاحتجاج به علىٰ قومه يوم القيامة من القدرة علىٰ الهداية والأهلية لأنّ يكون إتباعه موصلاً للهدىٰ وطاعته معبّرةً عن طاعة الله تبارك وتعالىٰ، وأن يكون قادراً علىٰ معرفة حقائق أعمال الناس وليس ظواهرها، أي أن يكون هادياً لقومه وشهيداً علىٰ أعمالهم، الأمر الذي يستلزم أن يكون قادراً علىٰ تلقي الهداية الإلهية وحفظها ونقلها للناس، كما يجب أن يكون أهلاً لأنّ يتفضل عليه الله عزّ وجلّ بعلم الكتاب والأسباب التي تؤهله لمعرفة حقائق أعمال الناس للشهادة بشأنها والإحتجاج به عليهم

يوم القيامة. وسيأتي المزيد من التوضيح لذلك في الفقرتين اللاحقتين.

كما ينبغي أن يكون متحلّياً بأعلىٰ درجات العدالة والتُّقىٰ لكي لا يخلّ بأمانة نقل الهداية الإلهية الى قومه، وكذلك لكي لا يحيف في شهادته عليهم يوم القيامة. أي أن يتحلىٰ بدرجة عالية من العصمة، وهذا ما يُصرح به القرآن الكريم في قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّالِمِينَ ﴾[1]. فالإمامة «عهد» من الله تبارك وتعالىٰ لا ينال من تلبس بظلمٍ مطلقاً ومعلومٌ أنّ ارتكاب المعاصي مصداق من مصاديق الظلم، لذا فالمؤهل للإمامة يجب أن يكون معصوماً.

وحيث إنّ الله تبارك وتعالىٰ قد أقرَّ طلب خليله إبراهيم النبيّ(عليه السلام) في جعل الإمامة في ذريته ولم يقيّدها إلّا بأنها لا تنال غير المعصومين، نفهم أنّ الذرية الإبراهيمية لا تخلو من متأهل للإمامة الىٰ يوم القيامة، وهذا ما يؤكده قوله عزّ وجلّ: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[2].

ولما كانت الإمامة عهداً إلهياً، كان الإمام مختاراً لها من الله عزّ وجلّ ـ وهو الأعلم حيث يجعل رسالته ـ وهذا ما تؤكده الآيات الكريمة فقد نسبت جعل الإمام الىٰ الله مباشرة ولم تنسبه لغيره كما هو واضحٌ في الآيتين المتقدمتين من سورتي الزخرف والبقرة وغيرهما. ويتحقق هذا الاختيار الإلهي لشخصٍ معيّن للإمامة من خلال النص الصادر من ينابيع الوحي ـ القرآن والسنّة ـ أو مَن ثبتت إمامته وعصمته، أو ظهور المعجزات الخارقة

---

(١) البقرة (٢): ١٢٤.

(٢) الزخرف (٤٣): ٢٨، ولاحظ قوله تعالىٰ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَابَ﴾ العنكبوت (٢٩): ٢٧.

للعادة علىٰ يديه حيث تثبت صحة إدعائه الإمامة.

إذن فإمام زماننا الذي دلّت آيتا سورة الإسراء علىٰ حتمية وجوده يجب أن يكون هادياً لقومه وشهيداً علىٰ أعمالهم ليصح الإحتجاج به يوم القيامة، وأن يكون معصوماً ومن الذرية الإبراهيمية التي ثبت بقاء الإمامة فيها، وأن يكون منصوصاً عليه من قبل الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) أو مَن ثبتت إمامته، أو أن يكون قد ظهرت علىٰ يديه من المعجزات التي تُثبت إرتباطه بالسماء وصحة إدعائه الإمامة.

مصداق الإمام في عصرنا الحاضر

فمَن الذي تتوفر فيه هذه الصفات في عصرنا الحاضر؟ من الواضح أنه لا يوجد شخص ظاهر تنطبق عليه هذه الصفات وليس ثمّة شخصٌ ظاهرٌ يدعيها أيضاً، فهل يكون عدم وجود شخص ظاهر تتوفر فيه هذه الصفات يعني خلو عصرنا من مثل هذا الإمام؟

الجواب سلبي بالطبع؛ لأنه يناقض صريح دلالة آيتي سورة الإسراء، فلا يبقىٰ أمامنا إلّا القول بوجوده وغيبته وقيامه بالمقدار اللازم للإحتجاج به علىٰ أهل زمانه يوم القيامة والذي هو من مهام الإمام، حتىٰ في غيبته.

وهذا ما تقوله مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) في المهدي المنتظر(عليه السلام) وتتميز به عمّا سواها، وتقيم الأدلة النقلية والعقلية الدالة علىٰ توفر جميع الشروط والصفات المتقدّمة فيه من العصمة والنص عليه من الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) ومَن ثبتت إمامته من آبائه(عليهم السلام)، كما ثبت صدور المعجزات عنه في غيبته الصغرىٰ بل والكبرىٰ أيضاً وقيامه عملياً بما يتيسّر له من مهام الإمامة في غيبته كي يتحقق الإحتجاج به علىٰ أهل زمانه، كما هو مدوّن في الكتب التي

صنّفها علماء هذه المدرسة[١].

وتكفي هنا الإشارة الىٰ أنّ بعض هذه الكتب قد دوّنت قبل ولادة الإمام المهدي(عليه السلام) بفترة طويلة تفوق القرن وفيها أحاديث شريفة تضمّنت النص علىٰ إمامته والإخبار عن غيبته وطول هذه الغيبة قبل وقوعها وهذا أوضح شاهد علىٰ صحتها كما استدل بذلك العلماء إذ جاءت الغيبة مصدّقة لما أخبرت عنه النصوص المتقدّمة عليها وفي ذلك دليل واضح علىٰ صدورها من ينابيع الوحي[٢].

٢ ـ في كلّ زمان إمام شهيد علىٰ أُمته

قال تعالىٰ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هٰؤُلاَءِ شَهِيداً ﴾[٣].

وقال: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ثُمَّ لاَ يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾[٤].

وقال: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَىٰ هٰؤُلاَءِ ﴾[٥].

---

(١) راجع في الباب مثلاً كتاب منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر لآية الله الشيخ لطف الله الصافي فقد جمع الكثير من النصوص المروية من طرق أهل السنّة والشيعة، وراجع أيضاً كتاب إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات للحر العاملي، وفرائد السمطين للحمويني الشافعي، وينابيع المودة للحافظ القندوزي الحنفي وغيرها كثير.

(٢) راجع هذا الاستدلال في مقدمة كتاب كمال الدين للشيخ الصدوق: ١٢، والفصل الخامس من الفصول العشرة في الغيبة للشيخ المفيد، وكذلك الرسالة الخامسة من رسائل الغيبة. وكتاب الغيبة للشيخ الطوسي: ١٠١ وما بعدها، وإعلام الورىٰ للشيخ الطبرسي: ٢٥٧/٢ وما بعدها وكشف المحجة للسيّد ابن طاووس: ١٠٤، وغيرها.

(٣) النساء (٤): ٤١.

(٤) النحل (١٦): ٨٤.

(٥) النحل (١٦): ٨٩.

وقال: ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[١].

إنّ هذه الآيات الكريمة تتحدّث عن الإحتجاج الإلهي علىٰ البشر يوم القيامة، وهو الإحتجاج نفسه الذي لاحظناه في آيتي سورة الإسراء المتقدمتين، وهي تدعم وتؤكد دلالتهما علىٰ حتمية وجود إمام حقّ في كلّ عصرٍ يحتج به الله جلّ وعلا علىٰ أهل كلّ عصر «كلّ أُمة، كلّ أُناس» فيما يرتبط بالهداية والضلال وإنطباق أعمالهم علىٰ الدين الإلهي القيّم.

واضحٌ أنّ مقتضىٰ كونه حجّة لله علىٰ خلقه أن يكون عالماً بالشريعة الإلهية من جهةٍ لكي يكون قادراً علىٰ هداية الخلق إليها وأن يكون بين أظهرهم للقيام بذلك، هذا أولاً، وثانياً أن يكون محيطاً بأعمال قومه لكي يكون شهيداً عليهم، أي يستطيع الشهادة يوم القيامة بشأن مواقفهم تجاه الدين القيّم.

وواضح أنّ الشهادة المذكورة في هذه الآيات مطلقة، «وظاهر الجميع علىٰ إطلاقها هو الشهادة على أعمال الأُمم وعلىٰ تبليغ الرسل أيضاً»[٢] وقد صرّح الزمخشري في الكشاف بذلك وقال: «لأنّ أنبياء الأُمم شهداء عليهم يشهدون بما كانوا عليه»[٣]، وأن الشهيد: «يشهد لهم وعليهم بالإيمان والتصديق والكفر والتكذيب»[٤]. والشهيد يجب أن يكون حيّاً معاصراً لهم غير متوفىٰ كما يشير لذلك قوله تعالىٰ علىٰ لسان عيسىٰ (عليه السلام): ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ

(١) القصص (٢٨): ٧٥.

(٢) تفسير الميزان: ٣٢٠/١.

(٣) تفسير الكشاف: ١٨٩/٣ تفسير آية (٧٥) سورة القصص.

(٤) تفسير الكشاف: ٤٢٣/٢ تفسير آية (٨٤) سورة النحل.

شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنْتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[1].

يُستفاد من هذه الآية أنّ إعلان نتاج الشهادة يكون في يوم القيامة لكـن الإحاطة بموضوعها أي أعمال القوم يكون في الدنيا وخلال معاصرة الشهيد لأُمته لقوله تعالىٰ: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي...﴾، لذلك يجب أن يكون الشهيد الذي يحتج به الله يوم القيامة معاصراً لمَن يشهد عليهم، لذا لا يمكن حصر الشهداء علىٰ الأُمم بالأنبياء(عليهم السلام) كما فـعل الزمـخشري فـي تفسيره[2]، بل يجب القول بأنّ في كلّ عصرٍ شهيدٌ علىٰ أعمال معاصريه، كما صرّح بذلك الفخر الرازي في تفسيره حيث قال: أما قوله تعالىٰ: ﴿وَنَزَعْنَا مِـن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً﴾، فالمراد ميّزنا واحداً ليشهد عليهم، ثم قال بعضهم هم الأنـبياء يشهدون بأنهم بلّغوا القوم الدلائل وبلّغوا فـي إيـضاحها كـلّ غـاية ليُـعلم أن التقصير منهم [أي من الناس] فيكون ذلك زائداً في غمّهم.

وقال آخرون: بل هم الشهداء الذين يشهدون علىٰ الناس في كلّ زمان، ويدخل في جملتهم الأنبياء، وهذا أقرب لأنه تعالىٰ عمَّ كلّ أُمةٍ وكلّ جماعة بأنّ ينزع منهم الشهيد فيدخل فيه الأحوال التـي لم يُـوجد فـيها النـبيّ وهـي أزمنة الفترات والأزمنة التي حصلت بعد محمّد(صلى الله عليه وآله) فعلموا حينئذٍ أنّ الحـقّ لله ولرسوله...»[3].

إذن فلابدّ من وجود شهيد علىٰ الأُمة في هذا العصر كما هو الحال في كلّ عصر، يؤيد ذلك استخدام آيتي سورة النساء والنحل لاسم الإشارة «هؤلاء» في الحديث عن شهادة الرسول الأكرم مـحمّد(صلى الله عليه وآله): ﴿وَجِـئْنَا بِكَ عَـلَىٰ هٰـؤُلَاءِ

---

(١) المائدة (٥): ١١٧.

(٢) تفسير الكشاف: ١٨٩/٣ تفسير آية (٧٥) سورة القصص.

(٣) التفسير الكبير: ١٢/٢٥ ـ ١٣ راجع في ذلك مجمع البيان ٧: ٤٥٤ في ذلك الآية (٧٥) سورة القصص.

شَهِيداً﴾ إشارة الىٰ معاصريه فيما يكون شهداء آخرون علىٰ الأجيال اللاحقة[١]. فمَن هو الشهيد علينا في هذا العصر؟! نعود الىٰ الآيات الكريمة لمتابعة ما تحدده من الصفات الهادية الىٰ معرفته والإجابة علىٰ هذا التساؤل.

صفات الشهيد الإمام

إنّ الآية (٨٩) من سورة النحل تصرّح بأنه من البشر أنفسهم ﴿شَهِيداً عَلَيْهِم مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ وهو المستفاد من الآيات الأُخرى فهي تستخدم «من» التبعيضية في قوله تعالىٰ: ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً﴾.

فالشهيد هو كالأنبياء بشرٌ، لا هو من الملائكة ولا من الجن ولا من الكتب السماوية ولا اللوح المحفوظ، وفي هذا تأييد لما تقدّم في الحديث عن آيتي سورة الإسراء أنّ المقصود فيهما من الإمام شخص لا كتاب سماوي، إذ أن الآيتين تتحدثان عن الإحتجاج الإلهي به علىٰ أُمّته وهذا هو دور الشهيد في هذه الآيات أيضاً، فالمقصود واحد في كلتا الحالتين، فالإمام هو أيضاً منهم.

والآيات الكريمة تستخدم صيغة المفرد في وصفه، أي إنّ الشهيد علىٰ قومه واحد في زمانه الذي يعاصره حيّاً، وهذا ينسجم مع استخدام آية سورة الإسراء المتقدّمة لصيغة المفرد في ذكر الإمام ﴿كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾. الأمر الذي ينفي التفسير القائل بأنّ الأُمّة الإسلامية جمعاء أو جماعة المؤمنين الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر هي الشهيدة علىٰ أعمال قومها أو الأقوام الأُخرى المعاصرة لها، والأمر نفسه يصدق علىٰ نفي القول بأنّ مصداق هذه

---

(١) التفسير الكبير ٢٠: ٩٨، وتفسير الكشاف ٢: ٤٢٤ ، بحار الأنوار، المجلسي ٧: ٣٠٩، تفسير ابن كثير ٢: ٦٠٣، تفسير آية (٨٩) سورة النحل.

الآيات هم «الأبدال» الذين لا يخلو منهم زمان كما ورد في الروايات المروية من طريق الفريقين[١]. بل شهيد الأعمال في زمانه واحدٌ لا أكثر.

وحيث إنّ دوره هو الشهادة علىٰ أعمال أُمته بالكفر والتكذيب أو الإيمان والتصديق كما تقدّم القول عن الزمخشري وهذه حالات قلبية وحيث إن: «من الواضح أن هذه الحواس العادية التي فينا والقوىٰ المتعلّقة بها منا لا تتحمّل إلّا صور الأفعال والأعمال فقط، وذلك التحمل أيضاً إنّما يكون في شيء يكون موجوداً حاضراً عند الحس لا معدوماً ولا غائباً عنه، وأما حقائق الأعمال والمعاني النفسانية من الكفر والإيمان والفوز والخسران، وبالجملة كلّ خفي عن الحس، ومستبطنٍ عند الإنسان ـ وهي التي تكسب القلوب وعليه يدور حساب ربّ العالمين يوم تبلىٰ السرائر كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾[٢] ـ فهي ممّا ليس في وسع الإنسان إحصاؤها والإحاطة بها وتشخيصها من الحاضرين فضلاً عن الغائبين إلّا رجل يتولىٰ الله أمره ويكشف ذلك له بيده»[٣].

لذلك يجب أن تكون للشهيد علىٰ أُمته إحاطة علمية ربانية بحقائق أعمالهم لأنّ قيمة الأعمال في الميزان الإلهي هي لحقائقها الباطنية ودوافعها ونواياها كما هو واضح، لذلك لا يمكن أن يكون هذا الشهيد علىٰ أُمته شخصاً عادياً بل من الذين يحظون بنعمة التسديد الإلهي المباشر ومن الذين ارتضاهم الله سبحانه فأطلعهم علىٰ غيبه إذ من مصاديق غيبه معرفة بواطن

---

(١) راجع معجم أحاديث الإمام المهدي: ١/٢٧٤، نقلاً عن مسند أحمد وغيره من المجاميع الروائية لأهل السنّة.

(٢) البقرة (٢): ٢٢٥.

(٣) تفسير الميزان: ١/٣٢٠ ـ ٣٢١.

أعمال الناس.

«ومن المعلوم أنّ هذه الكرامة لا ينالها جميع أفراد الأُمّة، إذْ ليست [هي] إلّا كرامة خاصة للأولياء الطاهرين منهم، وأما مَن دونهم من المتوسطين في السعادة والعدول من أهل الإيمان فليس لهم ذلك... إنّ أقل ما يتصف به الشهداء ـ وهم شهداء الأعمال ـ أنهم تحت ولاية الله ونعمته وأصحاب الصراط المستقيم»(١).

الشهيد عنده «علم الكتاب»

وواضح أنّ هذا الإطلاع علىٰ بواطن الناس غير ممكن بالأسباب الطبيعية المتعارفة بل يحتاج الىٰ نمط خاصٍ من العلم يتفضل به الله تبارك وتعالىٰ بحكمته علىٰ مَن يشاء من عباده ـ وهو عزّ وجلّ الأعلم حيث يجعل رسالته(٢) ـ فيتمكن به العبد من تجاوز ما تعارف عليه الناس من الأسباب الطبيعية والقيام بما يمكن القيام به بواسطة هذه الأسباب فتكون له مرتبة من الولاية التكوينية وتجاوز الأسباب الطبيعية بإذن الله، وهذا النمط الخاص من العلم هو ما سُمّي في القرآن الكريم بـ«علم الكتاب».

كما نلاحظ ذلك في قصة إتيان آصف بن برخيا بعرش بلقيس من اليمن الىٰ فلسطين في طرفة عين فقد علل القرآن قدرته علىٰ القيام بهذا العمل في زمنٍ قصيرٍ للغاية بحيث لا يتصوّر تحقّقه علىٰ وفق الأسباب الطبيعية، بما كان لديه من علم الكتاب» لاحظ قوله عزّ وجلّ: ﴿ **قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِندَهُ قَالَ هٰذَا مِن فَضْلِ**

(١) تفسير الميزان: ٣٢١/١.

(٢) إشارة الىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ الأنعام: ١٢٤.

رَبِّي ﴾[١].

وكان آصف بن برخيا وصيّاً لسليمان النبيّ(عليه السلام) أراد أن يعرّف الناس بأنه الحجّة من بعده بإبراز علمه المأخوذ من الكتاب[٢]، وكان عنده مقدار معيّن من علم الكتاب وليس كلّه كما هو واضح من استخدام «من» التبعيضية في الآية المتقدّمة.

ومنه يتّضح أنّ الذي لديه علم الكتاب كلّه تكون له مرتبة أعلىٰ من هذه الولاية التكوينية والتصرّف في الأسباب والقدرة علىٰ الإحاطة ببواطن أعمال الناس وتقديم الشهادة الكاملة بأحقيّة الرسالة الإلهية.

وعليه فالشهيد علىٰ قومه ينبغي أن يكون لديه علم من الكتاب ـ كلاً أو بعضاً ـ أو يمكن القول كحدٍّ أدنىٰ بأنّ الذي عنده هذا النمط الخاص من العلم قادرٌ علىٰ ذلك. يقول عزّ من قائل في آخر سورة الرعد: ﴿ **وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ ٱلْكِتابِ** ﴾[٣].

وقد ثبت من طرق أهل السنّة ـ كما نقل ذلك الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل[٤] ـ ومن عدة طرق، وكذلك ثبت من طرق مذهب أهل البيت(عليهم السلام)[٥]: إنّ الآية الكريمة نزلت في الإمام عليّ(عليه السلام)، وإنَّ علم الكتاب

---

(١) النمل (٢٧): ٤٠.

(٢) الاختصاص، الشيخ المفيد: ٩٣، مناقب آل أبي‌طالب، ابن شهر آشوب ٣: ٥٠٧ .

(٣) الرعد (١٣): ٤٣.

(٤) شواهد التنزيل ١: ٤٠٠ ـ ٤٠٥ / ح٤٢٢ ـ ٤٢٧ نقل ستة أحاديث مسندة الى أبي سعيد الخدري، وابن عباس، وابن الحنفية، والإمام الباقر وأبي صالح، وكلّهم يقول انّه عليّ بن أبي طالب(عليه السلام)، تفسير الثعلبي ٥: ٣٠٣ نقل حديثين أحدهما بسنده الى الإمام الباقر(عليه السلام) والثاني الى محمّد بن الحنفية، فيهما أنّ من عنده علم الكتاب هو عليّ بن أبي طالب.

(٥) بصائر الدرجات، محمّد بن الحسن الصفار: ٢٣٢ ـ ٢٣٦، ح١ ـ ٢١ باب مما عند الأئمة عليهم الصلاة ←

عنده وعند الأئمة من أولاده(عليهم السلام).. وليس هناك من يدعيه غيرهم وقد صدّقت سيرتهم(عليهم السلام) ذلك والكثير مما نقله عنهم حفاظ أهل السنّة والشيعة يشهد علىٰ صدق مدّعاهم هذا.

إذن فالمتحصل من الآيات الكريمة المتقدّمة:

١ ـ حتمية وجود من يجعله الله تبارك وتعالىٰ شهيداً علىٰ أعمال العباد في كلّ عصر بحيث يحتج به علىٰ أهل عصره وأمته يوم القيامة، فهو إمام زمانهم الذي يُدعون به، ويكون من أنفسهم.

٢ ـ وهذا الإمام الشهيد قد يكون نبياً وقد يكون من الأوصياء في الفترات التي ليس فيها نبيّ كما هو حال عصرنا الحاضر والعصور التي تلت عصر خاتم الأنبياء محمّد(صلى الله عليه وآله). إذ الآيات مطلقة تشمل كلّ الأزمان كما هو ظاهر. فالإمام الشهيد موجود إذن في عصرنا الحاضر.

٣ ـ والإمام الشهيد في عصرنا الحاضر حيٌّ أيضاً كما هو المستفاد مما حكاه القرآن الكريم علىٰ لسان عيسىٰ(عليه السلام).

٤ ـ ولابدّ أن يكون هذا الإمام الشهيد علىٰ أهل زمانه مسدداً بالعناية الإلهية ممن تفضّل الله عزّ وجلّ عليه بنمط من الولاية التكوينية التي يصل بها الىٰ حقائق أعمال من يشهد لهم أو عليهم يوم القيامة. ومظهر هذا التسديد والفضل الإلهي هو أن يكون لديه علم من الكتاب أو علم الكتاب كلّه.

٥ ـ وحيث إنّ مثل هذا الشخص غير ظاهر فلابدّ من القول بغيبته الظاهرية، وقيامه بما يؤهله لأنّ يحتج الله تبارك وتعالىٰ به يوم القيامة خلال غيبته.

← والسلام من اسم الله الأعظم وعلم الكتاب، الكافي، الكليني ١: ٢٢٨ باب: أنّه لم يجمع القرآن كلّه إلّا الأئمة(عليهم السلام) وأنّهم يعلمون علمه كلّه.

٦ ـ قد ثبت ـ من طرق أهل السنّة والشيعة ـ أن لدىٰ الإمام عليّ والأئمة من أولاده(عليهم السلام) علم الكتاب حسب ما نص عليه القرآن الكريم بالوصف الذي لا ينطبق علىٰ غيره.

وقد أثبت المفسر الكبير العلّامة محمّد حسين الطباطبائي في كتابه القيّم (الميزان في تفسير القرآن)، عدم إنسجام الأقوال الأُخرىٰ مع منطوق الآية الأخيرة من سورة الرعد لذلك فإن المواصفات المستفادة من الآيات الكريمة تنطبق عليهم، وحيث لم يدّعِ غيرهم ذلك فانحصر الأمر بهم. وقولهم في الإمام الثاني عشر منهم، وهو محمّد بن الحسن العسكري ـ عليهم السلام جميعاً ـ بغيبته وقيامه بمهام الإمامة وما تقتضيه مهمة الشهادة علىٰ أهل زمانه يوم القيامة؛ ينسجم بشكل كامل مع دلالات الآيات الكريمة المتقدّمة التي لا تنطبق علىٰ غيره كما هو واضح بالاستقراء لعقائد الفرق الأُخرى.

إنّ هذه الطائفة من الآيات الكريمة تهدي الىٰ حتمية وجود مهدي آل البيت(عليهم السلام) وغيبته وقيامه بما تقتضيه مسؤولية الشهادة الإحتجاجية يوم القيامة. وهذا ما تؤكده ـ كما سوف نرىٰ ـ الآيات اللاحقة.

٣ ـ لا يخلو زمان من هادٍ الىٰ الله بأمره

قال تعالىٰ: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[1].

تصرّح الآية الكريمة وعلىٰ نحو الإطلاق بأنّ ﴿لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾. واستناداً الىٰ إطلاقها يُستفاد أن ثمة هادٍ الىٰ الحقّ في كلّ عصر.

---

(١) سورة الرعد (١٣): ٧.

وهذه الحقيقة منسجمة مع ما تدل عليه الآيات الكريمة وصحاح الأحاديث الشريفة والبراهين العقلية من أنّ ربوبية الله لخلقه اقتضت أن يجعل سبحانه وتعالىٰ لهم في كلّ عصرٍ حجّة له عليهم يهديهم الىٰ الحقّ، طبقاً لسنّته الجارية في جميع مخلوقاته في هدايتهم الىٰ الغاية من خلقها فهو كما قال: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ * وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾[1]. وهذه السنّة جارية علىٰ بني الإنسان أيضاً فهو تعالىٰ الذي خلقهم وقدّر بأنّ يهديهم الىٰ كمالاتهم المقدّرة لهم ويدلهم علىٰ مافيه صلاحهم في دنياهم وأُخراهم.

يقول السيّد الطباطبائي في معنىٰ الآية الكريمة: [أنّ الكفار] يقترحون عليك [أيّها النبيّ الخاتم(صلى الله عليه وآله)] آية؛ وعندهم القرآن أفضل آية؛ وليس إليك شيءٌ من ذلك، وإنما أنت هادٍ تهديهم من طريق الإنذار، وقد جرت سنة الله في عباده أن يبعثَ في كلّ قومٍ هادياً يهديهم»[2].

معنىٰ «الهادي» في القرآن

يقول السيّد الطباطبائي: «والآية [التي ذكرت أعلاه] تدل علىٰ أنّ الأرض لا تخلو من هادٍ يهدي الناس الىٰ الحقّ أما نبي منذر وأما هادٍ غيره يهدي بأمر الله»[3]. وإطلاق الآية الكريمة ينفي حصر مصداق «الهادي» في الآية بالأنبياء(عليهم السلام) كما ذهب لذلك الزمخشري في الكشاف في تفسير الآية، لأنّ هذا الحصر يخرج الفترات التي لم يكن فيها نبيّ من حكم الآية الكريمة العام وهذا خلاف ظاهرها المصرّح بوجود هادٍ في كلّ عصر لا تخلو الأرض منه.

---

(١) الأعلىٰ (٨٧) ٢ ـ ٣ وراجع تفسيرها في الجزء العشرين من تفسير الميزان.
(٢) تفسير الميزان ١١: ٣٠٥.
(٣) تفسير الميزان ١١: ٣٠٥.

فمَن هو الهادي في عصرنا الحاضر؟ نرجع الىٰ القرآن الكريم للحصول علىٰ الإجابة، فنلاحظ الآيات الكريمة تحصر أمر الهداية الىٰ الحقّ علىٰ نحو الأصالة بالله تبارك وتعالىٰ، ثم تثبتها للهادين بأمره علىٰ نحو التبعية، يقول عزّ وجلّ: ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَن يَهْدِي إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمْ مَن لاَ يَهِدِّي إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[1].

تلخّص الآية الكريمة وبلغة إحتجاجية الرؤية القرآنية لموضوع الهداية الىٰ الحقّ التي فصلتها العديد من الآيات الكريمة، وهي حصر الهداية الىٰ الحقّ بالله تبارك وتعالىٰ علىٰ نحو الإطلاق: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي إِلىَ الْحَقِّ﴾.

ثم قررت الآية الكريمة أن الذي يجب إتباعه من الخلق ليس الذي (لا يستطيع أن يهدي إلّا أن يهتدي بغيره من البشر)، بل الذي يكون مهتدياً بنفسه دون الحاجة الىٰ غيره من البشر، فإنّ الكلام في الآية ـ كما يقول العلّامة الطباطبائي في تفسيرها: «قد قوبل فيه قوله: ﴿يَهْدِي إِلىَ الْحَقِّ﴾ بقوله ﴿مَن لاَ يَهِدِّي﴾ مع أن الهداية الىٰ الحقّ يقابلها عدم الهداية الىٰ الحقّ، وعدم الإهتداء الىٰ الحقّ يقابله الإهتداء الىٰ الحقّ، فلازمُ هذه المقابلة الملازمةُ بين الإهتداء بالغير وعدم الهداية الىٰ الحقّ، وكذا الملازمة بين الهداية الىٰ الحقّ والإهتداء بالذات فالذي يهدي الىٰ الحقّ يجب أن يكون مهتدياً بنفسه لا بهداية غيره والذي يهتدي بغيره ليس يهدي الىٰ الحقّ أبداً.

هذا ما تدل عليه الآية بحسب ظاهرها الذي لا ريب فيه وهو أعدل شاهد علىٰ أنّ الكلام موضوع فيها علىٰ الحقيقة دون التجوزات المبنية علىٰ المساهلة التي نبني عليها ونتداولها فيما بيننا معاشر أهل العرف فننسب الهداية الىٰ الحقّ الىٰ كلّ مَن تكلّم بكلمةٍ حقٍّ ودعا إليها وإن لم يعتقد بها أو

---

(١) يونس (١٠): ٣٥.

اعتقد ولم يعمل بها أو عمل ولم يتحقق بمعناها، وسواءٌ اهتدىٰ إليها بنفسه أو هداه إليها غيره.

بل الهداية الىٰ الحقّ أعني الإيصال الىٰ صريح الحقّ ومتن الواقع ليس إلّا لله سبحانه أو لمن اهتدىٰ بنفسه أي هداه الله سبحانه من غير واسطة تتخلل بينه وبينه، فاهتدىٰ بالله وهدىٰ غيره بأمر الله سبحانه... وقد تبيّن بما قدّمناه في معنىٰ الآية أُمور:

أحدها: أنّ المراد بالهداية الىٰ الحقّ ماهو بمعنىٰ الإيصال الىٰ المطلوب دون ماهو بمعنىٰ إراءة الطريق المنتهي الىٰ الحقّ فإن من الضروري أنّ وصف طريق الحقّ يتأتىٰ من كلّ أحد سواءٌ اهتدىٰ الىٰ الحقّ بنفسه أو بغيره أو لم يهتد.

وثانيها: أنّ المراد بقوله: ﴿**مَن لاَ يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ**﴾ هو من لا يهتدي بنفسه، وهذا أعم من أن يكون ممّن يهتدي بغيره أو يكون ممن لا يهتدي أصلاً لا بنفسه ولا بغيره...

وثالثها: أن الهداية الىٰ الحقّ (بمعنىٰ الايصال إليه) إنما هي شأن مَن يهتدي بنفسه: أي لا واسطة بينه وبين الله سبحانه في أمر الهداية إما من بادئ أمره أو بعنايةٍ خاصة من الله سبحانه كالأنبياء والأوصياء من الأئمة. وأما الهداية بمعنىٰ إراءة الطريق ووصف السبيل فلا يختص به تعالىٰ ولا بالأئمة من الأنبياء والأوصياء،كما يحكيه الله تعالىٰ عن مؤمن آل فرعون إذ يقول: ﴿ **وَقَالَ ٱلَّذِي آمَنَ يَاقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ** ﴾(١)...

وأما قوله تعالىٰ خطاباً للنبي(صلى الله عليه وآله) وهو إمام: ﴿**إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ** ﴾(٢) وغيرها من الآيات فهي مسوقة لبيان الأصالة والتبع

---

(١) المؤمن (٤٠): ٣٨.

(٢) القصص (٢٨): ٥٦.

كما في آيات التوفّي وعلم الغيب ونحو ذلك مما سيقت لبيان أنّ الله سبحانه هو المالك لها بالذات والحقيقة، وغيره يملكها بتمليك الله ملكاً تبعياً أو عرضياً ويكون سبباً لها بإذن الله، قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[1]، وفي الأحاديث إشارة الىٰ ذلك وأن الهداية الىٰ الحقّ شأن النبيّ وأهل بيته «صلوات الله عليهم أجمعين». إنتهىٰ قول العلّامة الطباطبائي في تفسير الآية ملخصاً وقد عرض الأقوال الأُخرى الواردة في تفسير الآية وبيّن عدم إنسجامها مع منطوق الآية نفسها[2].

والمتحصّل من التدبر فيها هو حصر الهداية الىٰ الحقّ بمعنىٰ الإيصال الىٰ صريحه بالله تبارك وتعالىٰ بالأصالة وبالتبع بمن كان مهدياً بنفسه من قبل الله تبارك وتعالىٰ إذ يتحلّىٰ بدرجةٍ عالية من الاستعداد الذاتي لتلقي المنح الخاصة بالهداية من الله تبارك وتعالىٰ سواء عن طريق الوحي إذا كان نبيّاً أو عن طريق الإلهام الإلهي الخاص إذا لم يكن نبيّاً؛ وكذلك للحصول علىٰ «أمر الله» للقيام بمهمة الهداية إليه عزّ وجلّ، ومراجعة الآيات التي تتحدث عن «أمر الله» تقودنا ـ وبوضوح ـ الىٰ معرفة أنه يشمل الولاية التكوينية والتصرّف الخاص إذ لا تجد آية في القرآن الكريم تذكر «أمر الله» دون أن يقتصر معناه علىٰ ولايته التكوينية أو يشملها الىٰ جانب الولاية التشريعية «فالإمام هاد يهدي بأمر ملكوتي يصاحبه، فالإمامة بحسب الباطن نحو ولاية للناس في أعمالهم»[3].

وبهذه الولاية التكوينية يستطيع الهادي الىٰ الله بأمره أن يتصرّف بالأسباب ويصل الىٰ حقائق وبواطن العباد فيعطيهم من حقائق الهداية ما

---

(١) الأنبياء (٢١): ٧٣.

(٢) تفسير الميزان: ١٠/ ٥٦ ـ ٦١.

(٣) تفسير الميزان: ٢٧٢/١.

يناسبهم، وهذا التصرّف هو الذي ساقنا إليه التدبر في الآيات الناصة علىٰ وجود شهيد في كلّ زمان علىٰ أهل عصره.

الهادي منصوب من الله

وبالرجوع ثانية الىٰ القرآن الكريم نجده يصرّح بأنّ الذي يكون هادياً للناس بأمر الله تبارك وتعالىٰ هو الإمام المنصوب لذلك من قبل الله تعالىٰ كما هو واضحٌ من قوله تعالىٰ: ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا**﴾[1].

وفي هذا تأكيد لما دلّت عليه آيات الإمامة وأنها عهد إلهي يجعله الله فيمن يختاره من عباده، كما أشرنا لذلك في الحديث عن آيات سورة الاسراء وصفات الإمام.

نعود للآية مورد البحث من سورة الرعد فهي تصرّح بأنه ﴿**لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾ علىٰ نحو الإطلاق ومصداق الهادي المراد فيها لا يمكن أن يكون أحد الكتب السماوية للسبب نفسه الذي أوردناه في معرفة مصداق «الإمام» في آية سورة الإسراء، كما لا يمكن حصر المصداق بالنبي لما قلنا من أنه يخرج الفترات التي ليس فيها نبي من حكم الآية وهذا خلاف ظاهر الآية العام الذي يشمل جميع الأزمان.

كما لا يمكن أن يكون المصداق المقصود في الآية هو الله سبحانه وتعالىٰ لأنّ هدايته تشمل جميع الأزمنة دونما تخصيص بقوم دون قوم وهذا خلاف ظاهر الآية خاصة وأنّ لفظة «هاد» جاءت بصيغة النكرة الأمر الذي يفيد تعدد الهداة.

يُضاف الىٰ كلّ ذلك أنّ الهداية الإلهية للناس تكون بواسطة هداة من

---

(١) الأنبياء (٢١): ٧٣.

أنفسهم مرتبطين به تبارك وتعالىٰ يتلقون منه الهداية ويـنقلونها الىٰ عـباده، وهؤلاء هم المهتدون بأنفسهم منه تبارك وتعالىٰ دونما واسطة كما تقدّم في تفسير آية سـورة يـونس وهـم الذيـن يـهدون بأمـره تـعالىٰ. وهـم الأئـمة المنصوبون للهداية بأمره تعالىٰ كما تقدّم حيث لم يرد فـي القـرآن الكـريم وصــف الهـدايـة بأمـره إلّا فـي مـوردين اقـترن فـيهما بـوصفي «الأئـمة» وإختيارهم لذلك مـن قـبل الله تـعالىٰ، والمـوردان هـما آيـة سـورة الأنـبياء المتقدّمة وآية سورة السجدة: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾[1].

وتكون النتيجة المتحصلة من التدبر في الآية الكريمة مورد البحث هي حتمية وجود إمام هادٍ الىٰ الله بأمره تبارك وتعالىٰ منصوب لذلك من قبله عزّ وجلّ في كلّ عصر فلا تخلو الأرض منه سواء أكان نبيّاً أو غير نبيّ. وحيث أن مثل هذا الشخص غير ظاهر في عصرنا الحاضر؛ إذ لا يوجد بين المسلمين ـ من أي فرقةٍ كانت ـ مَن يقول بوجود إمام ظاهر هادٍ بأمر الله منصوب من قبله تعالىٰ ورد النص عليه ممن قوله حجّة إلهية كما تقدّم في البحث عن آية سورة الإسراء؛ لذا فلا مناص من القول بغيبته واستتاره، وقيامه بمهام الإمامة والهداية مستتراً بأستار الغيبة، فيكون الانتفاع به مـثل الانـتفاع بـالشمس إذا غيّبتها عن الأبصار السحب كما ورد في الأحاديث الشريفة[2]. وهذا ما تقول به مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) في الإمام المهدي وغيبته.

* * *

(١) السجدة (٣٢): ٢٤.

(٢) كمال الدين، الصدوق: ٢٠٧ / ح٢٢، و ٤٨٥ / ح ٤، الغيبة، الشيخ الطوسي: ٢٩٠/ح٢٤٧، الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي ٣: ١١١٣/ح ٣٠.

الفصل الرابع

المهدي الموعود وغيبته في المتّفق عليه من السُنّة

الىٰ جانب الآيات الكريمة المتقدّمة توجد بين أيدينا الكثير من الأحاديث الشريفة التي صحت روايتها عند أهل السنّة والشيعة عن سيد المرسلين(صلى الله عليه وآله) بطرق كثيرة ، تؤكد دلالات الطائفة المتقدّمة من الآيات الكريمة وتفصل مجملاتها وتكمل الصورة التي ترسمها فيما يرتبط بالدلالة علىٰ وجود الإمام المهدي الموعود(عليه السلام) بالفعل وغيبته وتصرح بالمصداق الذي دلت عليه الآيات الكريمة بذكر صفاته العامة.

ونختار هنا نماذج من الأحاديث الشريفة المتواترة أو المستفيضة المروية بأسانيد صحيحة عند أهل السنّة والمروية في الكتب الستة المعتمدة عندهم لأنّ الإحتجاج بها أبلغ، ولأنّ تفسيرها وتقديم المصداق المعقول لها غير ممكن إلّا علىٰ ضوء عقيدة أهل البيت في المهدي المنتظر(عليه السلام) فيما يرتبط بعصرنا الحاضر خاصة؛ ولأنّ الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، قد صرح في هذه الأحاديث المختارة بالأهمية القصوىٰ التى تحظىٰ بها مضامينها كما سنرىٰ.

١ ـ حديث الثقلين

وهو من الأحاديث المتواترة، رواه حفاظ أهل السنّة والشيعة بأسانيد صحيحة عن جم غفير من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله)، عدَّ ابن حجر ـ من علماء أهل السنّة ـ أكثر من عشرين منهم في كتابه الصواعق المحرقة[١]، وألّف الحافظ أبو الفضل المقدسي المعروف بابن القيسراني ـ وهو من كبار حفّاظ أهل السنّة ـ كتاباً خاصاً عن طرق هذا الحديث الشريف[٢]. كما أثبتت العديد من الدراسات الحديثية تواتره بما لا يدع أي مجال للنقاش أو التشكيك ، نظير ما فعل العلّامة المتتبع المير حسين حامد الموسوي في موسوعة عبقات الأنوار وغيره من العلماء[٣].

ويتضح من روايات هذا الحديث الشريف أنّ النبيّ المكرم (صلى الله عليه وآله) قد كرر مضمونه بعبارات وألفاظ متقاربة في عدة مناسبات ، منها في يوم عرفة من حجّة الوداع، وموقف يوم الغدير في طريق عودته منها وبعد إنصرافه من الطائف، وفي الجحفة، وفي خطبةٍ له في مسجده بالمدينة بعد عودته من هذه الحجّة، وفي حجرته أيام مرضه (صلى الله عليه وآله) وقد امتلأت الحجرة بالصحابة[٤]. وكلّ ذلك يكشف عن أهمية الوصية النبوية التي تضمنها الحديث بالنسبة للإسلام

---

(١) الصواعق المحرقة ٢: ٤٤٠.

(٢) أهل البيت في المكتبة العربية للسيّد عبدالعزيز الطباطبائي : ٢٧٧ ـ ٢٧٩.

(٣) أصدرت دار التقريب الإسلامية في مصر رسالة مفصلة ألفها أحد أعضاء الدار عن هذا الحديث استوفىٰ فيها أسانيد الحديث في الكتب المعتمدة عند أهل السنّة. وقال بتواتره أبو المنذر المصري في كتابه «الزهرة العطرة في حديث العترة»، وكذلك أبو الفتوح التليدي في كتابه «الأنوار الباهرة»، والحديث موضع اتفاق المسلمين جميعاً فلا حاجة الى تتبع طرقه وإثبات صحتها فإنّ ذلك من الفضول.

(٤) الصواعق المحرقة لابن حجر ٢: ٤٤٠، أهل البيت في المكتبة العربية : ٢٧٩.

والمسلمين وإلّا لما أولاها ـ وهو الحريص علىٰ المؤمنين الرؤوف الرحيم بهم ـ كلّ هذا الإهتمام في التكرار والتبليغ في تلك المواطن المهمة التي تجمع أكبر عدد من المسلمين ، خاصة وأنه(ﷺ) كان يبادر لإعلان هذه الوصية ويؤكدها علىٰ الملأ العام دون أن ينتظر مَن يسأله عنها.

ويستفاد من بعض الروايات أنّ مضمون الوصية التي تضمنها هذا الحديث الشريف، هو الذي أراد رسول الله محمّد (ﷺ) كتابته للمسلمين في الأيام الأخيرة من حياته المباركة عندما طلب أن يأتوه بكتف ودواة ليملي عليهم وصية لكي لا يضلّوا بعده ،كما ورد في نص حديث الكتف والدواة المروي في صحيح البخاري[1] وغيره فمنعوه من ذلك ووقع الاختلاف فصرفهم كما في حديث رزية يوم الخميس المشهور دون أن يدون الوصية ، إذْ يُلاحظ أنّ عبارة «**لن تضلوا بعدي**» المذكورة في حديث طلبه كتابة الوصية عبارة متكررة في حديث الثقلين أيضاً،كما تكررت وصيته بأهل بيته وعترته خيراً في حديث الثقلين وفي وصاياه في الساعات الأخيرة من حياته المباركة.

ويظهر من ذلك بوضوح أنّ النبيّ الأكرم (ﷺ) أراد تسجيل مضمون الحديث الشريف في وثيقة نبوية حاسمة للجدال مدونة بحضور كبار صحابته قطعاً للجدال وتوكيداً للأمر. وكلّ ذلك يبيّن أنّ الموضوع الذي يتضمنه مهم للغاية وإلّا لما أكد عليه هادي الأُمم (ﷺ) بهذه الدرجة المشددة، وهذا الأمر يكشف عنه نص الحديث نفسه المصرّح بأنّ العمل بالوصية التي يتضمنها هو سبيل النجاة من الضلالة بعده (ﷺ)...كما سيتضح أكثر خلال

(١) صحيح البخاري ٤: ٣١ باب دعاء النبيّ(ﷺ) الى الإسلام والنبوّة ٥: ١٣٧ باب مرض النبيّ(ﷺ) ووفاته ٧: ٩ باب كتاب المرضى والطلب ٨: ١٦١ باب قول النبيّ(ﷺ) لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء.

دراسة نصه.

كما أنّ ثبوت تواتر الحديث الشريف عند المسلمين كافة يجعل من الممكن الإستناد إليه في المسائل الاعتقادية كما هو ثابت في علم الكلام الاسلامي، لذا يمكن الإستناد إليه في قضية الإمامة.

اللفظ المتواتر: كتاب الله وعترتي

واللفظ المتواتر لهذا الحديث الشريف هو الذي ورد فيه ذكر القرآن الكريم وأهل بيت النبيّ أو عترته ـ صلوات الله وسلامه عليه وعليهم ـ كمصداق للثقلين والأمر بالتمسك بهما منجاة من الضلالة الىٰ يوم القيامة، طبق ما رواه البخاري في كتابه التاريخ الكبير ومسلم في صحيحه والترمذي في سننه وكذلك النسائي في خصائصه وابن ماجه في سننه، وأحمد بن حنبل في مسنده، والحاكم في مستدركه وصححه علىٰ شرط الشيخين ووافقه في ذلك الذهبي، وغيرهم كثير[1]، وما أخرجه مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم هو قوله: «... قام رسول الله(صلى الله عليه وآله) فينا خطيباً بماءٍ يدعىٰ خماً بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكّر، ثم قال:

«أما بعد، أيّها الناس، فإنما أنا بشر ويوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولّهما كتاب الله فيه الهدىٰ والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به... وأهل بيتي اذكركم الله في أهل بيتي، اذكركم الله في أهل بيتي، اذكركم الله في أهل بيتي»[2].

وأخرج الترمذي في سننه بسنده عن أبي سعيد الخدري عن

---

(١) راجع تلخيص وتعريب السيّد عليّ الميلاني للجزء الخاص بطرق حديث الثقلين من موسوعة عبقات الأنوار وقد طبع هذا التلخيص مرتين. الأولى في مجلدين والثانية في ثلاث مجلدات.

(٢) صحيح مسلم ٧: ١٢٣.

رسول‌الله(صلى الله عليه وآله) قال: **« إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر:كتاب الله حبل ممدودٌ من السماء الىٰ الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما »**[1].

وأخرج الحاكم في مستدركه ما نصّه:

«كأنني قد دعيت فأجبت ، إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر :كتاب الله تعالى وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا [يتفرقا] حتى يردا عليَّ الحوض، إن الله عزّ وجلّ مولاي، وأنا مولى كلّ مؤمن ـ ثم أخذ بيد عليّ(عليه السلام) فقال: مَنْ كنت مولاه فهذا وليّه. اللهم والِ من والاه وعادِ مَن عاداه »[2].

وفي لفظٍ آخر أورده ابن حجر في صواعقه، قال: «وفي رواية صحيحة: «(**انّي تارك فيكم أمرين لن تضلّوا إن تبعتموهما، وهما:كتاب الله وأهل بيتي عترتي**)، زاد الطبراني: (**انّي سألت ذلك لهما، فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلموهم، فإنّهم أعلم منكم**)»[3] .

والألفاظ الأُخرى التيأخرجها باقيالحفّاظ مقاربة لهذه النصوص. وفي جميعها ورد الحديث بلفظ «**كتاب الله وعترتي**»، وهو اللفظ المتواتر، لذا فلا إعتبار في مقابله باللفظ المحرف الذي استبدل عبارة « **عترتي أهل بيتي**» بكلمة «سنّتي» ، فأهداف هذا التحريف واضحة والإصرار علىٰ ترويجه إرتبط بمصالحالأمويين والعباسيينالسياسية، يُضاف الىذلك أن هذا اللفظ المحرف لم يُروَ في المصادر المعتبرة[4]، وهو في أفضل الأحوال من روايات الآحاد

---

(١) سنن الترمذي : ٥/ ٣٢٨ / ٣٨٧٤.

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ٣: ١١٨ / ٤٥٧٦ وقال الحاكم عنه: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بطوله».

(٣) الصواعق المحرقة ٢: ٤٣٩.

(٤) راجع رسالة الثقلين الصادرة عن دار التقريب الإسلامية في مصر : ١٨ وراجع مناقشة السيّد محمّد تقي ←

الضعيفة التي لا تفيد علماً ولا عملاً خاصة في مسألة عقائدية مهمة كالتي يتناولها مضمون الحديث.

وحتى لو فرضنا صحة رواية هذا اللفظ المحرف ـ كما فعل ابن حجر في صواعقه ـ فانّ ذلك لا يعارض اللفظ المتواتر ولا ينقص من دلالته العقائدية المهمة، بل إنّ الجمع بينهما ممكن وهو يضيف تأكيداً لحقيقة أنّ سنّة الرسول (صلى الله عليه وآله) هي عند أئمة عترته فهم العلماء بالكتاب والسنّة، كما أشار لذلك ابن حجر حيث قال: «... وفي رواية (**كتاب الله وسنّتي**) وهي المراد من الأحاديث المقتصرة على الكتاب لأنّ السنّة مبينة له؛ فأغنىٰ ذكره عن ذكرها، والحاصل أن الحث وقع علىٰ التمسك بالكتاب وبالسنة وبالعلماء بهما من أهل البيت، ويُستفاد من مجموع ذلك بقاء الأُمور الثلاثة الىٰ قيام الساعة»[1].

دلالات الحديث علىٰ وجود الإمام

دلالات الحديث الشريف كثيرة، وقد استدل به العلماء لإثبات معظم مسائل الإمامة حسب مذهب أهل البيت (عليهم السلام)[2]، نقتصر هنا علىٰ ذكر أهمها ممّا يرتبط بموضوع بحثنا خاصة.

١ ـ صرّح الحديث الشريف بأنّ سبيل النجاة من الضلالة بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله)، إنما يكون بالتمسك بالقرآن والعترةالنبوية معاً: « **ما إن تمسكتم بهما** »، وليس بواحدٍ منهما فقط، بمعنىٰ أنّ التمسك بأحدهما لا يكون تاماً

← الحكيم لإعتبار هذه الرواية ضمن حديثه عن دلالات حديث الثقلين في فصل السنة من كتابه الأصول العامة للفقه المقارن.

(١) الصواعق المحرقة ٢: ٤٣٩.

(٢) راجع مثلاً كتاب «حديث الثقلين، تواتره، فقهه» للسيّد عليّ الميلاني.

وحقيقياً ولن يضمن النجاة من الضلالة إلا إذا اقترن وقاد الىٰ التمسك بالآخر، فلن يكون مدعي التمسك بأحدهما صادقاً في إدعائه لأنهما « **لن يفترقا**» .

٢ ـ حدّد الحديث بوضوح هوية الثقل الثاني بقوله (صلى الله عليه وآله) : « **عترتي أهل بيتي** » ، والعترة كما يقول علماء اللغة : «نسل الإنسان، قال الأزهري: وروىٰ ثعلب عن ابن الأعرابي أنّ العترة ولد الرجل وذريته وعقبه من صلبه ولا تعرف العرب من العترة غير ذلك »[١].

وبهذا تخرج نساء النبيّ (صلى الله عليه وآله) من مصداق الحديث.

بل وحتى مع الأخذ بوصف « **أهل بيتي** » مجرداً تخرج نساء النبيّ من المصداق لما أخرجه مسلم في صحيحه في ذيل حديث الثقلين حيث وضّح راوي الحديث عن زيد بن أرقم المقصود عندما سألوه : «مَن أهل بيته، نساؤه؟ قال : لا وأيم الله ، إنّ المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع الىٰ أبيها وقومها . أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده»[٢] .

مصداق أهل البيت(عليهم السلام)

وقد حدّد رسول الله (صلى الله عليه وآله) نفسه مصداق « أهل البيت » بعد نزول آية التطهير ، حيث خصصها ببيت فاطمة (عليها السلام) ، فقد جاء في الحديث: «إنه كان يمر ببيت فاطمة رضي الله عنها ستة أشهر إذا خرج الى الفجر فيقول: **الصلاة يا أهل البيت، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾**، كما

---

(١) المصباح المنير للفيومي ٢: ٣٩١، مادة العترة.

(٢) صحيح مسلم ٤: ١٨٧٣ / ٢٤٠٨.

روى ذلك أحمد بن حنبل في مسنده[١].

يُضاف الىٰ ذلك تصريحه بأنّ هؤلاء هم أهل بيته في حديث الكساء المشهور وإخراجه زوجته أُم المؤمنين أُم سلمة منهم وقوله لها إنها علىٰ خير لكنها ليست من أهل البيت. وحديث الكساء رواه مسلم في صحيحه والسيوطي في الدر المنثور بعدة أسانيد صحيحة طبق طرق أهل السنّة[٢].

والثابت أن الإمام علياً (عليه السلام) أدخله في مصداق «أهل البيت» وإن لم يكن من صلبه كما هو ظاهر مما تقدّم.

عصمة الإمام وتوفر شروط الحديث

٣ ـ إنّ معرفة مصداق «**أهل بيتي وعترتي**» في الحديث الشريف تبين صفة أُخرى للثقل الثاني هي تحلّيه بالعصمة كما هو واضح من دلالة آية التطهير المباركة[٣]، وهذا ما ينسجم مع دلالة الحديث نفسه علىٰ عصمة الثقل الثاني، فهو يؤكد عدم افتراق الثقلين أبداً وفي أي حال كما هو المستفاد من استخدام أداة «لن» التأبيدية، ومن الثابت أنّه لا باطل في القرآن أبداً، لذا فعدم افتراق الثقل الثاني عنه دالّ علىٰ عصمته وإلّا لافترق عن القرآن في حالات صدور الخطأ أو المعصية وكلّ مصاديق الباطل، وهذا ما ينفيه الحديث صراحةً الأمر الذي يدل علىٰ عصمة العترة.

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٣: ٢٥٩ / ١٣٧٥٤.

(٢) راجع صحيح مسلم ٤: ١٥٠١/ ٢٤٢٤، وما رواه الحاكم في المستدرك وصححه علىٰ شرط البخاري في ٣: ١٥٩ / ٤٧٠٧، والدر المنثور للسيوطي ٦: ٦٠٣، مسند أحمد بن حنبل ٧: ٤٥٥ / ٢٦٢٠٦، مشكل الآثار، الطحاوي ١: ٣٣٤ ـ ٣٣٥.

(٣) راجع البحث القرآني الذي أورده العلّامة الطباطبائي (رحمه الله) في تفسير الميزان، في تفسير الآية الكريمة ودلالاتها.

ويُضاف الىٰ ذلك أن الأمر بالتمسك بهما معاً مطلق ـ كما هو واضح لأنّه لم يُقيّد بشيء ـ؛ لذلك فهو يشمل مختلف الأحوال والأزمان، ولو جاز وقوع العترة بما يخالف العصمة لأدّى ذلك الىٰ القول بأنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمر بالتمسك بها حتى في الحالات التي تقع في الخطأ وما يخالف القرآن، وهذا محال.

كما يتّضح ممّا تقدّم إخراج غير المعصومين من ذرية الرسول من مصداق الثقل الثاني المأمور بالتمسك به، يقول ابن حجر في دراسته لهذا الحديث : «ثم إنّ الذين وقع الحث عليهم منهم إنما هم العارفون بكتاب الله وسنة رسوله، إذ هم الذين لا يفارقون الكتاب الىٰ الحوض ويؤيده الخبر السابق: «**ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم**» وتميزوا بذلك عن بقية العلماء لأنّ الله أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وشرفهم بالكرامات الباهرة والمزايا المتكاثرة وقد مر بعضها»[١].

وقد أثبت الواقع التاريخي انحصار توفر هذا الشرط بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله) في الإمام عليّ والأحد عشر إماماً من أولاده وأولاد فاطمة بنت رسول الله أي من ذرية رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، كما نسب نبي الله عيسىٰ الىٰ إبراهيم من جهة البنت. فالإمامية مجمعون علىٰ عصمتهم وسائر فرق أهل السنّة مجمعة علىٰ محبتهم ونزاهتهم ولم يدع أحد صدور أي شيء يخالف عصمتهم رغم حرص الحكومات المعاصرة لهم علىٰ الحصول علىٰ أي شيء من هذا القبيل كما هو ثابت تاريخياً أيضاً[٢].

---

(١) الصواعق المحرقة ٢: ٤٤٢.

(٢) راجع تراجمهم ـ سلام الله عليهم ـ فيما كتبه علماء الرجال من أهل السنّة، وقد ألف العديد منهم كتباً خاصة ←

٤ ـ كما أنّ الأمر بالتمسك بالقرآن والعترة مطلقٌ زمانياً أيضاً كما هو واضحٌ من قوله (صلى الله عليه وآله) : «**من بعدي**» دونما تقييد ، فهو نافذ المفعول الىٰ يوم القيامة لخلود الشريعة المحمّدية حيث لا نبيّ بعده (صلى الله عليه وآله) ، وحيث إنّ القرآن محفوظ من الله تبارك وتعالى ، والعترة هي الثقل الملازم له الذي لن يفترق عنه، لذلك فهي محفوظة من الله تبارك وتعالى الىٰ يوم القيامة أيضاً.

من هنا يتضح أنّ في هذا الحديث الشريف المتواتر نصاً صريحاً علىٰ حتمية وجود ممثل لأهل بيت النبيّ وعترته (صلى الله عليه وآله) يتحلّى بالعصمة وملازمة القرآن في كلّ عصر لكي يتمسك العباد به وبالذكر الإلهي المحفوظ بهدف النجاة من الضلالة عملاً بوصية نبيهم الخاتم محمّد (صلى الله عليه وآله) ، وإلّا لبطل مضمون هذا الحديث المتواتر الذي ثبت صدوره عمن لا ينطق عن الهوىٰ.

فلابدّ إذن من وجود إمام معصوم من العترة النبوية في عصرنا الحاضر يكون مصداقاً للثقل الثاني ويكون التمسك به ممكناً. وقد تنبه لهذه الحقيقة والدلالة الواضحة في حديث الثقلين عدد من كبار علماء أهل السنّة وصرح بعضهم بها، مثل ابن حجر الهيتمي حيث قال: «وفي أحاديث الحث على التمسك بأهل البيت إشارة الىٰ عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به الىٰ يوم القيامة كما أنّ الكتاب العزيز كذلك، ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض كما يأتي ويشهد لذلك الخبر السابق : «**في كلّ خلف من أُمتي عدول من أهل بيتي ...**»[1].

← بالأئمة الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام ، أمثال ابن طولون الدمشقي والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ومطالب السؤول في مناقب آل الرسول، لابن طلحة الشافعي، وهناك مصادر كثيرة أُخرى أفردت لهم فصول مطوّلة كرشفة الصادي للحضرمي، والصواعق لابن حجر، والاتحاف بحب الأشراف للشبراوي وغيرهم الكثير.

(١) الصواعق المحرقة ٢: ٤٤٢.

مصداق الحديث فيالعصر الحاضر

إذن الحديث الشريف يدل بصراحة على وجود متأهل من عترة النبيّ(صلى الله عليه وآله) للتمسك به الى جانب القرآن الكريم في عصرنا الحاضر ويشترط فيه أن يكون معصوماً أيضاً، فمَن هو هذا الإمام؟

من الواضح أنّ ليس ثمّة إمام ظاهر يدعي ذلك أو تنطبق عليه الصفات المستفادة من هذا الحديث الشريف، فلابدّ إذن من القول بوجوده وغيبته لأنّ القول بعدم وجوده مردود بدلالة حديث الثقلين المتواتر، وهذه هي خلاصة عقيدة مذهب أهل البيت (عليهم السلام) في المهدي الموعود القائمة علىٰ الكثير من الأدلة النقلية والعقلية والقائلة بوجوده وغيبته عن الأبصار دون أن تمنع غيبته إمكانية الإنتفاع به كما ينتفع بالشمس إذا غيبتها عن الأبصار السحب.

٢ ـ أحاديث الخلفاء الاثني عشر

روىٰ أحاديث الخلفاء أو النقباء أو الأمراء أو القيمين الاثني عشر، أصحاب الصحاح والمسانيد المعتبرة عند أهل السنّة بأسانيد صحيحة عن جابر ابن سمرة، كما روَوها عن أنس بن مالك وابن مسعود وعبدالله بن عمر وحذيفة بن اليمان، وكلّها مسندة الى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ومضمون الحديث مروي ـ بتفصيل أكثر ـ وبتواتر من طرق أتباع أهل البيت (عليهم السلام) وقد نقل آية الله الشيخ لطف الله الصافي أكثر من (٢٧٠) حديثاً بهذا الشأن[١].

فهذه الأحاديث من المتفق عليه بين الفرق الإسلامية فلا مجال للتشكيك في صحة المقدار المشترك بينها علىٰ الأقل. لكننا نكتفي هنا بالنصوص

---

(١) راجع كتابه : منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر.

المروية في الكتب المعتبرة عند أهل السنّة وتحديد دلالتها ومصداقها ـ علىٰ الرغم من خلوها من التفصيلات الموجودة في أحاديث الطرق الأُخرىٰ لأسباب واضحة ـ لكي تكون النتيجة حجّة علىٰ الجميع .

ألفاظ الأحاديث

روى البخاري في صحيحه بسنده عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبيّ (صلى الله عليه وآله) يقول : «**يكون إثنا عشر أميراً**»، فقال كلمة لم أسمعها ، فقال أبي: إنه قال: «**كلّهم من قريش**»(١).

ورواه مسلم في صحيحه من عدة طرق عن جابر بن سمرة وبعدة ألفاظ وفي بعضها لفظ:

«إنّ هذا الأمر لا ينقضي حتىٰ يمضي منهم إثنا عشر خليفة...».

« لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم إثنا عشر رجلاً...»(٢).

« لا يزال الإسلام عزيزاً الىٰ إثني عشر خليفة...».

وتشترك هذه الأحاديث في أنه لم يسمع ذيل الحديث فأخبره والده بلفظ «**كلّهم من قريش** » وهي التتمة الواردة في معظم نصوص الحديث.

ورواه الترمذي بلفظ : « **يكون من بعدي إثنا عشر أميراً ...**»(٣) وأبو داود بلفظ: «**لا يزال هذا الدين عزيزاً الىٰ اثني عشر خليفة ، فكبّر الناس وضجوا ثم قال كلمة خفيت، قلت لأبي : يا أبه ما قال ؟ قال:كلّهم من قريش**»(٤).

---

(١) صحيح البخاري ٦: ٢٦٤٠ / ٦٧٩٦.
(٢) صحيح مسلم ٣: ١٤٥٢ / ١٨٢١.
(٣) سنن الترمذي ٤: ٥٠١ / ٢٢٢٣.
(٤) سنن أبي داود ٢: ٥٠٨ / ٤٢٨٠.

ورواه أحمد في مسنده بطرق كثيرة منها بلفظ : « **لا يزال الدين قائماً حتىٰ تقوم الساعة، ...** »، وفي بعضها أنّ ما قاله رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو: «**لا يزال هذا الدين ظاهراً علىٰ مَن ناواه، لا يضره مخالف ولا مفارق حتىٰ يمضي من أُمتي إثنا عشر أميراً ...**»، وفي روايات أُخرىٰ أنه قاله في عرفات، وفي أُخرى في يوم جمعة عشية رجم الأسلمي، وفي بعضها أن الرسول عقب عليه بالقول : « **... وإذا أعطى الله تبارك وتعالىٰ أحدكم خيراً فليبدأ بنفسه وأهله وأنا فرطكم علىٰ الحوض** » ، وفي بعضها أنّ قريشاً جاءت إليه (صلى الله عليه وآله) وسألته عما يكون بعد ذلك فقال : «**الهرج**»[1].

ورواه الطبراني في المعجم الكبير وفي أوله : « **يكون لهذه الأُمة إثنا عشر قيّماً لا يضرهم من خذلهم ...** »[2].

ورواه المتقي الهندي في كنز العمال عن أنس بن مالك بلفظ : « **لن يزال هذا الدين قائماً الىٰ اثني عشر من قريش فإذا هلكوا ماجت الأرض بأهلها**[3]»[4].

دلالاتها علىٰ وجود الإمام المهدي(عليه السلام)

هذه هي النصوص المروية في المصادر المعتبرة عند أهل السنّة، وبعد عرضها نثبت الدلالات المستفادة منها كما يلي:

١ ـ المستفاد من روايات الحديث الشريف أنه جاء ضمن خطبةٍ مهمة ألقاها الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) علىٰ المسلمين في الأيام الأخيرة من حياته

(١) مسند أحمد بن حنبل ٥: ٨٧ ـ ١٠٨ / ٢٠٨٣٣ ـ ٢١٠٨٨.

(٢) المعجم الكبير: ١٧٩٤/١٩٦ .

(٣) كنز العمال ١٢: ٦٠ / ٣٣٨٦١.

(٤) راجع هذه النصوص والتعريف بمصادرها في كتاب منتخب الأثر ومعجم أحاديث الإمام المهدي (عليه السلام): ٢ / ٢٥٥ ـ ٢٦٥ ، وكذلك كتاب أحاديث المهدي في مسند أحمد بن حنبل.

الشريفة ، وتصرح مجموعة من رواياته أنهاكانت في عرفات في حجّة الوداع الشهيرة وهي الخطبة نفسها التي أعلن فيها وصيته الشهيرة بالتمسك بالقرآن وعترته في حديث الثقلين المتواتر الذي دل ـ كما عرفنا ـ علىٰ حتمية وجود متأهل من أهل البيت (عليهم السلام) للتمسك به الىٰ جانب القرآن والىٰ يوم القيامة. وهي الحجّة نفسها التي بلغ في طريق عودته منها الأمر القرآني بتنصيب الإمام عليّ ولياً ومرجعاً للمسلمين من بعده يخلفه في ذلك.

وهذا التقارن بين هذه الأحاديث الثلاثة وجمع تبليغها في الأيام الأخيرة من حياته الشريفة وإحاطتها بكثير من الأهمية يكشف عن أهمية مضامينها فيما يرتبط بهداية المسلمين الىٰ ما يضمن لهم النجاة علىٰ المستويين الفردي والاجتماعي واستمرار تحرك المسيرة الإسلامية من بعده علىٰ الصراط المستقيم والمحجة البيضاء.

فهي تشترك في الموضوع المستقبلي الذي تدور عليه مضامينها، لذلك لا يمكن القول بأنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) اراد من أحاديث الأئمة الاثني عشر مجرد الإخبار عن واقع تاريخي سيجري بعد وفاته، فهذا ما لا يمكنه تفسير الأهمية القصوى التي أحاط بها تبليغه لمضمون هذا الحديث، بل واضحٌ أنّ تبليغ هذا الحديث في الأيام الأخيرة من حياته الشريفة يأتي في ضمن مساعيه لهداية المسلمين الىٰ ماينقذهم من الضلالة والإنحراف بعده وهو الهدف الذي صرح به في حديث الثقلين، لذا فذكر الأئمة أو الخلفاء الاثنيعشر والإخبار عن مجيئهم بعده هو لهداية المسلمين وصوناً لمستقبل مسيرتهم من بعده وإتماماً للحجّة عليهم. وهذه نقطة محورية مهمة يجب أخذها بنظر الإعتبار لدراسة هذا الحديث ولمعرفة مصداقه.

ترابط أحاديث حجّة الوداع

٢ ـ وعلىٰ ضوء اشتراك الأحاديث الثلاثة في موضوع واحد، فإن مما يعين علىٰ فهم هذا الحديث الشريف مورد البحث، ملاحظة إرتباطه بالحديثين الآخرين اللذين بلغهما الرسول محمّد (صلى الله عليه وآله) في حجّة الوداع نفسها أو علىٰ الأقل في فترة زمنية واحدة هي الأيام الأخيرة من حياته الشريفة. وحقيقة الأمر أنّ الأحاديث الثلاثة ترسم صورة متكاملة لطريق اهتداء المسلمين لما يضمن مستقبل مسيرتهم من بعده (صلى الله عليه وآله).

فحديث الثقلين يصرح ـ كما بيّنا سابقاً ـ بأنّ النجاة من الضلالة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) تكون بالتمسك بالقرآن والعترة وأن لكلّ زمان رجلاً من أهل بيته وعترته جديراً بأنّ يكون التمسك به الىٰ جانب القرآن منجاة من الضلالة.

أما حديث الغدير فإنه يصرح باسم الإمام عليّ (عليه السلام) كولي للأُمة بعده (صلى الله عليه وآله) يجب عليهم التمسك بولايته كما وجب التمسك بولاية خاتم المرسلين، وهذا ما يدل عليه أخذه (صلى الله عليه وآله) الإقرار من المسلمين بأنه أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم ثم قوله: «**مَن كنتُ مولاه فهذا عليّ مولاه**»[1].

أما حديث الأئمة الاثني عشر فإنه يصرح بأنّ الدين يبقى قائماً الىٰ يوم القيامة بوجود هؤلاء الأئمة وبهذا العدد لا يزيد ولا ينقص، ويهدي الىٰ التمسك بهم.

فتكون الصورة التي ترسمها الأحاديث الثلاثة معاً ـ وقد صدرت في حجّة واحدة أو علىٰ الأقل في فترة زمنية واحدة هي الأيام الأخيرة من حياته

---

(١) عن دلالات حديث الغدير وتواتره وطرقه راجع موسوعة الغدير للعلامة الأميني (رحمه الله)، والجزء الخاص به من عبقات الأنوار وغيرها.

الشريفة وضمن مسعىٰ واحد هو هداية المسلمين الى سبيل النجاة من الإنحراف والضلالة بعده وهي: أن النجاة من الضلالة وحفظ قيام الدين تكون بالتمسك بالقرآنالكريم وبأئمة العترة الطاهرة الذين لا يخلو زمانٌ من أحدهم وأن أولهم الإمام عليّ (عليه السلام) وعددهم إثنا عشر إماماً لا يزيد ولا ينقص.

مصداق الخلفاء الاثني عشر

وعندما نرجع للواقع التاريخي الاسلامي لا نجد مصداقاً للنتيجة المتحصلة سوىٰ أئمة أهل البيت الاثني عشر بدءً بالإمام عليّ وانتهاءً بالمهدي المنتظر ـ سلام الله عليهم ـ لا يزيد عددهم عن الأثني عشر ولا ينقص فجاءوا المصداق الوحيد لما أخبر به الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) إذْ لم يدّع غيرهم ذلك، تحقيقاً للنبوّة المحمّدية الثابتة عند المسلمين جميعاً.

وحيث قد ثبتت عند المسلمين كافة وفاة الأئمة الأحد عشر من هؤلاء الأئمةالاثني عشر، وثبت عند الإمامية عدموفاة الثاني عشر منهم، في حين أنّ الحديث المتقدم ينص علىٰ استمرار وجودهم الىٰ يوم القيامة؛ لذا فلا مناص منالقول بوجود الإمام الثاني عشر وغيبته ـ إذ منالثابتللجميع عدم ظهوره ـ وقيام الدين بوجوده في غيبته أيضاً تصديقاً لما نص عليه الحديث المتقدم . فيكون هذا الحديث الشريف دليلاً علىٰ وجود المهدي الإمامي وغيبته.

دراسة الأحاديث مستقلة

٣ ـ الدلالة نفسها يمكن التوصل إليها من خلال دراسة الحديث المتقدم بصورةٍ مستقلة وبغض النظر عن إرتباطه بحديثي الثقلين والغدير ، وإستناداً الىٰ الدلالات المستفادة من الحديث نفسه وطبقاً للمروي في كتب أهل

السنّة. فنصوصه تجمع علىٰ أن موضوعه الأوّل إخبارُ المسلمين بأنّ إثني عشر شخصاً سيخلفون النبيّ (صلى الله عليه وآله) لقوله: « **يكون من بعدي** » ، أي في الفاصلة الزمنية بين رحيله والىٰ يوم القيامة كما هو المستفاد من قوله في مقدمة الحديث : « **إن هذا الأمر لا ينقضي** » كما في صحيح مسلم وغيره والصيغ الأُخرىٰ دالة علىٰ الأمر نفسه.

وعليه فالصفات والدلالات التي يشتمل عليها الحديث الشريف لا تنطبق علىٰ أكثر من إثني عشر شخصاً بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) والىٰ يوم القيامة، وإلّا لما حصر رسول الله (صلى الله عليه وآله) الأمر بهم. فمَنْ هم هؤلاء ؟

وللإجابة على هذا السؤال نرجع الى نصوص الحديث الشريف نفسه لمعرفة الصفات التي تحددها لهم ثم نلاحظ علىٰ مَن تنطبق .

إنّ الصفات التي تذكرها النصوص هي: امراءٌ ، قرشيون ، كونهم خلفاء، بقاء الإسلام عزيزاً بهم، قيام الدين بهم، قيّمون علىٰ الأُمّة، خذلان البعض لهم وتعريضهم للمعاداة. فلندرس كلّ واحدة من هذه الصفات.

إنّ معنىٰ الإنتماء لقريش واضح ، وقد أجمعت معظم المذاهب الإسلامية علىٰ اشتراطه في الإمام . أما صفة «الخليفة» أو «الأمير» فالمعنىٰ المتبادر منها هو مَن يخلف رسول الله (صلى الله عليه وآله) في قيادة المسلمين أو مَن يلي أمرهم، فهل الوصف هذا يراد به من تولّىٰ حكم المسلمين السياسي بعد وفاته (صلى الله عليه وآله) ؟!

من الواضح أنه لا يمكن حمل الوصف المذكور علىٰ هذا المعنى ، إذ إنّ هذا تنفيه أحاديث أُخرىٰ صحت حتى عند إخواننا أهل السنّة وهي المصرحة بأنّ الخلافة بهذا المعنىٰ لن تستمر بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأكثر من ثلاثين عاماً

ثم تصبح ملكاً[١]. في حين أن الحديث الشريف يصرح باستمرار وجود هؤلاء الاثني عشر الىٰ يوم القيامة. فلا معنىٰ لحصر البحث عن مصاديق الحديث الشريف فيمن تولىٰ حكم المسلمين بالفعل.

دلالة الواقع التاريخي

يُضاف الىٰ ذلك أن الواقع التاريخي الاسلامي ينفي أن يكون المقصود بالخليفة هذا المعنى، إذْ انّ عدد مَن وصل للحكم من المسلمين بعد وفاة رسول الله(صلى الله عليه وآله) وتسمىٰ بهذا الاسم يفوق الاثني عشر بكثير.

أجل يمكن القول بأنّ الاثني عشر المقصودين في الحديث الشريف قد يكون بعضهم من هؤلاء الذين وصلوا الى الحكم وهم الجامعون للأوصاف الواردة في النصوص وليس مجرد تسلم حكم المسلمين بطريقةٍ أو بأُخرى يجعلهم مصداقاً للخلفاء والأُمراء في هذا الحديث الشريف.

فإنّ الخلافة والإمرةبالمعنىالمعروف والمتداول بين المسلمين هو أمر منقوض ومردود بتصريح الأحاديث الشريفة بسرعة زوال الخلافة بهذا المعنىٰ كما تقدّم، ولأنه يستلزم أن يكونوا متفرقين علىٰ مدى التاريخ الإسلامي وهذا ما تنقضه الدلالات الأُخرى المستفادة من الحديث الشريف، لأنّ مصاديق هذا المفهوم قد انقطعت منذ مدة طويلة في حين أنّ الحديث ينص علىٰ استمرار وجود هؤلاء الخلفاء الاثني عشر الىٰ يوم القيامة دونما انقطاع كما سنرىٰ لاحقاً.

---

(١) ذكره الحافظ ابن حجر في كتابه فتح الباري ٨: ٧٧، وأشار الى مصادره حيث قال: «وإشارته بهذا الكلام تطابق الحديث الذي أخرجه أحمد وأصحاب السنن وصحيحة ابن حبّان وغيره من حديث السفينة أن النبيّ(صلى الله عليه وآله) قال: «**الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تصير ملكاً عضوضاً**».

ولذلك لابدّ من حمل معنىٰ «الخليفة» في هذا الحديث علىٰ ماهو أعم من التولي المباشر للحكم السياسي، أي أن يكون المقصود خلافته (صلى الله عليه وآله) في الوصاية علىٰ الدين والولاية علىٰ الأُمّة وهدايتها الىٰ الصراط المستقيم سواء استلم الخليفة الحكم عملياً أو لم يستلمه، فالرسول (صلى الله عليه وآله) كان يقوم بهذه المهمة عندماكان في مكة يتابع نشر دعوته بسرية وعندما أعلنها وتعرض للأذىٰ من المشركين وعندما هاجر الىٰ المدينة وأقام دولته وتولىٰ حكومتها. فقدكان(صلى الله عليه وآله) قيّماً علىٰ الدين الحقّ حافظاً له وداعياً إليه في كلّ الأحوال، دون أن يكون لاستلامه الفعلي للحكم علاقة بإنجاز هذه المهمة وإن كان هو الأجدر باستلام الحكم في كلّ الأحوال.

وهذا ما يشير إليه تشبيهه (صلى الله عليه وآله) لهؤلاء الاثني عشر بنقباء بني إسرائيل وأوصياء موسى (عليه السلام) كما في حديث ابن مسعود المروي في مسند أحمد بن حنبل وغيره[1]. وهذا ما يدل عليه الحديث الشريف نفسه عندما يربط ـ في بعض نصوصه ـ بين وجودهم وبين قيام الدين أي حفظه ، فهم أوصياء رسول‌الله(صلى الله عليه وآله) وخلفاؤه في الوصاية علىٰ دينه والهداية إليه.

اتصال وجود الخلفاء الاثني عشر

وهذه الصفة ـ أي قيام الدين بهم ـ تدل علىٰ استمرار وجودهم ما بين وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويوم القيامة، لأنّ القول بتفرقهم وخلو بعض الأزمان من أحدهم مع ربط قيام الدين بهم، يعني ضياع الإسلام وعدم قيامه في بعض الأزمان وهذا خلاف ما يدل عليه الحديث الشريف بعبارات من قبيل « لا

(١) مسند أحمد ١: ٣٧٨١/٣٩٨، المعجم الكبير للطبراني ١٠: ١٥٧ / ١٠٣١٠ ، المستدرك للحاكم: ٤/ ٨٥٢٩/٥٤٦.

يزال الدين قائماً » « لا يزال الإسلام عزيزاً ».

من هنا لا يمكن أن يكون مصداق الحديث الشريف أشخاصاً متفرقين علىٰ طول التاريخ الإسلامي بل يجب أن لا يخلو زمان من واحد منهم. فيكون وجودهم متصلاً.

كما أنّ صفة قيام الدين بهم تؤكد أنّ المعنىٰ المراد من الخلافة لرسول الله(صلى الله عليه وآله) هو المعنى الشمولي المتقدم الذي يشمل بالدرجة الأُولىٰ الوصاية علىٰ الدين الحقّ وحفظه والدعوة له والهداية إليه، الأمر الذي يؤهلهم للقيمومة علىٰ الأُمّة والولاية الشرعية عليهم المنتزعة من الولاية النبوية كما في حديث الغدير المشار إليه.

وهذا يستلزم تحليهم بالدرجة العليا من العلم بالدين الحقّ والعمل علىٰ وفقه لكي يكونوا أهلاً لحفظه وهداية الخلق إليه، وهذا ما يشير إليه قوله (صلى الله عليه وآله) في وصفه لهم : «**كلّهم يعمل بالهدىٰ ودين الحقّ**» الوارد في ذيل بعض نصوص هذا الحديث الشريف[1].

وعلىٰ ضوء ما تقدّم نفهم الصفة الاخرىٰ التي يذكرها الحديث الشريف لهم وهي أنهم سيُعرضون للكثير من أشكال المعاداة والخذلان ـ ولو لم يكن كثيراً لما استحق الذكر ـ دون أن يضرهم ذلك ، فهذا العداء والخذلان لن يضرهم بمعنىٰ أنّه لا يصدهم عن تحقيق مهمتهم الأساسية بالحفاظ علىٰ قيام الدين وعزته رغم كلّ الصعاب وبقائه محفوظاً عندهم في كلّ الأزمان رغم أنّ الكيان السياسي للمسلمين تعرض لحقب تاريخية عديدة أصابه فيها الذل والهوان وتولىٰ حكمه فيها أبعد الخلق عن معنىٰ خلافة رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ١٣: ٢١٣، نقله عن ابن الجوزي والأخير نقله عن المسند الكبير.

هذه هي صفات الخلفاء الأئمة الاثني عشر المستفادة من دلالات الحديث الشريف طبقاً لنصوصه المروية في أفضل الكتب المعتمدة عند إخواننا أهل السنّة ، فعلىٰ من تنطبق؟

أئمة العترة هم المصداق الوحيد

الواقع التاريخي يثبت أنّ المصداق الوحيد الذي تنطبق عليه هم الأئمة الاثنا عشر من عترة النبيّ الأعظم (ﷺ) . وهم يختصون بهذا العدد تاريخياً كما هو معلوم وتنطبق عليهم الأوصاف المستفادة من دلالات الحديث الشريف،كما سنشير لذلك فيما يلي:

أدلة التطبيق

أوّلاً : إنّ الحديث يدلّ بصورة واضحة علىٰ لزوم توفر تلك الأوصاف في هؤلاء الخلفاء الاثني عشر والتي تؤهلهم لكي يكون الدين قائماً بهم. بمعنىٰ أن يكونوا جميعاً معبرين عن خط واحد ومنهج واحد في الدفاع عن الدين وحفظه وتبليغه ـ كما فعل رسول الله (ﷺ) ـ ، وقد توفرت هذه الصفات في أئمة العترة النبوية الطاهرة الذين ثبت أنّ علوم النبيّ (ﷺ) عندهم وثبت عنه وصيته بالتمسك بهم للنجاة من الضلالة كما في حديث الثقلين ، وقد أخذ الكثير من المسلمين ـ ومنهم أئمة المذاهب الأربعة ـ علوم الدين منهم كما هو ثابت تاريخياً وثبت في روايات مختلف الفرق الإسلامية لجوء الجميع إليهم وفقرهم إليهم في علوم الدين واستغناؤهم (عليهم السلام) عن الجميع في ذلك[1].

---

(١) راجع «الإمام الصادق والمذاهب الأربعة» للشيخ أسد حيدر، وما ورد بشأنهم في تاريخ دمشق لابن ←

كما أثبتت سيرتهم تفانيهم في الدفاع عن الإسلام ونشر علومه وإغاثة المسلمين عندما هاجمتهم الغزوات الفكرية . وإحتجاجاتهم علىٰ الملحدين وأرباب الديانات الأُخرى مدونة في كتب المسلمين وهي تثبت حقيقة قيام الدين بهم وخلافتهم للرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) في ذلك، وأهليتهم لقيادة المسلمين أيضاً كما صرح بذلك الذهبي مثلاً حيث قال بأهلية الإمام الحسن والحسين والسجاد والباقر (عليهم السلام) ثم قال: وكذلك جعفر الصادق كبير الشأن من أئمة العلم كان أولى بالأمر من أبي جعفر المنصور ، وكان ولده موسى: كبير القدر جيد العلم أولى بالخلافة من هارون[1].

ثانياً: إنّ سيرتهم (عليهم السلام) تنسجم مع تصريح الحديث الشريف بتعريض الخلفاء الاثني عشر للمعاداة والخذلان دون أن يضر ذلك في قيامهم بإنجاز مهمتهم الأساسية في حفظ الدين والدفاع عنه كما لاحظنا ذلك في الفقرة السابقة، ومن المعروف تاريخياً أنّهم تعرضوا للأذى والملاحقة الشديدة من قِبَل السلطات الحاكمة التي لم تألُ جُهداً لإبادتهم مثل ما جرىٰ في واقعة الطف للإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته وأصحابه وتعريضهم للسجن والاغتيال بالقتل أو السم الأمر الذي أدىٰ في نهاية المطاف الىٰ ضرورة غيبة خاتمهم الإمام الثاني عشر (عليه السلام) ، ولكن كلّ أشكال التعسّف والقهر والعداء والخذلان لم يُثنهم عن حفظ سنّة جدهم (صلى الله عليه وآله) وتبليغها حيث حفلت الأحاديث المروية عنهم والمدونة في كتب علماء مدرستهم بكلّ ما يحتاجه الإنسان في مختلف

← عساكر وفي تاريخ بغداد للخطيب البغدادي والصواعق المحرقة لابن حجر وسير أعلام النبلاء للذهبي ووفيات الأعيان لابن خلكان وغيرها. وسائر من ترجم لهم (عليهم السلام) من مختلف الفرق الإسلامية.

(١) سير أعلام النبلاء: ١٣/ ١٢٠ وراجع ما جمعه الشيخ الطبرسي في كتاب الإحتجاج تجد نماذج كثيرة لدفاعهم عن الإسلام بوجه الأفكار الدخيلة.

شؤونه الفردية والاجتماعية[١].

ثالثاً: تنطبق عليهم دلالة الحديث علىٰ استمرار وجودهم بصورةٍ متصلة ما بين وفاة جدهم (ﷺ) وقيام الساعة، في سلسلةٍ ذهبية لم تؤد الىٰ قطعها كلّ حملات العداء والخذلان التي تعرّضوا لها، وإن أدت الىٰ غيبة خاتمهم الإمام المهدي(عليه السلام) فاستمر دوره في حفظ الدين وقيامه بذلك من خلف استار الغيبة بأساليب متنوعة أثبتت أنّ الإنتفاع بوجوده متحقق مثلما ينتفع بالشمس إذا غيّبتها السُحب عن الأبصار كما ورد في الأحاديث الشريفة[٢].

وبذلك يتّضح أنّ عقيدة مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) كيف تفسر عدم تناسب طول الفترة الزمنية بين وفاة الرسول (ﷺ) وبين قيام الساعة، مع تحديد الحديث الشريف لعدد الخلفاء القيّمين علىٰ الإسلام بإثني عشر رجلاً لا أكثر، يستمر وجودهم متصلاً الىٰ يوم القيامة لأنّ قيام الدين يكون بهم.

وبذلك يكون الحديث الشريف من الأحاديث المتفق علىٰ صحتها بين المسلمين والدالة علىٰ وجود الإمام المهدي وغيبته لأنه لا ينطبق علىٰ غير الأئمة الاثني عشر من أئمة العترة النبوية الذين أدىٰ خذلانهم الىٰ غيبة خاتمهم(عليه السلام).

الإتفاق علىٰ أنّ المهدي خاتم الخلفاء الاثني عشر

يؤيد ذلك موافقة عدد كبير من علماء أهل السنّة لعقيدة أهل البيت(عليهم السلام) في كون المهدي المنتظر هو الخليفة الثاني عشر من الخلفاء الاثني عشر

---

(١) جمعت هذه الأحاديث الشريفة في موسوعات ضخمة مثل بحار الأنوار للعلّامة المجلسي ووسائل الشيعة للحر العاملي.

(٢) مثل إصداره «التوقيعات» وهي الرسائل التي كان(عليه السلام) يبعثها للمؤمنين ويجيب فيها عن أسئلتهم الدينية المختلفة وقد دونت كتب الغيبة عدداً كبيراً منها، تجدها في كتاب «كلمة الإمام المهدي» والصحيفة المهدوية وغيرها.

الذين أخبر الرسول (صلى الله عليه وآله) عن خلافتهم الدينية، أمثال أبي داود في سننه[١] وابن كثير في تفسيره[٢] وغيرهم. وصرح بذلك المجمع الفقهي التابع للأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي في جوابه علىٰ استفتاء مسلم من كينيا بشأن الإمام الموعود، حيث ورد في جواب المجمع : «هو [المهدي الموعود] آخر الخلفاء الراشدين الاثني عشر الذين أخبر عنهم النبيّ صلوات الله وسلامه عليه في الصحاح ...»[٣].

ولعلّ مستندهم في ذلك حديث الأُمّة الظاهرة القائمة بأمر الله الذي يتحدّث عن المصداق الذي يتحدث عنه حديث الأئمة الاثني عشر الذي يصرح بأنّ آخر اُمراء هذه الأُمّة الظاهرة هو المهدي الموعود كما سنلاحظ.

٣ ـ حديث الأُمة الظاهرة القائمة بأمر الله

وهو من الأحاديث المشهورة المروية في الكتب الستة وغيرها من المجاميع الروائية المعتبرة عند إخواننا أهل السنّة من طرق كثيرة فقد رواه مثلاً أحمد بن حنبل وحده من سبعة وعشرين طريقاً[٤].

فقد رواه البخاري في صحيحه بلفظ « **لا يزال ناس من أُمّتي ظاهرين حتىٰ يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون** »[٥].

ورواه الطيالسي في مسنده بلفظ : «**لا تزال طائفة من أُمتي علىٰ الحقّ حتىٰ يأتي**

---

(١) فقد وضع أبو داود حديث جابر بن سمرة (الأئمة إثنا عشر من قريش) في أوّل كتاب المهدي من سننه وهذا يدلل على أنّ أبا داود فهم أنّ المهدي هو من الأئمة الإثني عشر وهو آخرهم بالنتيجة.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢: ٤٥ في تفسير الآية ١٢ من سورة المائدة، حيث قال بعد ذكره الحديث الاثني عشر: «والظاهر أنّ منهم المهدي المبشّر به في الأحاديث».

(٣) راجع النسخة المصوّرة لفتوى رابطة العالم الإسلامي، المجمع الفقهي المنشورة في كتاب أحاديث المهدي من مسند أحمد بن حنبل : ١٦٢ ـ ١٦٦.

(٤) راجع كتاب «أحاديث المهدي (عليه السلام) من مسند أحمد بن حنبل» ، إعداد السيّد محمّد جواد الجلالي: ٦٨ ـ ٧٦ .

(٥) صحيح البخاري ٣: ١٣٣١ / ٣٤٤١.

أمر الله عزّ وجلّ»[١].

ورواه البخاري في صحيحه ومسلم وأحمد بلفظ : «**مَن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ولن تزال [من] هذه الأُمّة أُمّة قائمة علىٰ أمر الله، لا يضرهم مَن خالفهم حتىٰ يأتي أمر الله وهم ظاهرون علىٰ الناس** »[٢].

ورواه مسلم وأحمد وغيرهم عن جابر بن سمرة : «**لن يبرح هذا الدين قائماً تقاتل عليه عصابة من المسلمين حتىٰ تقوم الساعة** »[٣]. وفيه أنّه(صلى الله عليه وآله) قال ذلك في حجّة الوداع، وجابر هو نفسه راوٍ حديث الأئمة الاثني عشر من قريش.

وفي رواية لمسلم : «**لا تزال عصابة من أُمّتي يُقاتلون علىٰ أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتىٰ تأتيهم الساعة وهم علىٰ ذلك** »[٤].

وفي رواية صحيحة أخرجها أحمد بن حنبل في مسنده عن عمران بن حصين أنّ رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال: «**لا تزال طائفة من أُمّتي علىٰ الحقّ ظاهرين علىٰ مَن ناواهم حتىٰ يأتي أمر الله تبارك وتعالىٰ، وينزل عيسىٰ بن مريم**»[٥].

وفي رواية لمسلم وأحمد : «**لا تزال طائفةٌ من أُمّتي علىٰ الحقّ ظاهرين الىٰ يوم القيامة ، قال: فينزل عيسىٰ بن مريم (عليه السلام) ، فيقول أميرهم : تعال صلّ بنا، فيقول : لا ، إنّ بعضكم علىٰ بعضٍ أُمراء تكرمة الله لهذه الأُمّة**»[٦].

---

(١) مسند الطيالسي ١: ٩ / ٣٨، مسند الشهاب ٢: ٧٦ / ٩١٣.

(٢) صحيح البخاري ٣: ١١٣٤ / ٢٩٤٨، وصحيح مسلم: ١٥٢٤/٣ حديث ١٠٣٧ ، ومسند أحمد: ١٠١/٤ ح١٦٩٧٣.

(٣) صحيح مسلم ٣: ١٥٢٤ / ١٩٢٢، مسند أحمد ٥: ٩٨ / ٢٠٩٧٠، مسند الطيالسي ١: ٧٥٦/١٠٤.

(٤) صحيح مسلم ٣: ١٥٢٤ / ١٩٢٤.

(٥) مسند أحمد: ٤٢٩/٤/ ١٩٨٦٤ وعلق عليها محقق المسند شعيب الأرناؤوط قال: «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

(٦) صحيح مسلم ١: ١٣٧ / ١٥٦، مسند أحمد ٣: ٣٨٤ / ١٥١٦٧، وللوقوف أكثر على هذه الأحاديث راجع معجم أحاديث الإمام المهدي: ١/ ٥١ ـ ٦٨، فقد ذكر لكلّ حديث الكثير من المصادر من المجاميع الروائية المعتبرة عند أهل السنّة وقد أخترنا بعضها من المتن والبعض الآخر من الهوامش.

والحديث الشريف جاء في حجّة الوداع كما يصرح بذلك جابر بن سمرة فيما رواه عنه مسلم وأحمد والحاكم كما تقدّم، وهذه الحجّة هي نفسها التي بلّغ فيها رسول الله (صلى الله عليه وآله) أحاديث الثقلين والغدير والأئمة الاثني عشر، لذا فهو يأتي في إطار التخطيط النبوي لهداية المسلمين الىٰ ما يحفظ مسيرتهم بعده أو ما ينقذهم من الضلالة وميتة الجاهلية، فهو غير بعيد عن أجواء الأحاديث السابقة.

علىٰ أنّ من الواضح للمتدبر في هذا الحديث الشريف وحديث الأئمة الاثني عشر أنّ كليهما يتحدّثان عن مصداق واحد لا أكثر، كما هو مشهود في إشتراكهما في ذكر صفات تتحدّث وتهدي الىٰ مصداق واحد، خاصة ما يصرح بربط قيام الدين وحفظه بوجود هذه الأُمّة الظاهرة القائمة بأمر الله في الحديث الثاني وبوجود الأئمة الاثني عشر في الحديث الأوّل. لأنّ ذلك يعني امتلاك هذه الجهة للقيمومة علىٰ الدين ومرجعيتها في معرفة حقائق الدين الحقّ وتعريضها بسبب ذلك للمعاداة والخذلان وهذا ما يشترك الحديثان في ذكره وفي التصريح بعدم إضراره في أصل مهمة هذه العصابة وهي الدفاع عن الدين الحقّ وحفظه.

ويؤكد حديث الأُمّة الظاهرة صراحة ـ فيما تقدّم من نصوصه ـ مادل عليه حديث الأئمة الاثني عشر ضمنياً من استمرار وجود هؤلاء الأئمة الىٰ يوم القيامة وكذلك من أن مهمتهم الأساسية خلافة رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الدفاع عن الدين الحقّ وحفظه دون أنّ يؤثر في إنجاز أصل هذه المهمة إستلامهم الفعلي للحكم أو عدم استلامه وإن كانوا هم الأجدر بذلك.

كما أنه يصرح بأنّ خاتم أمراء هذه الأُمّة الظاهرة هو الإمام المهدي الموعود ـ كما دل علىٰ ذلك ضمنياً حديث الأئمة الاثني عشر ـ، فهو يصرح باستمرار وجودها الىٰ نزول عيسى (عليه السلام) ومناصرته لأميرها وصلاته خلفه

وهذه الحادثة ترتبط بالإمام المهدي ـ عجل الله فرجه ـ باتفاق المسلمين.

ويصرح حديث الأُمّة الظاهرة بلزوم أن يكون هؤلاء الأئمة الإثنا عشر أئمة حق قائمين بأمر الله كما تصرح بذلك النصوص المتقدّمة، فهم يمثلون خطاً واحداً منسجماً في خلافة رسول الله الحقيقيّة والوصاية علىٰ شريعته، خطّاً متصلاً دون إنقطاع الىٰ يوم القيامة، وهذا ما لا ينسجم بحالٍ من الأحوال مع تاريخ خلفاء الدولة الإسلامية الذين حكموها فعلاً. لذلك فإنّ جميع الذين غفلوا عن هذه الدلالات في الحديثين المتقدمين وسعوا للعثور علىٰ مصاديق الأئمة الاثني عشر في الذين وصلوا للحكم بعد رسول الله (ﷺ) بأي طريقة كانت، تاهوا في متاهات غريبة ولم يستطيعوا تقديم مصداق معقول ينسجم مع دلالات هذه الأحاديث الشريفة ولا مع الواقع التاريخي. فتعددت آراؤهم وعمدوا الىٰ تأويلات باردة لما صرّحت به الأحاديث الشريفة الأمر الذي يتعارض بالكامل مع هدف الرسول الأكرم (ﷺ) من إخبار المسلمين بهؤلاء القائمين بأمر الله وهو الهداية إليهم وإرجاعهم ودعوتهم للتمسك بهم.

فأي انسجام في الخط والمنهج وتمثيل الدين الحقّ والصدق في التعبير عن خلافة رسول الله (ﷺ) بين الإمام عليّ (عليه السلام) ومعاوية، أو بين الإمام الحسين (عليه السلام) ويزيد بن معاوية لكي يعتبروهم جميعاً من الخلفاء الاثني عشر الذين يقوم بهم الدين ؟! وكيف يمكن القول بأنّ أمثال يزيد بن معاوية أو الوليد بن عبدالملك يمكن أن يصدق عليهم الوصف النبوي للأمة الظاهرة والأئمة الاثني عشر بأنهم علىٰ الحقّ وقائمون بأمر الله وخلفاء رسوله وكيف ذاك وسيرتهم شاهدة بأنهم أبعد الناس عن العلم بالدين وممثلو نهج رسول الله(ﷺ).

هذا بعض ما يُقال بشأن المصاديق التي عرضها للأئمة الاثني عشر العلماء الذين راعوا دلالة الأحاديث علىٰ اتصال سلسلة هؤلاء الأئمة وأغفلوا

عدم إنطباق الصفات الأُخرى عليهم كما لاحظنا. يُضاف الىٰ ذلك إغفالهم لتصريح الأحاديث باستمرار وجود هؤلاء الأئمة الىٰ يوم القيامة؛ إذ أنّ المصاديق التي عرضوها تنتهي بإنتهاء العصر الأُموي(١)!

أما الذين سعوا لمراعاة الصفات الأُخرى فيمن حكموا المسلمين فقد أغفلوا دلالة الحديث علىٰ استمرار وجودهم دون انقطاع إذْ تركوا الخلفاء الذين أعقبوا معاوية الىٰ عمر بن عبدالعزيز ليجعلوه خامس أو سادس الاثني عشر وتركوا ما بعده الىٰ هذا أو ذاك من الخلفاء العباسيين ممن رأوهم أقرب الىٰ الصفات التي يذكرها الحديث ورغم ذلك لم يكتمل العدد حتىٰ قال السيوطي: «وبقي الاثنان المنتظران أحدهما المهدي لأنه من آل بيت محمّد صلّى الله عليه وسلّم»(٢). وأما الثاني فسكت عنه**!!**

وما كانوا بحاجةٍ الىٰ كلّ هذه التأويلات الباردة والمتاهات المحيرة لو تدبروا بموضوعية في تلك الأحاديث الشريفة واستندوا الىٰ مدلولاتها الواضحة التي تنطبق بالكامل علىٰ الأئمة الاثني عشر من عترة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلىٰ القول بعدم انقطاع سلسلتهم الىٰ يوم القيامة في ظل القول بوجود الإمام الثاني عشر المهدي الموعود (عليه السلام) وغيبته وقيامه حتىٰ في ظل غيبته عن الأبصار بمهام حفظ الدين ولو بأساليب خفية لكنها كاملة في إتمام حجّة الله علىٰ خلقه كما دلت علىٰ ذلك الأحاديث المتقدّمة وتدل عليه أيضاً الأحاديث اللاحقة.

---

(١) وهذا أضعف الآراء وأبعدها عن دلالات الحديث الشريف ورغم ذلك رجحه ابن باز في تعليقه علىٰ محاضرة الشيخ عبدالمحسن العباد عن المهدي الموعود، وقد طبعت المحاضرة والتعليقة في كتاب بعنوان «عقيدة أهل السنّة والأثر في المهدي المنتظر» راجع ص٦ منه.

(٢) تاريخ الخلفاء، السيوطي ١: ١٦، وراجع أيضاً في مناقشة هذه الآراء ما ذكره الشيخ لطف الله الصافي في كتابه منتخب الأثر: في الهامش، ودلائل الصدق للشيخ محمّد حسن المظفر، ٢: ٣١٥ وما بعدها، وما أورده الحكيم صدر الدين الشيرازي في شرح أصول الكافي : ٤٦٣ ـ ٤٧٠ من الطبعة الحجرية.

٤ ـ أحاديث عدم خلو الزمان من الإمام القرشي المنقذ من الميتة الجاهلية

وهي أيضاً من الأحاديث الشريفة المروية من طريق الفريقين ، نختار منها المروي في الكتب المعتبرة عند أهل السنّة، فقد روىٰ البخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد بن حنبل في مسنده وغيرهم بأسانيدهم عن رسول‌الله (ﷺ) أنّه قال: « **لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان**»[١].

وروىٰ أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه والطيالسي في مسنده والطبراني والهيثمي وغيرهم بألفاظ متقاربة وأسانيد عديدة عن رسول الله(ﷺ) أنّه قال واللفظ للطيالسي : « **مَن مات بغير إمام مات ميتةً جاهلية ، ومَن نزع يداً من طاعة جاء يوم القيامة لا حجّة له** »[٢].

وعلّق ابن حبان علىٰ الحديث موضحاً معناه بقوله : قال أبو حاتم: قوله (ﷺ) : «**مات ميتة الجاهلية**» معناه : مَن مات ولم يعتقد أنّ له إماماً يدعو الناس الىٰ طاعة الله حتىٰ يكون قوام الإسلام به عند الحوادث والنوازل، مقتنعاً في الإنقياد علىٰ مَن ليس نعته ما وصفنا مات ميتةً جاهلية[٣].

معنىٰ « الأمر » في الكتاب والسنّة

إنّ الحديث الأوّل قد صرّح ببقاء «الأمر» في قريش ما بقي ناسٌ علىٰ الأرض فلا تخلو الأرض من قرشي يكون له « الأمر » ، فما هو المقصود من « الأمر » هنا ؟ ! وهل يمكن تفسيره بالاستلام الفعلي للحكم الظاهري

---

(١) صحيح البخاري ٣: ٣٣١٠/١٢٩٠، صحيح مسلم ٣: ١٤٥٢/ ١٨٢٠، مسند أحمد ٢: ٢٩/ ٤٨٣٢، و٢: ٥٦٧٧/٩٣ .

(٢) مسند أحمد ٤: ٩٦ / ١٦٩٢٢، صحيح ابن حبان ١٠: ٤٣٤ / ٤٥٧٣، مسند الطيالسي ١: ٢٥٩ / ١٩١٣، المعجم الكبير للطبراني ١٩: ٣٨٨/ ٩١٠، مجمع الزوائد ٥: ٣٩٣/ ٩١٠٢.

(٣) صحيح ابن حبان ١٠: ٤٣٤.

للمسلمين ؟ !

الجواب: أنّ الواقع التاريخي ينفي هذا التفسير، وعلىٰ الأقل منذ سقوط الخلافة العباسية الىٰ اليوم لم يكن حكم المسلمين لقرشي كما هو معلوم، لذا لا يمكن تفسير « الأمر » بغير القول بمعنىٰ الخلافة العامة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) في الوصاية علىٰ الدين وحفظه والدفاع عنه وهداية الخلق إليه، الأمر الذي يؤهل صاحبه لقيادة المسلمين والحكم الظاهري ، فالأمر هنا هو من نوع «الأمر » الوارد في سورة النساء في آية الطاعة، وهي قوله تعالىٰ: ﴿ يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِي ٱلْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾[1] ، وهي الآية الدالة علىٰ عصمة أُولي الأمر لاشتراكهم في الأمر بالطاعة مع الرسول (صلى الله عليه وآله) ولأنّ : «الله تعالىٰ أمر بطاعة أُولي الأمر علىٰ سبيل الجزم في هذه الآية، ومَن أمر بطاعته علىٰ سبيل الجزم والقطع لابد وأن يكون معصوماً عن الخطأ...كما قال الفخر الرازي في تفسيره[2] .

فلابدّ أن يكون في زماننا الحاضر أيضاً قرشي يكون له « الأمر » هذا ويقوم به الدين ويتحلىٰ بالعصمة ويخلف رسول الله (صلى الله عليه وآله) في مهمة حفظ الدين والهداية إليه إذ لا يخلو زمان من مصداق لذلك كما ينص الحديث الشريف المتقدم، وحيث إنّه لا يوجد إمام ظاهر يدعي ذلك فلابد من القول بوجوده واستتاره وغيبته وقيامه بمهمة حفظ الدين تصديقاً للحديث الشريف وهذه هي عقيدة أهل البيت (عليهم السلام) في المهدي وغيبته.

يُضاف الىٰ ذلك أنّ أحاديث الخلفاء الاثني عشر قد حصرت عدد خلفاء الرسول بهذا المعنىٰ الىٰ يوم القيامة باثني عشر ، وقد إتّضحت دلالتها علىٰ

---

(١) النساء (٤): ٥٩ .

(٢) التفسير الكبير: ١٠/ ١٤٤ ، وراجع البحث المفصل الذي أورده العلّامة الطباطبائي في تفسير هذه الآية الكريمة ودلالاتها في تفسير الميزان: ٤/ ٣٨٧ ـ ٤٠١ .

وجود الإمام المهدي وغيبته، لذلك يكون حديث عدم خلو الزمان من الإمام القرشي مؤكداً لهذه الدلالة.

والدلالة نفسها يمكن التوصل إليها من أحاديث وجوب معرفة إمام الزمان وإتباعه والتي تقدّم نموذج لها، حيث تنصّ علىٰ أن لا حجّة يوم القيامة لمن عمي عن معرفته وخرج عن طاعته كما رأينا، لذا فلا مناص من القول بحتمية وجوده وإمكانية التعرف عليه والتمسك بعرىٰ طاعته وإلّا لما كان للاحتجاج الإلهي علىٰ الغافلين عن معرفته وطاعته معنىٰ، إذْ كيف يكون الإحتجاج بمن لا وجود له.

وحيث إنّ أمر الطاعة له مطلق فهو دال علىٰ عصمته ويؤكده صدر الحديث علىٰ أن عدم معرفته والتمسك به يقود الىٰ ميتة الجاهلية، وأنّ طاعته واجبة لأنه يدعو الىٰ طاعة الله وبه يكون قوام الإسلام كما صرح بذلك ابن حبان فيما نقله عن أبي حاتم من دلالة الحديث الواضحة، ولذلك صرح أبو حاتم بأنّ طاعة غيره ممن لم يتصف بهذه الصفات تؤدي الىٰ ميتة الجاهلية. وهذا هو المستفاد من الحديث الأوّل فالدلالة مشتركة وتكون المحصلة : حتمية وجود إمام معصوم قرشي يكون الإسلام به قائماً يدعو الىٰ طاعة الله ويكون له الأمر ويتحمل مسؤولية حفظ الدين الحقّ، وحيث إنّ مثل هذا الإمام غير ظاهر فلابد من القول بغيبته وقيامه بهذه المهام من خلف أستار الغيبة الىٰ حين زوال الأسباب التي أدت الىٰ غيبته فيظهر حينئذٍ ليقيم الدولة العادلة علىٰ أساس قيم الدين الذي حفظه .

ولا يمكن القول بتعدد الغائبين لأنّ أحاديث الأئمة الاثني عشر حصرت عدد خلفاء الرسول (صلى الله عليه وآله) بهذا العدد وثبت أنّ المصداق الوحيد الذي تنطبق عليه الشروط المستفادة من دلالات هذه الأحاديث هم أئمة أهل البيت النبوي، وقد ثبتت وفاة الأئمة الأحد عشر ولم يبق إلّا خاتمهم المهدي

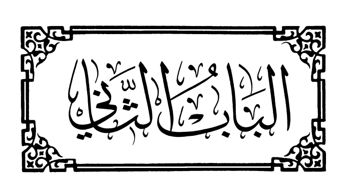
الموعود[١] فلابد من القول باستمرار وجوده الىٰ يوم القيامة استناداً الىٰ الأحاديث المتقدّمة، ولأنّ الصحيح من الأقوال هو أنّ الأرض لا تخلو من حجّة كما يقول ابن حجر العسقلاني في شرحه لصحيح البخاري: وفي صلاة عيسىٰ (عليه السلام) خلف رجل من هذه الأُمّة مع كونه في آخر الزمان وقرب قيام الساعة دلالة للصحيح من الأقوال : «إنّ الأرض لا تخلو من قائم لله بحجّة»، والله أعلم[٢].

ولابدّ من الإشارة هنا الىٰ أن الدلالات المستفادة من هذه الأحاديث الشريفة علىٰ وجود المهدي الإمامي وغيبته هي دلالات واضحة إلّا أنّ مما أثار بعض الغموض عليها وأوجد الحاجة الىٰ الاستدلال عليها والتحليل المفصل لها هو السكوت عنها والتعتيم عليها أو محاولات تأويلها وصرفها عن المصداق الحقيقي بسبب طغيان الخلافات السياسية التي شهدها العالم الإسلامي وانعكاساتها علىٰ الأُمور العقائدية وهو السبب نفسه الذي أدىٰ الىٰ إحجام بعض المحدثين عن نقل وتدوين طائفة أُخرىٰ من الأحاديث التي صحت عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) والتي صرّحت بما أشارت إليه هذه الأحاديث وشخصت مصاديقها، لأنّ المصالح السياسية للحكام الأمويين والعباسيين منعت من اشتهار مثل هذه الأحاديث ومنعت من انتشار الكتب التي تنقلها . كما هو واضح لمن راجع التاريخ الإسلامي.

* * *

(١) يُلاحظ هنا أنّ كلّ المؤرخين من مختلف المذاهب الإسلامية الذين ترجموا للأئمة الاثني عشر من أهل البيت (عليهم السلام) ذكروا تواريخ وفيات الأئمة الأحد عشر باستثناء المهدي بن الحسن العسكري فقد ذكروا تاريخ ولادته فقط. وهذا الأمر يصدق حتىٰ على الذين لم يقولوا بأنه هو المهدي الموعود المبشر به في صحاح الأحاديث النبوية.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العقسلاني: ٦/ ٤٩٤.



وفيه فصول :

الفصل الأوّل :

نشأة الإمام محمّد بن الحسن المهدي (عليه السلام)

الفصل الثاني :

مراحل حياة الإمام المهدي (عليه السلام)

الفصل الثالث :

الإمام المهدي في ظل أبيه (عليهما السلام)

الفصل الأوّل

نشأة الإمام محمّد بن الحسن المهدي (عليهما السلام)

تاريخ الولادة

ولد ـ سلام الله عليه ـ في دار أبيه الحسن العسكري(عليه السلام) في مدينة سامراء أواخر ليلة الجمعة الخامس عشر من شعبان وهي من الليالي المباركة التي يُستحب إحياؤها بالعبادة وصوم نهارها طبقاً لروايات شريفة مروية عن أهل البيت(عليهم السلام)[1]، وكذلك جاء مثلها في كتب أهل السنّة المعتبرة مثل سنن ابن ماجة وسنن الترمذي وغيرهما[2] .

وكانت سنة ولادته (٢٥٥ هـ) علىٰ أشهر الروايات، وثمة روايات أُخرىٰ تذكر أن سنة الولادة هي (٢٥٦ هـ) أو (٢٥٤ هـ) مع الاتفاق علىٰ يومها وروي غير ذلك، إلّا أن الأرجح هو التاريخ الأوّل لعدة شواهد، منها وروده في أقدم المصادر التي سجلت خبر الولادة وهوكتاب الغيبة للشيخ الثقة الفضل بن شاذان الذي عاصر ولادة المهدي (عليه السلام) وتوفي قبل وفاة أبيه الحسن العسكري(عليهما السلام) بفترةٍ وجيزة[3]، ومنها أن معظم الروايات الأُخرى تذكر أنّ

---

(١) ثواب الأعمال للشيخ الصدوق : ٧٧، مصباح المتهجد للشيخ الطوسي : ٧٩٨، ٨٢٩، إقبال الأعمال للسيّد ابن طاووس : ٧١٨، الأمالي، الصدوق: ٧٩، ح ١/٤٦.

(٢) سنن ابن ماجة ١: ٤٤٤ ـ ٤٤٥، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، سنن الترمذي ٣: ١١٦ / ٧٣٩، المعجم الكبير، الطبراني ٢٠: ١٠٨ / ٢١٥.

(٣) راجع هذه الروايات في كتاب النجم الثاقب للميرزا النوري ١:١٤١ ومابعدها من الترجمة العربية، وراجع الكافي ١: ٥١٤ باب مولد الصاحب(عليه السلام) ،كمال الدين : ٤٢٤ باب (٤٢) ما روي في ميلاد القائم(عليه السلام).

يوم الولادة كان يوم جمعة منتصف شهر شعبان وإن اختلفت في تحديد سنة الولادة، ومن خلال مراجعتنا للتقويم التطبيقي[1] وجدنا أن النصف من شعبان صادف يوم جمعة في سنة (٢٥٥ هـ) وجدها دون السنين الأُخرى المذكورة في تلك الروايات.

ومثل هذا الاختلاف أمر طبيعي جارٍ مع تواريخ ولادات ووفيات آبائه وحتىٰ مع جده الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، دون أن يؤثر ذلك علىٰ ثبوت ولادتهم (عليهم السلام)، كما أنه طبيعي للغاية بملاحظة سرّيّة الولادة عند وقوعها حفظاً للوليد المبارك كما سنلاحظ ذلك لاحقاً.

تواتر خبر ولادته (عليه السلام)

رویٰ قصة الولادة أو خبرها الكثير من العلماء بأسانيد صحيحة أمثال أبي جعفر الطبري والفضل بن شاذان والحسين بن حمدان وعليّ بن الحسين المسعودي والشيخ الصدوق والشيخ الطوسي والشيخ المفيد وغيرهم، ونقلها بصورة كاملة أو مختصرة أو نقل خبرها عدد من علماء أهل السنّة من مختلف المذاهب الإسلامية أمثال نورالدين عبدالرحمن الجامي الحنفي في شواهد النبوة والعلّامة محمّد مبين المولوي الهندي في وسيلة النجاة والعلّامة محمّد خواجه بارسا البخاري في فصل الخطاب والحافظ سليمان القندوزي الحنفي في ينابيع المودة، كما نقل خبر الولادة ما يناهز المائة وثلاثين من علماء

(١) نقصد بالتقويم التطبيقي التقويم الذي يطبق بين أيام تقويم السنّة الشمسية مع ما يصادفها من أيام تقويم السنّة القمرية، وقد أعدت عدة تقاويم من هذا النوع على شكل كتب أو برامج كومبيوترية حددت ما يصادف كلّ يوم من أيام السنة الهجرية القمرية مع تقويم السنة الهجرية الشمسية والسنة الميلادية الشمسية، وقد راجعنا في البحث التقويم التطبيقي الذي أصدرته جامعة طهران والذي يبدأ بالتطبيق من اليوم الأوّل من السنة الأُولى لهجرة النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) الى نهاية القرن الهجري الخامس عشر.

مختلف الفرق الإسلامية بينهم عشرات المؤرخين ستة منهم عاصروا فترة الغيبة الصغرى أو ولادة الإمام المهدي (عليه السلام)، والبقية من مختلف القرون الىٰ يومنا هذا في سلسلةٍ متصلة وهذا الاحصاء يشمل جانباً من المصادر الإسلامية وليس كلها. وبين هؤلاء عدد كبير من العلماء والمؤرخين المشهورين أمثال ابن خلكان وابن الأثير وأبي الفداء والذهبي وابن طولون الدمشقي وسبط ابن الجوزي ومحي الدين ابن عربي والخوارزمي والبيهقي والصفدي واليافعي والقرماني وابن حجر الهيثمي وغيرهم كثير. ومثل هذا الإثبات مما لم يتوفر لولادات الكثير من أعلام التاريخ الإسلامي[١].

كيفية وظروف الولادة

يُستفاد من الروايات الواردة بشأن كيفية ولادته (عليه السلام) ، أنّ والده الإمام الحسن العسكري ـ سلام الله عليه ـ أحاط الولادة بالكثير من السرية والخفاء، فهي تذكر أنّ الإمام الحسن العسكري قد طلب من عمته السيّدة حكيمة بنت الإمام الجواد أن تبقىٰ في داره ليلة الخامس عشر من شهر شعبان وأخبرها بأنه سيُولد فيها ابنه وحجّة الله في أرضه، فسألته عن أُمّه فأخبرها أنها نرجس فذهبت إليها وفحصتها فلم تجد فيها أثراً للحمل، فعادت للإمام وأخبرته بذلك، فابتسم (عليه السلام) وبيّن لها أن مثلها مثل أم موسىٰ (عليه السلام) التي لم يظهر حملها ولم يعلم به أحد الىٰ وقت ولادتها لأنّ فرعون كان يتعقب أولاد بني إسرائيل خشية من ظهور موسىٰ المبشر به فيذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم، وهذا الأمر جرىٰ مع الإمام المهدي(عليه السلام) أيضاً لأنّ السلطات العباسية كانت ترصد

(١) راجع تفصيلات أقوالهم في الاحصائية التي أوردها السيّد ثامر العميدي في كتابه دفاع عن الكافي: ١: ٥٤٦ ـ ٥٩٢.

ولادته إذ قد تنبأت بذلك طائفة من الأحاديث الشريفة كما سنشير لاحقاً.

ويُستفاد من نصوص الروايات أنّ وقت الولادة كان قبيل الفجر وواضح أنّ لهذا التوقيت أهمية خاصة في إخفاء الولادة؛ لأنّ عيون السلطة عادةً تغطُّ في نومٍ عميق. كما يُستفاد من الروايات أنه لم يحضر الولادة سوىٰ حكيمة التي لم تكن تعرف بتوقيتها بشكل دقيق أيضاً(١).

وتوجد رواية واحدة يرويها الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة تصرح باستقدام عجوز قابلة من جيران الإمام لمساعدة حكيمة في التوليد مع تشديد الوصية عليها بكتمان الأمر وتحذيرها من إفشائه(٢).

الإخبار المسبّق عن خفاء الولادة

أخبرت الكثير من الأحاديث الشريفة بأنّ ولادة المهدي من الحسن العسكري ستُحاط بالخفاء والسرية ، ونسبت الإخفاء الىٰ الله تبارك وتعالىٰ وشبهت بعضها إخفاء ولادته بإخفاء ولادة موسىٰ وبعضها بولادة إبراهيم (عليهما السلام) ، وبيّنت علّة ذلك الإخفاء بحفظه (عليه السلام) حتىٰ يؤدي رسالته، نستعرض هنا نماذج قليلة منها.

فمثلاً روىٰ الشيخ الصدوق في إكمال الدين والخزاز في كفاية الأثر مسنداً عن الإمام الحسن بن عليّ (عليهما السلام) ضمن حديث قال فيه:

«أما علمتم أنه ما منّا إلّا وتقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه، إلّا القائم الذي يصلّي عيسىٰ

---

(١) راجع غيبة الشيخ الطوسي الفصل الخاص بإثبات ولادة صاحب الزمان (عليه السلام) : ٧٤ وما بعدها، وكتاب كمال الدين للشيخ الصدوق: ٤٢٤ باب (٤٢) ما روي في ميلاد القائم(عليه السلام) .، وراجع الروايات التي جمعها السيّد البحراني بشأن قصة الولادة من المصادر المعتبرة في كتابه تبصرة الولي : ٦ وما بعدها، وكذلك التلخيص الذي أجراه الميرزا النوري في النجم الثاقب ١: ١٤١ وما بعدها .

(٢) غيبة الشيخ الطوسي : ٢٣٤ / ح٢٠٨، وعنه المجلسي في بحار الأنوار ٥١: ٢٠ / ٢٧.

بن مريم خلفه ؟ ! وإن الله عزّ وجلّ يُخفي ولادته ويغيّب شخصه لئلّا يكون لأحدٍ في عنقه بيعة إذا خرج، ذلك التاسع من ولد أخي الحسين ابن سيدة النساء يطيل الله عمره في غيبته ثم يظهره بقدرته...»(١).

وفي حديث رواه الصدوق بطريقين عن الإمام علـيّ (عليه السلام) قـال: « **... إن القائم منا إذا قام لم يكن لأحد في عنقه بيعة ، فلذلك تُخفىٰ ولادته ويغيب شخصه** »(٢).

وروىٰ عن الإمام السجاد (عليه السلام) أنه قال: «**في القائم منا سنن من الأنبياء ... وأما من إبراهيم فخفاء الولادة واعتزال الناس...**»(٣).

وروي عن الإمام الحسين (عليه السلام) أنه قال: « **في التاسع من ولدي سنّة من يوسف وسنّة من موسىٰ بن عمران وهو قائمنا أهل البيت يصلح الله أمره في ليلة واحدة**»(٤).

وروىٰ الكليني في الكافي بسنده عن الإمام البـاقر (عليه السلام) أنـه قـال ـ فـي حديث ـ: « **انظروا من خفي [عمي] علىٰ الناس ولادته فذاك صاحبكم، إنه ليس منا أحد يُشار إليه بالأصابع ويمضغ بالألسن إلّا مات غيضاً أو رغم أنفه**»(٥).

والأحاديث بهذا المعنىٰ كثيرة والكثير منها مروي بأسانيد صحيحة تخبر صراحة ـ وقبل وقوع ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) ـ بخفائها ، وفـي ذلك دلالة وجدانية صريحة علىٰ صـحتها حـتىٰ لو كـان فـي أسـانيد بـعضها ضـعف أو مجهولية لأنها أخبرت عن شيءٍ قبل وقوعه ثم جاء الواقع مصدقاً لما أخبرت عنه، وهذا ما لا يمكن صدوره إلّا من جهة علام الغيوب تبارك وتعالىٰ الأمر الذي يثبت صدورها عن ينابيع الوحي وبإخبار من الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله).

---

(١) كمال الدين: ٣١٥ ـ ٣١٦، كفاية الأثر : ٢٢٥ ـ ٢٢٦.

(٢) كمال الدين : ٣٠٣/ ح ١٤.

(٣) كمال الدين : ٣٢١ ـ ٣٢٢.

(٤) كمال الدين : ٣١٦ ـ ٣١٧ / ح ١.

(٥) الكافي ١: ٣٢٤ / ٢٦، الغيبة، النعماني: ١٧١ / ح ٧.

خفاء الولادة علامة المهدي الموعود(عليه السلام)

ويُلاحظ أنّ هذه الأحاديث الشريفة تصرح بأنّ خفاء الولادة من العلائم البارزة المشخصة لهوية المهدي الموعود والقائم من ولد فاطمة الذي بشرت به الأحاديث النبوية، وهذا أحد الأهداف المهمة للتصريح بذلك وهو تعريف المسلمين بإحدىٰ العلائم التي يكشفون بها زيف مزاعم مدّعي المهدوية كما شهد التاريخ الإسلامي الكثير منهم ولم تنطبق علىٰ أي منهم هذه العلامة ، فلم تُحَطْ ولادة أي منهم بالخفاء كما هو ثابت تاريخياً[١].

وتشير الأحاديث الشريفة المتقدّمة الىٰ علة إخفاء ولادته (عليه السلام) وأنها العلة نفسها التي أوجبت إخفاء ولادة نبي الله موسىٰ (عليه السلام) ، وهي حفظه من سطو الفراعنة ومساعيهم لقتله إتماماً لحجة الله تبارك وتعالىٰ علىٰ عباده ورعاية له لكي يقوم بدوره الإلهي المرتقب في إنقاذ بني إسرائيل والصدع بالديانة التوحيدية ومواجهة الجبروت الفرعوني بالنسبة لموسىٰ الكليم ـ سلام الله عليه ـ، وهكذا إنقاذ البشرية جمعاء وإنهاء الظلم والجور وإقامة القسط والعدل وإظهار الإسلام علىٰ الدين كله بيد المهدي المنتظر ـ عجل الله فرجه ـ. وهذا ماكان يعرفه أئمة الجور من خلال النصوص الواردة بهذا الشأن، ففرعون مصر كان علىٰ علم بالبشارات الواردة بظهور منقذ لبني إسرائيل منهم، لذلك سعىٰ في تقتيل أبنائهم بهدف منع ظهوره، وكذلك حال

---

(١) ذكر تراجمهم الدكتور محمّد مهدي خان مؤسس صحيفة الحكمة في القاهرة في كتابه «باب الأبواب» الذي خصص جانباً منه لدراسة حركات أدعياء المهدوية.

بني العباس إذ كانوا علىٰ علم بأنّ المهدي الموعود هو من ولد فاطمة ـ سلام الله عليها ـ، وأنه الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت(عليهم السلام) وقد انتشرت الأحاديث النبوية المصرحة بذلك بين المسلمين ودوّنها علماء الحديث قبل ولادة المهدي بعقودٍ عديدة،كما كانوا يعلمون بأنّ الإمام الحسن العسكري هو الإمام الحادي عشر من أئمة العترة النبوية (عليهم السلام) ، لذا فمن الطبيعي أن يسعوا لقطع هواجس ظهور المهدي الموعود بالإجتهاد من أجل قطع نسل والده العسكري (عليه السلام) .

ومن الواضح أنّ مجرد احتمال صحة هذه الأحاديث كان كافياً لدفعهم نحو إبادته، فكيف الحال وهم علىٰ علم راجح بذلك خاصةً وأن ليس بين المسلمين سلسلة تنطبق عليهم مواصفات تلك الأحاديث الشريفة مثلما تنطبق علىٰ هؤلاء الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام) كما لاحظنا مفصلاً في البحوث السابقة ؟!

وعلىٰ ضوء هذه الحقيقة يمكن أن نفهم سر ظاهرة قصر الأعمار التي ميزت تاريخ الأئمة الثلاثة الذين سبقوا الإمام المهدي (عليهم السلام) من آبائه، فقد استشهد أبوه العسكري وهو ابن ثمان وعشرين[١] واستشهد جدّه الإمام الهادي وهو ابن أربعين سنة[٢] واستشهد الإمام الجواد وهو ابن خمس وعشرين سنة[٣]، وهذه ظاهرة جديرة بالدراسة، وتكفي وحدها للكشف عن

(١) الصواعق المحرقة، ابن حجر ٢: ٦٠١، الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي : ١٠٩٠، وذكر ابن طلحة الشافعي في مطالب السؤول: ٤٧٧ أنّه(عليه السلام) مات عن ٢٩ سنة.
(٢) مروج الذهب للمسعودي: ٤/ ١٦٩، مطالب السؤول، ابن طلحة: ٤٧٤، الفصول المهمة لابن الصباغ: ١٠٧٧، الصواعق المحرقة لابن حجر ٢: ٥٩٩.
(٣) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي : ١٠٥٧، مطالب السؤول: ٤٧٠.

المساعي العباسية الحثيثة لإبادة هذا النسل للحيلولة دون ظهور المهدي الموعود[1] حتىٰ لو لم يسجل التاريخ محاولات العباسيين لاغتيال وقتل هؤلاء الأئمة، فكيف الحال وقد سجل عدداً من هذه المحاولات تجاههم(عليهم السلام) ، حتى ذكر المؤرخون مثلاً أنهم قد سجنوا الإمام العسكري وسعوا لاغتياله عدة مرات،كما فعلوا مع آبائه (عليهم السلام)[2]؟!

يقول الإمام الحسن العسكري معللاً هذه الحرب المحمومة ضدهم(عليهم السلام) فيما رواه عنه معاصره الشيخ الثقة الفضل بن شاذان:

قال: حدّثنا عبدالله بن الحسين بن سعد الكاتب قال: قال أبو محمّد [الإمام العسكري (عليه السلام)]: «**قد وضع بنو اُمية وبنو العباس سيوفهم علينا لعلتين : إحداهما أنّهم كانوا يعلمون أنّه ليس لهم في الخلافة حقّ فيخافون من ادعائنا إيّاها وتستقر في مركزها، وثانيتهما أنّهم قد وقفوا من الأخبار المتواترة علىٰ أنّ زوال ملك الجبابرة والظلمة علىٰ يد القائم منا، وكانوا لا يشكّون أنّهم من الجبابرة والظلمة ، فسعوا في قتل أهل بيت رسول الله(صلى الله عليه وآله) وإبادة نسله طمعاً منهم في الوصول الىٰ منع تولد القائم (عليه السلام) أو قتله، فأبىٰ الله أن يكشف أمره لواحد منهم ﴿إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَافِرُونَ﴾**»[3].

(١) لقد امتدّت هذه المحاولات الى داخل بيت الإمام(عليه السلام) فزرعت العيون من النساء لمراقبة ما يحدث داخل بيت الإمام(عليه السلام)، للقضاء على الإمام المهدي(عليه السلام) إن وَلد، بل قد امتدت هذه الجهود للحيلولة دون ولادة الإمام(عليه السلام) ومن هنا لم يتزوّج الإمام الحسن العسكري(عليه السلام) بشكل رسمي كما هو المتعارف والمتداول حينذاك.

(٢) راجع الفصل الخاص بذلك في كتاب حياة الإمام العسكري (عليه السلام) للشيخ الطبسي : ٤٢١ ـ ٤٢٤.

(٣) إثبات الهداة للحر العاملي ٣: ٥٧٠/ ٦٨٥ ب (٣٢)، منتخب الأثر للشيخ لطف الله الصافي : ٣٥٩ ب ٣٤ ح ٤ عن كشف الحقّ للخاتون آبادي وبذيله ما يدل عليه من سائر الأخبار غير القليلة ، معجم أحاديث الإمام المهدي، عليّ الكوراني: ٢٢١ وذكر له عدّة مصادر منها إثبات الرجعة للفضل بن شاذان على ما نقله الحرّ العاملي في إثبات الهداة.

الفصل الثاني

مراحل حياة الإمام المهدي (عليه السلام)

تنقسم حياة كلّ إمام معصوم بشكل عام الى قسمين رئيسين :

القسم الأوّل: حياته قبل تسلّمه مهام الإمامة والزعامة.

القسم الثاني: حياته بعد تسلّمه لمهام الإمامة والزعامة.

وبالإمكان تقسيم كلّ منهما الى مراحل .

وبناءً على هذا تنقسم حياة الإمام المهدي (عليه السلام) الى أربع مراحل متمايزة، وهي:

المرحلة الأُولى : حياته في ظل أبيه أي من الولادة سنة (٢٥٥ هـ) حتى يوم استشهاد أبيه الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) سنة (٢٦٠ هـ) . وهي خمس سنوات تقريباً.

المرحلة الثانية : حياته منذ وفاة أبيه (عليه السلام) (سنة ٢٦٠ هـ) حتى انتهاء الغيبة الصغرىٰ سنة (٣٢٩ هـ). وهي تناهز السبعين عاماً.

المرحلة الثالثة: حياته في الغيبة الكبرى والتي بدأت بعد وفاة سفيره الرابع عام (٣٢٩ هـ) وهي مستمرة حتى يوم ظهوره على مسرح الأحداث السياسية والاجتماعية من جديد.

المرحلة الرابعة : حياته في مرحلة الظهور التي تبدأ بعد انتهاء الغيبة الكبرىٰ، وهو عهد الدولة المهدوية العالمية المرتقبة والتي أخبرت عنها نصوص الكتاب والسنّة.

وتتميز كلّ مرحلة من هذه المراحل بمجموعة من الخصائص نشير إليها تباعاً في كلّ باب إن شاء الله تعالى.

* * *

الفصل الثالث

الإمام المهدي في ظل أبيه(عليهما السلام)

دور الإمام العسكري(عليه السلام) في إعلان الولادة

في ظل تلك الأوضاع الإرهابية الصعبة كانت تواجه الإمام العسكري ـ سلام الله عليه ـ مهمة علىٰ درجة كبيرة من الخطورة والحساسية، فكان عليه أن يخفي أمر الولادة عن أعين السلطات العباسية بالكامل والحيلولة دون اهتدائهم الىٰ وجوده وولادته ومكانه حتىٰ لو عرفوا إجمالاً بوقوعها ، وذلك حفظاً للوليد من مساعي الإبادة العباسية المتربصة به ولذلك لاحظنا في خبر الولادة حرص الإمام علىٰ إخفائها،كما نلاحظ أوامره المشددة لكلّ مَن أطلعه علىٰ خبر الولادة من أرحامه وخواص شيعته بكتمان الخبر بالكامل فهو يقول مثلاً لأحمد بن إسحاق : «**ولد لنا مولود فليكن عندك مستوراً ومن جميع الناس مكتوماً**»[1] .

ومن جهة ثانية كان عليه الىٰ جانب ذلك وفي ظل تلك الأوضاع الإرهابية وحملات التفتيش العباسية المتواصلة، أن يثبت خبر ولادته(عليه السلام) بما لا يقبل الشك إثباتاً لوجوده ثم إمامته، فكان لابد من شهودٍ علىٰ ذلك يطلعهم علىٰ الأمر لكي ينقلوا شهاداتهم فيما بعد ويسجلها التاريخ للأجيال

(١) كمال الدين : ٤٣٤.

اللاحقة، ولذلك قام(عليه السلام) بإخبار عددٍ من خواص شيعته بالأمر وعرض الوليد عليهم، بعد مضي ثلاثة أيام من ولادته[١]،كما عرضه علىٰ أربعين من وجوه وخلّص أصحابه بعد مضي بضع سنين والإمام يومئذٍ غلام صغير وأخبرهم بأنه الإمام من بعده[٢]، كما كان يعرضه علىٰ بعض أصحابه فرادىٰ بين الحين والآخر ويظهر لهم منه من الكرامات بحيث يجعلهم علىٰ يقين من وجوده الشريف[٣]، وقام (عليه السلام) بإجراءات أُخرىٰ للهدف نفسه مع الالتزام بحفظ حياة الوليد من الإبادة العباسية بما أثبت تاريخياً ولادة خليفته الإمام المهدي(عليه السلام) بأقوىٰ ما تثبت به ولادة إنسان كما يصرح بذلك الشيخ المفيد[٤].

ومن جهة ثالثة كانت تواجه الإمام العسكري ـ سلام الله عليه ـ مهمّة التمهيد لغيبة ولده المهدي وتعويد المؤمنين على التعامل غير المباشر مع الإمام الغائب، وقد قام(عليه السلام) بهذه المهمة عبر سلسلة من الاجراءات كإخبارهم بغيبته وأمرهم بالرجوع الىٰ سفيره العام عثمان بن سعيد، فهو يقول لطائفة من أصحابه بعد أن عرض عليهم الإمام المهدي(عليه السلام) وهو غلام: «**هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم ، أطيعوه ولا تتفرقوا من بعدي فتهلكوا في أديانكم ، ألا وأنكم لا ترونه من بعد يومكم هذا حتى يتم له عمر، فاقبلوا من عثمان ما يقوله وانتهوا الىٰ أمره واقبلوا قوله فهو خليفة إمامكم والأمر إليه** »[٥].

ومن إجراءاته (عليه السلام) في هذا المجال ـ تأكيده علىٰ استخدام أُسلوب

---

(١) كمال الدين ٤٣١ / ح٨ ب (٤٢)، وراجع ب (٤٣) من كمال الدين والذي خصصه لمن شاهد الإمام القائم(عليه السلام) ورآه وكلّمه.

(٢) كمال الدين، الصدوق: ٤٣٥، الغيبة للشيخ الطوسي: ٣٥٧ ح٣١٩، إثبات الهداة للحر العاملي ٣: ٤١٥ / ٥٦، ينابيع المودّة للحافظ سليمان الحنفي ٣: ٣٢٣.

(٣) راجع قصصهم في كتاب تبصرة الولي للسيّد البحراني والفصول الخاصة بأحاديث «من رآه في حياة أبيه» من كتب الغيبة.

(٤) الفصول العشرة في الغيبة للشيخ المفيد: ٥٨ ـ ٦٠.

(٥) غيبة الطوسي: ٣٥٧ / ح٣١٩، كمال الدين: ٤٣٥.

الاحتجاب والتعامل مع المؤمنين بصورةٍ غير مباشرة تعويداً لهم علىٰ مرحلة الغيبة فكان : يكلم شيعته الخواص وغيرهم من وراء الستر إلّا في الأوقات التي يركب فيها الىٰ دار السلطان وإنّما كان منه ومن أبيه قبله مقدمة لغيبة صاحب الزمان لتألف الشيعة ذلك ولا تنكر الغيبة وتجري العادة بالاحتجاب والإستتار[١]، ومن هذه الاجراءات تثبيت نظام الوكلاء عن الإمام ، وتأييد الكتب الحديثية التي جمع فيها أصحاب الأئمة مروياتهم عنهم وعن رسول‌الله (صلى الله عليه وآله)[٢] ، ليرجع إليها المؤمنون في عصر الغيبة[٣].

حضوره وفاة أبيه (عليه السلام)

طبق ما يرويه الشيخ الصدوق في إكمال الدين والشيخ الطوسي في الغيبة فإن الإمام المهدي ـ عجل الله فرجه ـ قد حضر وفاة أبيه العسكري(عليهما السلام)، إلّا أنّ رواية الشيخ الطوسي أكثر تفصيلاً من رواية الصدوق التي كَنَّتْ عن حضوره ولم تصرح به، فقد نقل الشيخ الصدوق عن محمّد بن الحسين بن عباد أنه قال: مات أبو محمّدالحسن بن عليّ (عليهما السلام) يوم جمعة مع صلاة الغداة، وكان في تلك الليلة قد كتب بيده كتباً كثيرة الىٰ المدينة وذلك في شهر ربيع الأوّل لثمان خلون منه سنة ستين ومائتين من الهجرة ولم يحضره في ذلك الوقت إلّا صقيل الجارية، وعقيد الخادم ومَن علم الله عزوجل غيرهما...[٤].

---

(١) إثبات الوصية للمسعودي : ٢٦٢.

(٢) راجع رجال الكشي: ٤٨١، ٤٥١، ورجال ابن داود : ٢٧٢ ـ ٢٧٣، فلاح السائل للسيّد ابن طاووس : ١٨٣ وغيرها.

(٣) لمزيد من التفصيلات بشأن دور الإمام الحسن العسكري(عليه السلام) في هذا المجال راجع كتاب تاريخ الغيبة الصغرىٰ للسيّد الشهيد محمّد الصدر(رحمه الله) : ٢٦٩ وما بعدها، وحياة الإمام العسكري(عليه السلام) للشيخ الطبسي: ٣١٣ ـ ٣٢٦.

(٤) كمال الدين : ٤٧٤ باب (٤٣).

ونقل الطوسي الرواية بتفصيل أكثر حيث قال:

«قال إسماعيل بن عليّ : دخلت على أبي محمّد الحسن بن عليّ(عليهما السلام) في المرضة التي مات فيها، وانا عنده إذ قال لخادمه عقيد ـ وكان الخادم أسود نوبياً قد خدم من قبله عليّ بن محمّد وهو ربيُّ الحسن (عليه السلام) ـ: يا عقيد اغلِ لي ماء بمصطكي. فأغلى له ثم جاءت به صقيل الجارية أُمُّ الخلف، فلما صار القدح في يديه هم بشربه فجعلت يده ترتعد حتى ضرب القدح ثنايا الحسن فتركه من يده وقال لعقيد : «**ادخل البيت فإنك ترى صبياً ساجداً فأتني به**»، قال أبو سهل: قال عقيد: فدخلت أتحرىٰ فاذا انا بصبي ساجد رافع سبابته نحو السماء فسلمت عليه فأوجز في صلاته فقلت: إنّ سيدي يأمرك بالخروج إليه، إذ جاءت أُمّه صقيل فأخذت بيده وأخرجته الىٰ أبيه الحسن(عليه السلام) .

قال أبو سهل : فلما مثل الصبيّ بين يديه سلم وإذا هو دريُّ اللون وفي شعر رأسه قطط، مفلج الأسنان، فلما رآه الحسن (عليه السلام) بكى وقال: «**يا سيد أهل بيته اسقني الماء فإني ذاهب الىٰ ربي**» وأخذ الصبي القدح المغلي بالمصطكي بيده ثم حرك شفتيه ثم سقاه فلما شربه قال: «**هيئوني للصلاة**»، فطرح في حجره منديل فوضأه الصبي واحدة واحدة ومسح علىٰ رأسه وقدميه فقال له أبو محمّد(عليه السلام) : «**أبشر يا بني فأنت صاحب الزمان وأنت المهدي وأنت حجّة الله علىٰ أرضه وأنت ولدي ووصيي وأنا ولدتك وأنت محمّد بن الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ولدك رسول الله وأنت خاتم الأئمة الطاهرين وبشّر بك رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسمّاك وكنّاك بذلك عهد إليَّ أبي عن آبائك الطاهرين صلّى الله علىٰ أهل البيت ربّنا انّه حميد مجيد**»، ومات الحسن بن عليّ من وقته صلوات الله عليهم أجمعين(١).

(١) غيبة الطوسي : ٢٧٣ / ح٢٣٧.



وفيه فصول :

الفصل الأوّل :

الغيبة الصغرىٰ للإمام المهدي(عليه السلام)

الفصل الثاني :

أسباب الغيبة الصغرىٰ والتمهيد لها

الفصل الثالث :

إنجازات الإمام المهدي(عليه السلام) في الغيبة الصغرىٰ

الفَصْلُ الأَوَّلُ

الغيبـة الصغـرىٰ للإمام المهدي(عليه السلام)

تسلّمه مهام الإمامة صغيراً

تسلّم المهدي(عليه السلام) مهام الإمامة وهو ابن خمس أو ست سنين فهو أصغر الأئمة سناً عند توليه مهام الإمامة. وقد أخبرت عن ذلك الأحاديث الشريفة سابقاً(١).

وليس في ذلك غرابة في تاريخ الأنبياء والرسل وأئمة أهل البيت(عليهم السلام) فقد سبقه لذلك بعض أنبياء الله تعالى حسب نصّ القرآن الكريم كعيسى ويحيى كما سبقه الإمامان عليّ الهادي(عليه السلام) الذي تسلم الإمامة وهو ابن ثمان سنين والإمام محمّد الجواد(عليه السلام) الذى تسلم الإمامة وهو ابن سبع أو تسع سنين .

وقد خاض الإمام الجواد (عليه السلام) امتحانين عامين، الأوّل منهما كان بحضور مشائخ مذهب أهل البيت(عليهم السلام) وكبار علمائهم من أصحاب أبيه، وبعد تسلمه لمهام الإمامة مباشرة، وكان الثاني منهما في مجلس المأمون وبحضور كبار

---

(١) منها قول حديث الإمام الباقر(عليه السلام): «صاحب هذا الأمرأصغرنا سناً وأخملنا شخصاً...» غيبة النعماني: ١٩٠. وراجع بهذا الشأن إيضاحات الشيخ المفيد في الفصول المختارة من العيون والمحاسن للسيّد المرتضىٰ: ٢٥٦، وفي كتاب بحث حول المهدي للسيّد الشهيد محمّد باقر الصدر(رحمه الله) حيث تحدث مفصلاً عن هذه الظاهرة في حياة الأئمة بالتفصيل .

علماء أهل السنّة يومذاك وكبار زعماء العباسيين الذين كانوا يسعون بكل وسيلة للحط من مكانة أئمة أهل البيت (عليهم السلام). وخرج من كلا الامتحانين بنجاح باهر أذعن بسببه مشائخ أصحاب أبيه وكبار علماء المسلمين لإمامته العلمية وإحاطته بعلوم شريعة جده سيد الرسل محمّد(صلى الله عليه وآله)[١].

وكانت أهم ثمار هذه التجربة تتجلىٰ في إثبات إمامة الأئمة الاثني عشر كموقع إلهي يؤتيه الله تبارك وتعالى لمن يشاء فلا يؤثر صغر السن في قابلية الإفاضة الإلهية على الشخص، ولذلك نلاحظ أنّ الذين ترجموا للإمام المهدي(عليه السلام) من علماء المذاهب الإسلامية قد اعتبروا تسلمه للإمامة، وهو ابن خمس سنين أمراً طبيعياً في سيرة أئمة هذا البيت(عليهم السلام)، حتى أنّ عالماً كبيراً مثل ابن حجر الهيتمي المكّي الشافعي يقول في ذيل ترجمته للإمام الحسن العسكري(عليه السلام): «ولم يخلّف [الإمام العسكري] غير ولده أبي القاسم محمّد الحجّة، وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين لكن آتاه الله فيها الحكمة...»[٢]، ويقول صاحب كتاب مرآة الأسرار الشيخ عبدالرحمن الجامي الحنفي في ترجمته: «كان عمره عند وفاة أبيه خمس سنين وجلس علىٰ مسند الإمامة ومثله مثل يحيىٰ بن زكريا حيث أعطاه الله في الطفولة الحكمة والكرامة ومثل عيسىٰ بن مريم حيث أعطاه النبوة في صغر سنّه كذلك المهدي جعله‌الله إماماً في صغر سنه، وما ظهر له من خوارق العادات كثير لا يسعه هذا المختصر»[٣].

---

(١) الإرشاد، المفيد ٢: ٢٨١، الإحتجاج، الطبرسي ٢: ٢٤٠، راجع تفصيلات هذه الامتحانات في موسوعة بحار الأنوار: ٥٠/ ٧٤ وغيرها.

(٢) الصواعق المحرقة ٢: ٦٠١.

(٣) مرآة الأسرار: ٣١.

ونلاحظ هنا استناد الشيخ الجامي الحنفي الىٰ تجارب الأنبياء السابقين(عليهم السلام) التي تنفي استبعاد الإمامة عن الصغير مادام الإمام مسدداً من قبل الله تبارك وتعالىٰ في صغره أو كبره. وقد ثبت أنّ المهدي (عليه السلام) قد حظي بهذا التسديد الإلهي من خلال حوادث عديدة نقلتها كتب الحديث والتاريخ وذكرت صدور كرامات عنه (عليه السلام) لا يمكن صدورها عن غير الإمام، وقد كان بعضها في حياة أبيه وبعضها الآخر في عهد إمامته[١].

صلاته علىٰ أبيه وإعلان وجوده

كان من أُولىٰ المهمات التي قام بها الإمام المهدي (عليه السلام) بُعَيْد تسلمه مهام الإمامة هي الصلاة علىٰ أبيه الحسن العسكري (عليه السلام) في داره وقبل إخراج جسده الطاهر الىٰ الصلاة « الرسمية » التي خططتها السلطات العباسية[٢] وكان قيامه بهذه الصلاة يعتبر أمراً مهماً في إثبات إمامته رغم المخاطر التي كانت تتوقع بعد نقل خبر هذه الصلاة.

روىٰ الشيخ الطوسي بسنده عن أحمد بن عبدالله الهاشمي ـ وهو من ولد العباس ـ قال: «حضرتُ دار أبي محمّد الحسن بن عليّ (عليه السلام) بسر مَن رأى يوم توفي وأُخرجت جنازته ووضعت، ونحن تسعة وثلاثون رجلاً قعود ننتظر، حتىٰ خرج إلينا غلام عشاري حافٍ، عليه رداء قد تقنع به، فلما أن خرج قمنا هيبة له من غير أن نعرفه، فتقدم وقام الناس فاصطفوا خلفه، فصلىٰ

---

(١) مثل تكلّمه عند ولادته وهو في المهد، كمال الدين: ٤٢٥، ٤٢٨ وغيرها، ومثل تحدثه بجوامع العلم والحكمة وهو صغير، غيبة الشيخ الطوسي: ٢٨١، كمال الدين: ٤٤٤ وما بعدها.

(٢) يظهر أنّ الصلاة الأولىٰ كانت بحضور وجوه أصحاب الإمام وأرحامه والصلاة الرسمية كانت بحضور ممثلي السلطة العباسية ووجوه المدينة وعامة الناس، راجع تفصيلات ذلك في كتاب بحار الأنوار: الجزء ٥٢.

عليه ومشىٰ، فدخل بيتاً غير الذي خرج منه»[١].

ورویٰ الشيخ الصدوق الحادثة نفسها بتفصيلات أدق عن أبي الأديان البصري أحد ثقات الإمام العسكري (عليه السلام)، حيث قال:

«كنت أخدم الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليهم السلام) واحمل كتبه الىٰ الأمصار فدخلت عليه في علّته التي توفّي فيها صلوات الله عليه فكتب معي كتباً وقال: **«امض بها الىٰ المدائن فإنك ستغيب خمسة عشر يوماً وتدخل الىٰ (سر من رأى) يوم الخامس عشر وتسمع الواعية في داري وتجدني علىٰ المغتسل»**.

قال أبو الأديان: فقلت: يا سيدي فاذا كان ذلك فمن ؟ قال: **«من طالبك بجوابات كتبي فهو القائم من بعدي»**، فقلت: زدني فقال: **«من يصلّي عليَّ فهو القائم بعدي»**، فقلتُ: زدني فقال: **«من أخبر بما في الهميان فهو القائم بعدي»** ثم منعتني هيبته أن أسأله عما في الهميان، وخرجت بالكتب الىٰ المدائن واخذت جواباتها ودخلت (سر من رأى) يوم الخامس عشر كما قال لي (عليه السلام) وإذا أنا بالواعية في داره وإذا به علىٰ المغتسل وإذا أنا بجعفر بن عليّ اخيه بباب الدار والشيعة من حوله يعزونه ويهنئونه فقلت في نفسي إن يكن هذا الإمام بطلت الإمامة، لأني كنت أعرفه يشرب النبيذ ويقامر في الجوسق ويلعب بالطنبور فتقدمت فعزيت وهنئت فلم يسألني عن شيء ثم خرج عقيد فقال: يا سيدي قد كفن أخوك فقم فصلِّ عليه.

فدخل جعفر بن عليّ والشيعة من حوله يقدمهم السمان والحسن بن عليّ قتيل المعتصم المعروف بسلمة فلما صرنا في الدار إذا نحن بالحسن بن عليّ

(١) غيبة الشيخ الطوسي: ٢٥٨ / ٢٢٦ عنه بحار الأنوار ٥٢: ٤/٥.

صلوات الله عليه علىٰ نعشه مكفناً، فتقدم جعفر بن عليّ ليصلّي على أخيه فلما هم بالتكبير خرج صبي بوجهه سمرة بشعره قطط باسنانه تفليج ، فجذب برداء جعفر بن عليّ وقال:«**تأخر يا عم فأنا احق بالصلاة على أبي**» فتأخر جعفر وقد أربدّ وجهه واصفرّ وتقدّم الصبي فصلى عليه ودفن الىٰ جانب قبر أبيه(عليهما السلام) ثم قال: «**يا بصري هات جوابات الكتب التي معك**» فدفعتها إليه فقلت في نفسي : هذه بيّنتان بقي الهميان، ثم خرجت الىٰ جعفر بن عليّ وهو يزفر فقال له حاجز الوشا: يا سيدي من الصبي لنقيم الحجّة عليه ؟

فقال: والله ما رأيته قط ولا أعرفه فنحن جلوس إذ قدم نفر من قم فسألوا عن الحسن بن عليّ (عليه السلام) فعرفوا موته فقالوا: فمن نعزي؟ فأشار الناس الىٰ جعفر بن عليّ فسلموا عليه وعزوه وهنأوه وقالوا: إنّ معنا كتب ومال فتقول ممن الكتب وكم المال؟ فقام ينفض اثوابه ويقول: تريدون منا أن نعلم الغيب؟! قال: فخرج الخادم فقال: معكم كتب فلان وفلان وهميان فيه ألف دينار وعشرة دنانير منها مطلية فدفعوا إليه الكتب والمال وقالوا: الذي وجّه بك لأخذ ذلك هو الإمام.

فدخل جعفر بن عليّ على المعتمد وكشف ذلك فوجّه المعتمد بخدمه فقبضوا علىٰ صقيل الجارية فطالبوها بالصبي فأنكرته، وادعت أن بها حبلاً لتغطي حال الصبي، فسلّمت الىٰ ابن أبي الشوارب القاضي، وبغتهم موت عبيدالله بن يحيى بن خاقان فجأة وخروج صاحب الزنج بالبصرة فشغلوا بذلك عن الجارية فخرجت من أيديهم والحمد لله رب العالمين... »[١].

---

(١) كمال الدين : ٤٧٥ ـ ٤٧٦، الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي ٣: ١١٠١ ـ ١١٠٤، بحار الأنوار ٥٢: ٦٧ .

أهدافه (عليه السلام) من الصلاة علىٰ أبيه

حقق قيام الإمام بالصلاة علىٰ أبيه ـ سلام الله عليهما ـ أمرين مهمين، كان من الضروري إنجازهما بعد وفاة الإمام الحادي عشر حيث تتطلّع أنظار الناس لمعرفة هوية الإمام الثاني عشر، بعد أن عرفنا أنّ ولادة الإمام المهدي ـ سلام الله عليه ـ كانت قد أُحيطت بالكتمان الشديد بسبب الترصد العباسي للقضاء علىٰ الوليد المصلح المرتقب، لذلك فإنّ هذا الظرف الخاص هو الظرف الذي كانت تتطلع فيه الأعين لترى من الذي يصلي علىٰ الإمام المتوفىٰ لتتخذ ذلك قرينة كاشفة عن خليفة الإمام السابق. وهكذا كان الظرف يمثل فرصة مناسبة للغاية لتعريف الحاضرين في الدار ـ وكثير منهم من عيون أصحاب الإمام العسكري (عليه السلام) ووكلائه ـ بوجود الإمام المهدي وأنه هو الوصي الحقيقي لأبيه، وأن الرعاية الإلهية قد حفظته من مساعي الإبادة العباسية خاصة وأن الخليفة العباسي المعتمد قد بعث جلاوزته فور وصول خبر وفاة الإمام العسكري لتفتيش داره (عليه السلام) بجميع حجرها بحثاً عن ولده واصطحبوا معهم نساءاً يعرفن الحبل لفحص جواريه (عليه السلام) وكلّ ذلك كان قبل تهيئة الجسد الطاهر وتكفينه[1]، لذلك كانت صلاته علىٰ أبيه (عليه السلام) بمثابة إعلانٍ لأُولئك الحاضرين ـ وعددهم كان يناهز الأربعين كما في رواية الهاشمي المتقدّمة ـ؛ بسلامة الإمام المهدي من الهجوم العباسي السريع الذي باغت أهل دار العسكري المنشغلين بمصيبة فقده (عليه السلام)، الأمر الذي قد يجعل البعض يتصور بأنهم لم يكونوا يتحسبون لهذا الهجوم المباغت.

(١) راجع تفصيلات ذلك في كمال الدين: ٤٠ ـ ٤٣، وفي بحار الأنوار ٥٠: ٣٢٥ باب وفات الإمام الحسن العسكري.

ولتأكيد هذا الأمر نلاحظ أنّ ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) للصلاة علىٰ أبيه اقترن بالإعلان عن هويته وأنه ابن الحسن العسكري وأنه أحقّ بالصلاة عليه كما تصرح بذلك رواية أبي الأديان حيث خاطب الإمام عمه جعفر بالقول : «يا عم ، أنا أحقّ بالصلاة علىٰ أبي ».

أما الإنجاز الثاني، فهو منع عمه جعفر ـ الذي لُقب بالكذاب ـ من استغلال هذا الموقف المهم للحصول علىٰ ورقة مؤثرة في أذهان الناس تؤيد دعاواه التضليلية بأنه هو الإمام بعد أخيه العسكري (عليه السلام) ، وتتضح أهمية هذا الإنجاز وضرورته من ملاحظة الجهود المستميتة التي بذلها جعفر بتشجيع من السلطة العباسية لإقناع الناس بأنه خليفة أخيه العسكري (عليه السلام) والقائم مقامه في الإمامة[1]، وقد بلغت استماتته في ذلك حد الوشاية بابن أخيه المهدي (عليه السلام) ومسارعته لإخبار المعتمد العباسي بحضوره للصلاة بهدف القبض عليه كما رأينا في الرواية المتقدّمة، واستنجاده بالبلاط العباسي لمناصرته في جهوده هذه.

وواضح أنّ لمثل هذا النشاط المحموم تأثيراً سلبياً كبيراً في إضلال الناس وإبعادهم عن الإمام الحقّ خاصة مع الخفاء الذي كان قد أحاط بولادة المهدي (عليه السلام) وكتمان أمره إلّا عن خواص أصحابه، فكان لابد للإمام (عليه السلام) من مواجهته وعدم السماح له باستغلال ذلك الموقف الحساس لجهوده التضليلية تلك، وإعلان وجوده (عليه السلام) إكمالاً للحجّة علىٰ الرغم من المخاطر التي حفت بالقيام بهذه المهمة.

---

(١) كمال الدين: ٤٠ ـ ٤٣، إرشاد الشيخ المفيد٢: ٣٢١ ـ ٣٢٥، وعنه في بحار الأنوار: ٥٠/ ٣٢٥ ـ ٣٢٩، مناقب آل أبي طالب ٣: ٥٢٤، أعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ: ١٤٩.

غيبتا الإمام المهدي (عليه السلام)

كان للإمام المهدي ـ عجل الله فرجه ـ غيبتان: صغرىٰ وكبرىٰ، أخبرت عنهما معاً الكثير من الأحاديث الشريفة المروية عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) وعن الأئمة المعصومين من أهل بيته (عليهم السلام) ،كما نشير لذلك لاحقاً ، بل وأشارت إليها بعض نصوص الكتب السماوية السابقة كما لاحظنا سابقاً.

تبدأ الغيبة الصغرىٰ من حين وفاة أبيه الحسن العسكري (عليه السلام) سنة (٢٦٠هـ) وتولّى المهدي مهام الإمامة الىٰ حين وفاة آخر السفراء الأربعة الخاصين بالإمام المهدي ـ عجل الله فرجه ـ وهو الشيخ عليّ بن محمّد السمري في النصف من شعبان سنة (٣٢٩ هـ) تزامناً مع ذكرىٰ ولادة الإمام المهدي (عليه السلام)؛ فتكون مدتها قرابة السبعين عاماً، وقد تميزت هذه الفترة بعدم الاستتار الكلي للإمام حيث كان يتصل بعدد من المؤمنين،كما تميزت بكثرة الرسائل الصادرة عنه (عليه السلام) في موضوعات عديدة، وكذلك بوجود السفراء الخاصين والوكلاء الذين كان يعينهم مباشرة. وهذه الفترة مثلت مرحلة انتقالية بين الظهور المباشر الذي كان مألوفاً في حياة آبائه وبين الاستتار الكامل في عهد الغيبة الكبرىٰ.

أما الغيبة الكبرىٰ فقد بدأت إثر وفاة الشيخ السمري إذ أمره الإمام بعدم تعيين خليفة له، بعد أن استنفذت الغيبة الصغرىٰ الأهداف المطلوبة منها . والغيبة الكبرىٰ مستمرة الىٰ يومنا هذا وستستمر حتىٰ يأذن الله تبارك وتعالىٰ للإمام بالظهور والقيام بمهمته الإصلاحية الكبرىٰ.

وتميزت الغيبة الكبرىٰ بانتهاء نظام السفارة الخاصة عن الإمام، وبقلّة الرسائل الصادرة عنه (عليه السلام) ، وبالاستتار الكلي إلّا في حالات معينة سنتحدث عنها وعن تفصيلات ما أجملناه آنفاً ضمن البحوث التالية.

الفصل الثاني

أسباب الغيبة الصغرىٰ والتمهيد لها

أسباب الغيبة الصغرىٰ

جاءت غيبة الإمام المهدي ـ عجل الله فرجه ـ كإجراءٍ تمهيدي لظـهوره، اقتضته الحكمة الإلهية في تدبير شؤون العباد بهدف تأهيل المجتمع البشري للمهمة الإصلاحية الكبرىٰ التي يحققها الله تبارك وتعالىٰ علىٰ يـديه (عليه السلام)، والتي تتمثل فـي إظـهار الإسـلام عـلىٰ الديـن كـله وإقـامة الدولة الإسـلامية العادلة في كـلّ الأرض وتـأسيس المـجتمع التـوحيدي الخـالص الذي يُـعبد الله وحده لا شريك له دونما خـوف مـن كـيد مـنافق أو مشـرك كـما نـصت علىٰ ذلك النصوص الشرعية التي سنتناولها في الفصل الخاص بسيرته (عليه السلام) بعد ظهوره.

إنّ الإنحراف الذي ساد الكيان الإسلامي قـد أبـعده عـن الدور الريـادي المطلوب الذي أراده الله سبحانه، له أي لكي يكون كيان خـير اُمـة أخـرجت للناس، وترسّخ الإنحراف الاجتماعي والأخلاقي والاقـتصادي حـتىٰ أفـقده أهليّة القيام بـهدايـة المـجتمع البشـري نـحو العـدالة الإسـلامية التـي فـقدها المسلمون أنفسهم وفقدوا معها الكثير من القيم الإلهية الأصيلة حتى اختفت مظاهرها من حياتهم.

والإنحراف السياسي ـ الذي سبب انحرافات اُخرىٰ ـ كان قد طغىٰ عـلىٰ

كيان المسلمين واستشرىٰ الفساد في حكوماتهم التي لم يكن لها هدف سوىٰ التمادي في الملذات المحرمة والتناحر الداخلي بدوافع سلطوية ومطامع استعلائية في الأرض حتى غابت صورة الخليفة الخادم للرعية المدافع عن كرامتهم الإنسانية ومصالحهم الدنيوية والاُخروية وحلت محلها صورة الحاكم المستبد الذي لا همّ له سوىٰ الفساد والإفساد والاستعلاء في الأرض والاحتفاظ بالعرش بما أمكنه ولو كان علىٰ حساب سحق أبسط القيم التي جاء بها مَن يرفعون شعار خلافته أي النبيّ الأعظم (صلى الله عليه وآله)، ولذلك اجتهدوا في محاربة أئمة الهدىٰ من عترته كما لاحظنا في تعليل الإمام العسكري (عليه السلام) للمطاردة الأُموية والعباسية لهم وخاصة للمهدي الموعود.

إذن فالكيان الإسلامي ـ وبالتالي المجتمع البشري ـ لم يكن مؤهلاً بالفعل لتلك المهمة الإصلاحية الكبرىٰ التي تحمّلها المهديّ الموعود، ولعل من أوضح مظاهر ذلك موقفه من الثورات العلوية الكثيرة التي كانت تتفجر في أرجاء مختلفة من العالم الإسلامي، لكنها كانت تواجه بقمعٍ وحشي، أو خذلان سريع، أو انحراف سريع عن أهدافها المعلنة وتحويلها الىٰ حكومة سلطوية كسائر الحكومات الفاسدة المعاصرة لها بعيدة عن الأهداف الإصلاحية الإسلامية الكبرى[1].

في ظل هذه الأوضاع وفي ظل الجهود المستميتة التي كانت تبذلها السلطات العباسية للقضاء علىٰ المهدي كما تقدّم، كان لابد من إحاطة الإمام (عليه السلام) بستار يمكنه من المساهمة ـ كحجةٍ لله علىٰ عباده ـ في إعداد المقدمات اللازمة لظهوره دون أن يعرّضه لخطر الإبادة وفقدان البشر

(١) أجرى السيّد الشهيد محمّد الصدر(رحمه الله) دراسة تحليلية وثائقية قيمة استناداً لمصادر التاريخ الإسلامي، لخصوصيات هذه الحقبة من التاريخ الإسلامي من المفيد الإطلاع عليها في كتابه تاريخ الغيبة الصغرى.

لحجةالله الموكّل بحفظ الشريعة المحمدية، وهذا الستار هو الذي سمي بـ «الغيبة» . والىٰ هذا السبب أشارت مجموعة من الأحاديث الشريفة عن أنّ أحد أسرار الغيبة هو الخشية من القتل، وهذه العلة تنطبق علىٰ الغيبة الصغرىٰ وثمة علل أُخرىٰ ترتبط بتأهيل المجتمع البشري للظهور. سنفصل الحديث عنها في مقدمة الفصل الخاص بالغيبة الكبرىٰ.

تمهيد النبيّ(صلى الله عليه وآله) والأئمة(عليهم السلام) لغيبة الإمام المهدي(عليه السلام)

سجلت المصادر الإسلامية الكثير من الأحاديث الشريفة المروية عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) وأئمة أهل البيت (عليهم السلام) ؛ التي أخبرت عن حتمية وقوع غيبة الإمام المهدي ـ عجل الله فرجه ـ، وقد نقلنا نماذج لها ضمن الحديث عن خفاء ولادته، وننقل هنا نماذج أُخرىٰ لها.

فمنها ما رواه الحافظ صدر الدين إبراهيم بن محمّد الحمويني الشافعي (٦٤٤ ـ ٧٢٢ هـ) في كتابه فرائد السمطين ، وغيره بأسانيدهم عن ابن عباس أنّ يهودياً اسمه نعثل ويكنىٰ أبا عمارة جاء الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسأله عن أشياء ترتبط بالتوحيد والنبوة والإمامة فأجابه عليها فأسلم الرجل وقال :

أشهد أن لا إله إلّا الله، وأنك رسول الله ، وأشهد أنهم الأوصياء بعدك، ولقد وجدت هذا في الكتب المتقدّمة، وفيما عهد إلينا موسىٰ (عليه السلام) : إذا كان آخر الزمان يخرج نبي يقال له « أحمد » خاتم الأنبياء لا نبي بعده، يخرج من صلبه أئمة أبرار عدد الأسباط.

فقال (صلى الله عليه وآله) «**يا أبا عمارة أتعرف الأسباط**»؟ قال: نعم يا رسول الله إنّهم كانوا اثني عشر.

قال: «**فإن فيهم لاوي بن ارحيا**». قال: أعرفه يا رسول الله، وهو الذي غاب

عن بني اسرائيل سنين ثم عاد فأظهر شريعته بعد دراستها وقاتل مع فريطيا الملك حتى قتله.

وقال (عليه السلام): **«كائن في أُمّتي ماكان من بني اسرائيل حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة، وأنّ الثاني عشر من ولدي يغيب حتى لا يرى، ويأتي علىٰ أُمّتي زمن لا يبقى من الإسلام إلّا اسمه ولا من القرآن إلّا رسمه، فحينئذٍ يأذن الله له بالخروج فيظهر الإسلام ويجدد الدين. ثم** قال (عليه السلام): **طوبىٰ لمن أحبهم وطوبىٰ لمن تمسك بهم، والويل لمبغضهم»**(١).

وروي عنه (صلى الله عليه وآله) أنه قال: **«مَن أنكر القائم من ولدي في زمان غيبته مات ميتة جاهلية»**(٢).

وقال(صلى الله عليه وآله): **«والذي بعثني بالحقّ بشيراً ليغيبن القائم من ولدي بعهدٍ معهود إليه مني حتىٰ يقول أكثر الناس: ما لله في آل محمّد من حاجة، ويشك آخرون في ولادته، فمن أدرك زمانه فليتمسك بدينه، ولا يجعل للشيطان إليه سبيلاً بشكه فيزيله عن ملتي ويخرجه من ديني...»**(٣).

وقال(صلى الله عليه وآله): **«... وجعل من صلب الحسين أئمة ليوصون بأمري ويحفظون وصيتي، التاسع منهم قائم أهل بيتي ومهدي أُمّتي، أشبه الناس بي في شمائله وأقواله وأفعاله، ليظهر بعد غيبةٍ طويلة وحيرة مضلّة، فيُعلن أمر الله ويظهر دين الحقّ...»**(٤).

وقال(صلى الله عليه وآله): **«لابد للغلام من غيبة، فقيل له: ولِمَ يا رسول الله ؟ قال: يخاف**

(١) فرائد السمطين: ٢/ ١٣٢، كفاية الأثر: ١١ ـ ١٥ وعنه بحار الأنوار ٣٦: ٢٨٣، والأحاديث النبوية بهذا المعنىٰ كثيرة راجعها في معجم أحاديث الإمام المهدي(عليه السلام) القسم الخاص بأحاديث النبيّ(صلى الله عليه وآله): ١/ ٢٥٦ ـ ٢٦٧.

(٢) كمال الدين: ٤١٣ / ح١٢، باب ٣٩، وعنه بحار الأنوار ٥١: ٢١/٧٣.

(٣) كمال الدين: ٥١، وعنه بحار الأنوار ٥١: ١٠/٦٨.

(٤) كفاية الأثر: ١٠. وعنه بحار الأنوار ٣٦: ١٠٥/٢٨٢ وفيه بدل (ليوصون بأمري)، (يقومون بأمري).

القتل»[١].

وقال(ﷺ): «**المهدي من ولدي تكون له غيبة وحيرة تضل فيها الأُمم، يأتي بذخيرة الأنبياء (عليهم السلام) فيملأُها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً**»[٢].

وعن الإمام عليّ (عليه السلام) قال ضمن حديث: «**... ولكني فكرتُ في مولود يكون من ظهري الحادي عشر من ولدي هو المهدي الذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً تكون له غيبة وحيرة يضل فيها أقوام ويهتدي فيها آخرون ...**»[٣].

وقال(عليه السلام) «**وإن للغائب منا غيبتين إحداهما أطول من الأُخرى فلا يثبت علىٰ إمامته إلّا مَن قوي يقينه وصحت معرفته**»[٤].

وروي في ذلك أيضاً عن الامام الحسن بن عليّ (عليه السلام)، كما تقدّم في بحث ولادته (عليه السلام).

وروي عن الإمام الحسين (عليه السلام) أنه قال: «**لصاحب هذا الأمر [يعني المهدي] غيبتان إحداهما تطول حتىٰ يقول بعضهم مات، وبعضهم: ذهب، ولا يطلع علىٰ موضعه أحد من ولي ولا غيره إلّا المولىٰ الذي يلي أمره**»[٥].

وعن الإمام السجاد (عليه السلام) قال: «**في القائم سنة من نوح وهو طول العمر**»[٦]، وقال(عليه السلام): «**إنّ للقائم منا غيبتين إحداهما أطول من الأُخرى**»[٧].

---

(١) علل الشرائع ١: ١/٢٤٣ باب (١٧٩) علة الغيب، وعنه في بحار الأنوار: ٥٢/ ٩٠.

(٢) كمال الدين: ٢٨٧، ح٥، فرائد السمطين: ٢/ ٣٣٥، وينابيع المودة للحافظ سليمان الحنفي ٣: ٤٩/٣٩٧ باختلاف يسير.

(٣) الكافي للكليني ١: ٧/٣٣٨، كمال الدين: ٢٨٩ / ح١، الغيبة للنعماني: ٦٨، ح٤.

(٤) ينابيع المودة للحافظ الحنفي ٣: ٤٣/٢٤٩.

(٥) الإشاعة في أشراط الساعة: ١٣.

(٦) كمال الدين: ٣٢٢ ح٥ وعنه بحار الأنوار ٥١: ٥/٢١٧.

(٧) كمال الدين: ٣٢٣ ح٨.

وعن الإمام الباقر (عليه السلام): «لقائم آل محمّد غيبتان إحداهما أطول من الأُخرى»(١).

وعن الإمام الصادق(عليه السلام): «إن بلغكم عن صاحبكم غيبة فلا تنكروها»(٢)، وقال(عليه السلام) أيضاً: «إن للقائم منّا غيبة يطول أمدها ... لأنّ الله عزّ وجلّ أبىٰ إلّا أن يجري فيه سنن الأنبياء(عليهم السلام) في غيباتهم وأنه لابد له يا سدير من استيفاء مدد غيباتهم»(٣).

وعن الإمام الكاظم (عليه السلام): «أنا القائم بالحقّ ولكنّ القائم الذي يطهّر الأرض من أعداء الله ويملأها عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً هو الخامس من ولدي له غيبة يطول أمدها...»(٤).

وعن الإمام الرضا (عليه السلام) قال ضمن حديث عن القائم: «...ذاك الرابع من ولدي يغيّبه الله في ستره ما شاء ثم يظهره فيملأ [به] الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»(٥).

وعن الإمام الجواد (عليه السلام) قال ضمن حديث: «... ما منّا إلّا قائم بأمر الله وهاد الىٰ دين الله ولكن القائم الذي يطهر الله عزّ وجلّ به الأرض من أهل الكفر والجحود ويملأها عدلاً وقسطاً هو الذي يخفي علىٰ الناس ولادته ويغيب عنهم شخصه...»(٦).

وعن الإمام الهادي (عليه السلام) قال: «... إنكم لا ترون شخصه...»(٧).

وقال: «إذا غاب صاحبكم عن دار الظالمين فتوقعوا الفرج»(٨).

---

(١) غيبة النعماني: ١٧٧.، دلائل الإمامة، الطبري: ٥٣٥، ح ٥٢٠.

(٢) غيبة الشيخ الطوسي: ١٦٠، ح١١٨، غيبة النعماني: ١٩٤ ح٤٢.

(٣) كمال الدين: ٤٨٠، ح٦، علل الشرائع، الصدوق ١: ٧/٢٤٥.

(٤) كمال الدين: ٣٦١، ح ١، كفاية الأثر: ٢٦٥.

(٥) كمال الدين: ٣٧٦ وعنه في إعلام الورىٰ: ٢٤١/٢ وكشف الغمة ٣: ٣٣١.

(٦) كمال الدين: ٣٧٨ / ح ٢، كفاية الأثر: ٢٨٢، بحار الأنوار: ٥٢/ ١٠/٢٨٣، احتجاج الطبرسي: ٢/ ٢٤٩.

(٧) الكافي ١: ٣٢٨ / ١٣، الإمامة والتبصرة لابن بابويه ١١٢: ١١٨.

(٨) الإمامة والتبصرة، ابن بابويه ٩٣: ٨٣، كمال الدين: ٣٨٠، الخرائج والجرائح قطب الدين الراوندي ٣: ١١٧٢ / ٦٧.

وعن الإمام العسكري (عليه السلام) قال : « **إبني محمّد هو الإمام والحجّة بعدي، مَن مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية، أما إنّ له غيبة يُحار فيها الجاهلون...**»[١].

وقال: «**...إبني هذا، إنه سميٌّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكنيُّه، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً... مثله في هذه الأُمّة مثل الخضر ومثل ذي القرنين، والله ليغيبن غيبة...**»[٢].

والأحاديث الشريفة بهذه المعاني كثيرة جداً متواترة من طرق أهل البيت(عليهم السلام) ونقلها العديد من حفاظ أهل السنّة من مختلف مذاهبهم كما رأينا، والكثير منها مروي بأسانيد صحيحة، وهي من أوضح الأدلة علىٰ صحة غيبة الإمام المهدي وكونها بأمر الله عزّ وجلّ، حيث ثبت صدورها بل وتدوينها قبل وقوع الغيبة بزمن طويل، فجاءت الغيبة مصدقة لها مثبتة لصحة مضامينها وصدورها من ينابيع الوحي من علام الغيوب تبارك وتعالىٰ حتىٰ لو كانت مرسلة أو كان ثمة نقاش في بعض أسانيدها.

قال الشيخ الصدوق ـ رضوان الله عليه ـ: « إنّ الأئمة (عليهم السلام) قد أخبروا بغيبته ووصفوا كونها لشيعتهم فيما نُقل عنهم واستُحفظ في الصحف ودوّنَ في الكتب المؤلفة من قبل أن تقع الغيبة بمائتي سنة أو أقل أو أكثر، وليس أحد من أتباع الأئمة(عليهم السلام) إلّا وقد ذكر ذلك في كثير من كتبه ورواياته ودوّنه في مصنفاته وهي الكتب التي تعرف بالأُصول مدوّنة مستحفظة عند شيعة آل محمّد من قبل الغيبة بما ذكرناه من السنين...

فلا يخلو حال هؤلاء الاتباع المؤلفين للكتب أن يكونوا علموا الغيب بما وقع الآن من الغيبة فألفوا ذلك في كتبهم ودونوه في مصنفاتهم من قبل كونها، وهذا محال عند أهل اللب والتحصيل، أو أن يكونوا أسسوا في كتبهم الكذب

---

(١) كمال الدين: ٤٠٩، وعنه إعلام الورىٰ: ٢ /٢٥٣،كفاية الأثر: ٢٩٦.

(٢) كمال الدين : ٣٨٤ ، وعنه الطبرسي في إعلام الورىٰ: ٢٤٨/٢، الخرائج للقطب الراوندي: ٣/ ١١٧٤.

فاتفق لهم الأمر كما ذكروا وتحقق كما وضعوا من كذبهم علىٰ بعد ديارهم واختلاف آرائهم وتباين أقطارهم ومحالهم وهذا أيضاً محال كسبيل الوجه الأوّل، فلم يبق في ذلك إلّا أنهم حفظوا عن أئمتهم المستحفظين للوصية عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) من ذكر الغيبة وصفة كونها في مقام بعد مقام الىٰ آخر المقامات ما دونوه في كتبهم وألفوه في أصولهم. وبذلك وشبهه فلج الحقّ وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً »[1].

ومما يزيد هذا الدليل الوجداني وضوحاً أن هذه الأحاديث الشريفة أخبرت عن تفصيلات دقيقة في شكل هذه الغيبة وهوية الإمام الغائب وأنّه الثاني عشر من الأئمة والتاسع من ذرية الحسين (عليه السلام) وغير ذلك من التفصيلات التي لم تنطبق تاريخياً إلّا علىٰ غيبة الإمام المهدي (عليه السلام) وهذا من الدلائل الإعجازية الواضحة علىٰ صحة إمامته وغيبته ـ عجل الله فرجه ـ.

ويقول الشيخ المفيد أيضاً : « فقد كانت الأخبار عمن تقدّم من أئمة آل محمّد(عليهم السلام) متناصرة بأنه لابد للقائم المنتظر من غيبتين إحداهما أطول من الأُخرى يعرف خبرَه الخاصُ في القصرىٰ ولا يعرف العام له مستقراً في الطولىٰ إلّا مَن تولىٰ خدمته من ثُقات أوليائه... والأخبار بذلك موجودة في مصنفات الشيعة الإمامية قبل مولد أبي محمّد [الإمام العسكري] وأبيه وجده(عليهم السلام) ، وظهر حقها عند مضي الوكلاء والسفراء الذين سميناهم(رحمهم الله) وبان صدق رواتها بالغيبة الطولىٰ وكان ذلك من الآيات الباهرات في صحة ما ذهبت إليه الإمامية ودانت به في معناه...»[2].

وهذا الاستدلال يصدق في إثبات صحة كلا الغيبتين الصغرىٰ والكبرىٰ لأنّ الأحاديث الشريفة تحدّثت عنهما وعن تفصيلاتهما.

(١) كمال الدين: ١٩ من مقدمة المؤلف.

(٢) الفصول العشرة، المفيد: ٨٢.

فلسفة مرحليّة الغيبة

أشرنا الىٰ أنّ الغيبة ـ عموماً ـ إجراء تمهيدي كان لابدّ منه ليتمكن الإمام المهدي ـ عجل الله فرجه ـ من الظهور وإنجازه لمهمته الإصلاحية العالمية الكبرىٰ.

وقد اقتضت الحكمة الإلهية أن تكون هذه الغيبة علىٰ مرحلتين.

والعلة واضحة؛ إذْ أنّ وقوع الغيبة الكاملة بصورة مفاجئة سوف يفقدها مجموعة من العوامل اللازمة لتأهيل المجتمع الإسلامي والبشري لظهوره(عليه السلام) وإقامة الدولة الإسلامية العالمية.

إذ المحور العام لعملية التأهيل هذا هو التمحيص الإعدادي ـ كما تشير لذلك الأحاديث الشريفة علىٰ ما سيأتي تفصيله خلال الحديث عن الغيبة الكبرىٰ بإذن الله ـ، ومثل هذا التمحيص يحتاج الىٰ جملة عوامل وقناعات عقائدية متينة تمثل قاعدة الإستناد للإنسان المسلم للنجاح في عملية التمحيص وتراكم الخبرات واللياقات النفسية والمعرفية عبر أجيال المجتمع الإسلامي استعداداً للظهور.

إنّ النبيّ الأكرم(صلى الله عليه وآله) والأئمة من أهل بيته(عليهم السلام) قد مهّدوا لهذه الغيبة بخطوات عديدة ازدادت عمقاً وشمولية كلمّا اقترب أوانها كالإخبار عن حتمية وقوعها، وخفاء ولادة صاحبها، وتوسيع العمل بنظام الوكلاء، وتوفير ما تحتاجه الأُمّة من المعارف الإسلامية والقواعد الشرعية التي يتم علىٰ أساسها استنباط الأحكام الشرعية وغير ذلك، إلّا أنّ التمهيد للغيبة الكاملة بقي بحاجة الىٰ خطوات تكميلية ونماذج تطبيقية تؤكدها وتبيّنها، وهذا ما قام به الإمام المهدي(عليه السلام) في الغيبة الصغرىٰ وهو الإطار العام لسيرته وتحركه

في هذه الفترة التي جاءت بمثابة مرحلة انتقال بين حالة الظهور الكامل للأئمة السابقين (عليهم السلام) وبين الغيبة الكاملة للمهدي الموعود، فهي في الواقع خطوة تمهيدية أخيرة للغيبة الكبرىٰ.

والحقيقة المتقدّمة نجدها متجلية بوضوح في سيرته (عليه السلام) في الغيبة الصغرىٰ ومن خلال دراسة أهداف تحركاته فيها ومقارنة هذه الأهداف بالخصوصيات المميزة لفترة الغيبة الكبرىٰ. لذلك ندخل الى الحديث عن سيرته(عليه السلام) من باب دراسة أهدافها بالتحديد لكي يتضح الترابط بينها وبين سيرته في الغيبة الكبرىٰ.

تعقيب السلطة العباسيّة لخبر الإمام

يظهر من روايات مرحلة الغيبة الصغرىٰ أنّ السلطة العباسية أخذت تتعقب خبر الإمام المهدي (عليه السلام) ، وكأنها كانت علىٰ اطمئنان بوجوده استناداً الىٰ ما تواتر نقله عن النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) من أخبار الأئمة الاثني عشر من عترته، وكانت تعلم أنّ الحسن العسكري (عليه السلام) هو الحادي عشر منهم فلابد من ولادة الثاني عشر أيضاً وهو خاتمهم الموعود بإنهاء الظلم والجور على يديه حسبما ورد في البشارات النبوية المتواترة.

وقد لاحظنا في رواية الكليني ـ ضمن حديثنا عن رعاية الإمام لوكلائه ـ أنّ هدف السلطة من التجسس علىٰ الوكلاء هو الوصول الىٰ الإمام(عليه السلام)، ولذلك كانت التأكيدات المشددة من قبل الأئمة السابقين (عليهم السلام) ومن الإمام المهدي(عليه السلام) نفسه تركّز على النهي عن ذكر اسم الامام في الغيبة الصغرىٰ؛

لأنّه إذا وقع الاسم وقع الطلب[١]. ويُستفاد من رواية نقلها الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة: أنّ السلطات العباسية حصلت بالفعل علىٰ معلومات عن وجود الإمام(عليه السلام) وسعت لاغتياله، فتحدّاها الإمام (عليه السلام) ليثبت أنه محفوظ بالرعاية الإلهية.

تقول الرواية: «وحدّث عن رشيق صاحب المادراي قال: بعث إلينا المعتضد ونحن ثلاثة نفر فأمرنا أن يركب كلّ واحد منّا فرساً ونجنب آخر ونخرج مخفّين لا يكون معنا قليل ولا كثير إلّا علىٰ السرج مصلى وقال لنا: الحقوا بسامرة، ووصف لنا محلة وداراً وقال: إذا أتيتموها تجدون علىٰ الباب خادماً أسوداً فاكبسوا الدار ومن رأيتم فيها فأتوني برأسه. فوافينا سامرة فوجدنا الأمر كما وصفه، وفي الدهليز خادم أسود وفي يده تكة ينسجها فسألناه عن الدار ومن فيها فقال: صاحبها، فوالله ما التفت إلينا وقلّ إكتراثه بنا، فكبسنا الدار كما أمرنا فوجدنا داراً سرية ومقابل الدار سترٌ ما نظرت قط الىٰ أنبل منه كأنّ الأيدي رفعت عنه في ذلك الوقت.

ولم يكن في الدار أحد فرفعنا الستر فاذا بيت كبير كأن بحراً فيه ماء وفي أقصى البيت حصير قد علمنا أنه علىٰ الماء، وفوقه رجل من أحسن الناس هيئة قائم يصلي. فلم يلتفت إلينا ولا الىٰ شيء من أسبابنا، فسبق أحمد بن عبدالله ليتخطىٰ البيت فغرق في الماء ومازال يضطرب حتى مددت يدي إليه فخلصته وأخرجته وغشي عليه وبقي ساعة، وعاد صاحبي الثاني الىٰ فعل ذلك الفعل فناله مثل ذلك، وبقيت مبهوتاً فقلت لصاحب البيت: المعذرة الىٰ الله وإليك فوالله ما علمت كيف الخبر ولا الىٰ من أجيء وأنا تائب الىٰ الله، فما

(١) الكافي، الكليني ١: ٣٣٠ باب في تسمية من رآه(عليه السلام) وعنه الطوسي في الغيبة: ٢٤٤، ح٢٠٩، كمال الدين باب (٥٦) باب النهي عن تسمية القائم(عليه السلام) .

التفت الى شيء ممّا قلنا وما انفتل عما كان فيه، فهالنا ذلك وانصرفنا عنه.

وقد كان المعتضد ينتظرنا، وقد تقدّم الىٰ الحجّاب إذا وافيناه أن ندخل عليه في أي وقت كان، فوافيناه في بعض الليل فأدخلنا عليه فسألنا عن الخبر فحكينا له ما رأينا، فقال: ويحكم! لقيكم أحد قبلي؟ وجرى منكم الىٰ أحد سبب أو قول؟ قلنا: لا، فقال: أنا نفيّ من جدي ـ وحلف بأشد أيمان له ـ أنه رجل إن بلغه هذا الخبر ليضربن أعناقنا. فما جسرنا أن نحدّث به إلّا بعد موته[1].

* * *

(١) غيبة الطوسي: ٢٤٨ ـ ٢٥٠.

الفصل الثالث

إنجازات الإمام المهدي (عليه السلام) في الغيبة الصغرىٰ

إثبات وجوده و إمامته

وهو الهدف الذي توخاه من حضوره للصلاة علىٰ أبيه ـ سلام الله عليهما ـ كما تحدثنا عن ذلك سابقاً، وهو من أهم خطواته وتحركاته في غيبته الصغرىٰ، وتبرز أهمية هذا الهدف من كونه يوفر القاعدة الأساس التي يستند إليها تحرّك المهدي في عصر الغيبة، إذ أنّ من الواضح من النصوص الشرعية أنّ النجاة من الضلالة وميتة الجاهلية تكمن في معرفة إمام العصر والتمسك بطاعته، وهذا الإمام مستور غير ظاهر في عصر الغيبة الكبرىٰ لذا فإن الإيمان به ـ وهو مقدمة طاعته والتمسّك بولايته ـ فرع الاطمئنان والثقة بوجوده الى درجة تمكّن المؤمن من مواجهة التشكيكات الناتجة من عدم مشاهدته بصورةٍ حسيّة ظاهرة. وهذا الاطمئنان هو الذي أكملت أسبابه تحركات الإمام المهدي ـ عجل الله فرجه ـ في فترة الغيبة الصغرىٰ بما أتم من الحجّة في التقائه بالثقات وإظهار الكرامات التي لا يمكن تصور صدورها عن غير الإمام وغير ذلك مما سجلته الروايات المتحدّثة عن هذه الفترة والتي دوّنها العلماء الأثبات في كتبهم[1].

(١) راجع روايات الالتقاء به في عصر الغيبة الصغرىٰ الموجودة في كتب الغيبة والتي جمع الكثير منها السيّد البحراني في كتاب تبصرة الولي.

إكمال ما تحتاجه الأُمّة من معارف الإسلام

طوال ما يزيد علىٰ القرنين قام أئمة أهل البيت النبوي ـ صلوات الله عليهم ـ بتبليغ معظم ما تحتاجه الأُمّة خلال عصر الغيبة الكبرىٰ من معارف القرآن الكريم وسنّة جدهم سيد المرسلين (صلى الله عليه وآله) والتي تمثل بمجموعها الإسلام النقي والدين القيّم الذي أمر الله تبارك وتعالىٰ باتباعه والعمل علىٰ وفقه، والعروة الوثقىٰ المعبّرة عن التمسك بالثقلين اللذين تكون بهما النجاة من الضلالة وميتة الجاهلية، وتضمن هذا التراث تحديد وتوضيح قواعد وأُصول استنباط الأحكام الشرعية والمعارف الإسلامية من هذا التراث الروائي الثر لسنّة الرسول(صلى الله عليه وآله) وأئمة عترته(عليهم السلام) الذين أمروا أصحابهم بحفظه وتدوينه ليكون مصدراً ـ الىٰ جانب القرآن الكريم ـ لجميع المعارف والأحكام الإسلامية التي تحتاجها الأُمّة الإسلامية الىٰ ظهور الإمام المهدي(عليه السلام)، وكانت ثمرة هذا الأمر تلك الروايات الشريفة من قبل أصحاب الأئمة حيث عُرفت بالأُصول الأربعمائة التي تم تدوينها في عصر الأئمة السابقين للإمام المهدي (عليه السلام)، وحفظت فيها جل نصوص السنّة النبوية الشريفة[١].

وخلال الغيبة الصغرىٰ أكمل الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر(عليه السلام) ما تبقّىٰ مما تحتاجه الأُمّة خلال الغيبة الكبرىٰ من تلك المعارف وما يعين المؤمنين على التحرك والاستقامة على الصراط المستقيم ويحفظ للأُمة استمرار مسيرتها التكاملية؛ وهذا هو الهدف العام الثاني لسيرته (عليه السلام) في فترة الغيبة الكبرىٰ كما يتجلىٰ في الكثير من الرسائل الصادرة عنه فيها.

---

(١) راجع في هذا الباب كتاب «منع تدوين الحديث ـ أسباب ونتائج» للسيّد عليّ الشهرستاني: ٣٩٧ ـ ٤٦٥ الفصل الخاص بتاريخ تدوين السنّة النبوية عند مدرسة أهل البيت(عليهم السلام).

تثبيت نظام النيابة

قام الإمام المهدي(عليه السلام) في هذه الفترة بتعيين عددٍ من الثقات المخلصين في إيمانهم من شيعته وكلاء عنه يتحركون بإذنه وبأمره ويشكلون جهازاً للارتباط بالمؤمنين، وقد مهد له في ذلك جده الإمام الهادي ومن قبله الإمام الجواد (عليه السلام) ثم تابعه الإمام العسكري (عليه السلام) الذي رسّخ نظام الوكلاء تمهيداً لغيبة ولده. فكان يُعلن توثيق بعض وجوه أصحابه وأنه وكيل عنه، فمثلاً قال(عليه السلام) بشأن عثمان بن سعيد العمري وكيله الذي أصبح فيما بعد وكيلاً لولده الإمام المهدي(عليه السلام)، وكان وكيلاً للإمام الهادي(عليه السلام) أيضاً: «**هذا أبو عمرو الثقة الأمين ثقة الماضي وثقتي في المحيا والممات، فما قاله لكم فعنّي يقوله، وما أدىٰ إليكم فعنّي يؤديه**»[1].

وقد ذكر الشيخ الصدوق أسماء اثني عشر شخصاً من وكلاء ونواب الإمام المهدي(عليه السلام) في الغيبة الصغرىٰ وأضاف إليهم السيّد محمّد الصدر أسماء ستةٍ آخرين استناداً الىٰ ماورد في المصادر التاريخية وكتب الرجال[2]، وكان الإمام يتولّى تنصيبهم مباشرة ويصدر بيانات «توقيعات» في ذلك وفي نفي الوكالة عمّن يدّعيها ولم يكن منهم[3].

وثمة تغيير مهم حدث في نظام الوكلاء في هذه الفترة عما كان عليه في زمن الإمام العسكري(عليه السلام)، وهو استحداث الإمام المهدي(عليه السلام) منصب الوكيل الخاص أو السفير العام بينه وبين المؤمنين وهو منصب لم تكن

(١) غيبة الطوسي : ٣٥٤، ح٣١٥.
(٢) تاريخ الغيبة الصغرىٰ: ٦٠٩ ـ ٦٢٨.
(٣) غيبة الطوسي: ٣٥١ ـ ٤١٧ .

الحاجة إليه قائمة في السابق حيث كان بإمكان الوكلاء أو غيرهم الاتصال بالإمام بصورةٍ أو بأخرىٰ، وكان الإمام ظاهراً فلا حاجة لوكيل أو نائب خاص ينوب عنه، أما في عهد الغيبة الصغرىٰ فقد اقتضىٰ عدم ظهور الإمام إيجاد هذا المنصب ليكون محوراً لرجوع المؤمنين خاصةً وأنهم كانوا قد اعتادوا في السابق أن يكون الإمام واحداً في كلّ عصر.

وكان تعيين الوكيل الخاص أو السفير من قبل الإمام المهدي(عليه السلام) مباشرة وعادة ما يكون عبر توقيع يصدره ويبلّغه مباشرة كما هو الحال في الوكيل الأوّل أو عبر الوكيل السابق فيما بعد.

إنّ الزعماء الشيعة، والأصحاب الأربعة الذين تعاقبوا علىٰ هذا المنصب هم: عثمان بن سعيد العمري الذي كان كما عرفنا وكيلاً للإمامين الهادي والعسكري(عليهما السلام)، ثم خلفه إبنه عمرو بن عثمان ثم الحسين بن روح، وخاتمهم كان عليّ بن محمّد السمري ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ.

وكان توجيه الإمام لعمل هؤلاء السفراء مباشراً ومستمراً في كلّ ما كانوا ينوبون عنه من مهام الإمامة حتىٰ فيما يرتبط بأجوبتهم علىٰ الأسئلة العقائدية للمؤمنين التي قد يكون من الممكن أن يجيبوا عنها بما يعرفون، إلّا أنهم ما كانوا يفعلون شيئاً من ذلك إلّا بتعليم مباشر منه(عليه السلام) الأمر الذي يضفي صبغة الحجّة الشرعية علىٰ ما صدر عنهم، وهذا ما تدل عليه عدة روايات منها مثلاً ماروا الشيخ الطوسي في الغيبة ضمن حديث طويل بشأن إجابة السفير الثالث الحسين بن روح علىٰ سؤال عقائدي لأحد المؤمنين بشأن استشهاد الإمام الحسين(عليه السلام)، إذ ينقل عن راوي الحديث محمّد بن إبراهيم الذي كان قد حضر المجلس الذي أجاب فيه الحسين بن روح علىٰ السؤال: قال محمّد بن إبراهيم ابن إسحاق (رضي الله عنه) فعدت إلىٰ الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح(قدس سره)

من الغد وأنا أقول في نفسي أتراه ذكر لنا يوم أمس من عند نفسه؟ فابتدأني فقال: يا محمَّد بن إبراهيم لَئِن أخر من السماء فتخطفني الطير أو تهوي بي الريح من مكان سحيق أحب إليّ من أن أقول في دين الله برأيي ومن عند نفسي، بل ذلك من الأصل ومسموع من الحجّة صلوات الله وسلامه عليه(١).

وواضحٌ أنّ الأوضاع السياسية القائمة التي أوجبت غيبة الإمام المهدي(عليه السلام) لم تكن تسمح بأنّ يكون عمل الوكلاء علنياً، لذلك كان الشرط الأوّل في الوكلاء وخاصة السفراء أن يكونوا علىٰ مرتبة عالية من الالتزام بالكتمان وعدم الكشف عن مكان بل عن وجود الإمام ولذلك كان اختيار الحسين بن روح مثلاً للسفارة رغم وجود مَن هم أعلم منه وأكثر وجاهة بين الأصحاب(٢).

لقد قام الإمام(عليه السلام) بتثبيت نظام الوكالة والنيابة الخاصة في الغيبة الصغرىٰ كمقدمةٍ لإرجاع المؤمنين في عصر الغيبة الكبرىٰ الىٰ النائب العام الذي حددت النصوص الشرعية الصفات العامة له وأمر الإمام بالرجوع إليه في عصر الغيبة الكبرىٰ ومهّد له في الغيبة بتعيين أشخاصٍ تتوفر فيهم هذه الصفات لتتعرف الأُمّة علىٰ مصاديق من له الأهلية للنيابة العامة عن الإمام وتستعين بها لمعرفة من تتوفر فيه نظائرها في الغيبة الكبرىٰ، وبعبارة أُخرىٰ كانت تجربة السفراء الأربعة نموذجاً معيّناً من قبل الإمام المعصوم(عليه السلام) يبين للأُمة، شرعية الرجوع الىٰ نائب الإمام في غيبته من جهة ومن جهة ثانية تقدّم لها نموذجاً تقوّم به من يدعي النيابة عن الإمام في الغيبة الكبرىٰ استناداً الىٰ الصفات التي ذكرتها النصوص الشرعية كشروط للنيابة عن الإمام.

(١) غيبة الطوسي: ٣٢٢، ح٢٦٩، الطبرسي في الإحتجاج ٢: ٢٨٨.
(٢) غيبة الطوسي : ح٣٦٨ ـ ٣٦٩ / ٣٣٦، ٣٣٧، بحار الأنوار ٥١: ٣٥٢.

حفظ الكيان الإيماني

ولكن مهمة إثبات وجود الإمام(عليه السلام) والتعريف بوكلائِهِ كانت تؤدي أحياناً الىٰ تسرب بعض الأخبار للسلطة فيتدخل الإمام لحفظ نظام الوكلاء حتىٰ ينجز دوره المطلوب في الغيبة الصغرىٰ. فمثلاً يروي ثقة الإسلام الكليني في الكافي عن الحسين بن الحسن العلوي قال: «كان رجل من ندماء روز حسني وآخر معه فقال له : هوذا يجبي الأموال وله وكلاء وسمّوا جميع الوكلاء في النواحي وأنهى ذلك إلى عبيد الله بن سليمان الوزير، فهمَّ الوزير بالقبض عليهم، فقال السلطان: أُطلبوا أين هذا الرجل؟ فانّ هذا أمر غليظ، فقال عبيد الله بن سليمان: نقبض على الوكلاء، فقال السلطان: لا، ولكن دسوا لهم قوماً لا يعرفون بالأموال، فمن قبض منهم شيئاً قبض عليه قال: فخرج بأنّ يتقدم إلىٰ جميع الوكلاء أن لا يأخذوا من أحد شيئاً وأن يمتنعوا من ذلك ويتجاهلوا الأمر، فاندس لمحمد بن أحمد رجل لا يعرفه وخلا به فقال: معي مال أُريد أن أُوصله، فقال له محمّد: غلطت أنا لا أعرف من هذا شيئاً، فلم يزل يتلطفه ومحمّد يتجاهل عليه وبثّوا الجواسيس وامتنع الوكلاء كلّهم لما كان تقدّم إليهم»[١].

يُستفاد من الروايات الواردة بشأن سيرة الإمام(عليه السلام) في غيبته الصغرىٰ أنّ جهوده لدفع أذىٰ إرهاب السلطات العباسية لم يقتصر علىٰ الوكلاء كما رأينا في الفقرة السابقة، بل شملت أيضاً حفظ سائر المؤمنين من البطش العباسي، وهذه سنّة ثابتة في سيرةِ آبائِه(عليهم السلام) جميعاً، فقد جدوا في رعاية

(١) الكافي: ١ / ٥٢٥ / ٣٠ باب امولد الصاحب(عليه السلام)، أعلام الورىٰ، الطبرسي ٢: ٢٦٦ ـ ٢٦٧.

المؤمنين ودفع الأذىٰ عنهم ما استطاعوا الىٰ ذلك سبيلاً.

ومن نماذج رعايته للمؤمنين في هذا الجانب مارواه الكليني في الكافي: عن عليّ بن محمّد قال: «خرج نهي عن زيارة مقابر قريش والحير، فلما كان بعد أشهر دعا الوزير الباقطائي فقال له: الق بني الفرات والبرسيين وقل لهم: لا يزوروا مقابر قريش فقد أمر الخليفة أن يتفقد كلّ من زار فيقبض عليه»[١].

كما شملت هذه الرعاية قضاء حوائج المؤمنين الشخصية والاجتماعية والإصلاح بينهم والدعاء لهم وتزويدهم بالوصايا التربوية والإجابة علىٰ أسئلتهم الدينية وتعليمهم الأدعية وغير ذلك مما سجلته المصادر التاريخية المختصة بهذه الفترة[٢].

وثمة أهداف أُخرىٰ سعىٰ الإمام لتحقيقها في فترة الغيبة الصغرىٰ مثل كشف التيارات المنحرفة داخل الكيان الشيعي منها: خط عمه جعفر ومنها تيار الوكلاء المنحرفين. وقد أثبت التاريخ نجاح الإمام (عليه السلام) في القضاء عليها إذ انقرض أتباعها سريعاً قبل انقضاء فترة الغيبة الصغرىٰ.

وفي الفقرة اللاحقة نلتقي بنموذجين من تحرك الإمام في هذه الفترة لتحقيق الأهداف المذكورة وهما: إصدار التوقيعات والإلتقاء بالمؤمنين.

إصدار الرسائل «التوقيعات»

حفلت المصادر المؤرخة لسيرة الإمام المهدي ـ عجل الله فرجه ـ بنصوص العديد من الرسائل والبيانات التي كان يصدرها(عليه السلام) في فترة الغيبة

(١) الكافي: ١/ ٥٢٥ / ٣١ باب مولد الصاحب(عليه السلام)، وعنه الطوسي في غيبته: ٢٨٤، ح ٢٤٤.

(٢) راجع تاريخ الغيبة الصغرىٰ: ٣٦٧، و٥٩٧ وما بعدهما.

الصغرىٰ والتي عُرفت بالتوقيعات. وهي تشكل أحد الأدلة الوجدانية المحسوسة الدالة علىٰ وجوده وقيامه بمهام الإمامة في غيبته(١).

وتمثل التوقيعات إحدىٰ وسائل اتصال الإمام بالمؤمنين وإيصال توجيهاته إليهم بحكم أوضاع عصر الغيبة التي حددت الاتصالات المباشرة، ومما ساعد علىٰ أتباع هذه الوسيلة وقوّة تأثيرها في المؤمنين تمهيد آبائه(عليهم السلام) لذلك باتّباع هذا الأُسلوب في وقتٍ مبكر خاصةً في عصر الإمام الكاظم(عليه السلام) الذي قضىٰ شطراً كبيراً من مدة إمامته التي ناهزت خمسة وثلاثين عاماً في سجون العباسيين أو تحت مراقبتهم الشديدة وتعرضهم للأذىٰ الشديد لأصحابه، فكان يتصل بالمؤمنين ويجيب علىٰ أسئلتهم الدينية ويتوددهم ويوصل إليهم توجيهاته عبر الرسائل التي لم تنقطع حتىٰ عندما كان في السجن عبر وسائل مبتكرة وأشخاص فشلت السلطات العباسية في التعرف علىٰ ولائهم للإمام الحقّ(عليه السلام).

وقد اشتدّ العمل بهذا الأُسلوب في عهد الإمامين الهادي والعسكري(عليهما السلام)، وذلك بسبب ازدياد المراقبة التي فرضتها السلطات العباسية عليهما إذ جعجعت بهما الى (سرّ من رأى) عاصمة الامبراطورية العباسية يومذاك والتي كانت أشبه ما تكون بالقلعة العسكرية، ولذلك كانت تسمىٰ أيضاً «العسكر»، وجعلتهما أشبه ما يكونان بالسجينين في هذه القلعة. وإضافة لذلك فإن تأكيدهما علىٰ استخدام هذا الأُسلوب جاء كتمهيد مباشر لغيبة ولدهما المهدي ـ عجل الله فرجه ـ من خلال تعويد المؤمنين علىٰ هذا الأُسلوب دفعاً للشبهات وإتماماً للحجّة ولكي يتقبلوا العمل بما يرد في

---

(١) راجع نماذجها في كتاب الغيبة للشيخ الطوسي: ٢٨٥، الإحتجاج، الطبرسي ٢: ٢٩٧، وما بعدها، كمال الدين باب (٤٥) باب ذكر التوقيعات الواردة عن القائم(عليه السلام) .

الرسائل بتسليم إيماني راسخ، خاصةً وأنّ الإمام (عليه السلام) كان يستخدم الخط نفسه الذي كان يستخدمه أبوه في رسائله وذلك تثبيتاً للإيمان في قلوب المؤمنين به؛ وقطعاً للطريق علىٰ المستغلين[١].

وقد جاء قسم من هذه التوقيعات جواباً علىٰ أسئلة من المؤمنين عبر السفراء الأربعة، والقسم الآخر كان بمبادرة من الإمام نفسه فيما يرتبط ببعض القضايا المهمة كحمايته للمؤمنين والوكلاء كما رأينا، أو فيما يرتبط بالكشف عن انحراف بعض الوكلاء أو زيف ادعاء منتحلي الوكالة، أو فيما يرتبط بالنص علىٰ تعيين السفراء وغير ذلك.

كما اشتملت علىٰ ما يحتاجه المؤمنون من معارف الإسلام الحقّ وأحكامه في مختلف شؤونهم الحياتية عقائدية وفقهية وتربوية وأخلاقية وأدعية وغير ذلك، وما تحتاجه الأُمّة في عصر الغيبة كالإرجاع الىٰ الفقهاء العدول، والتأكيد علىٰ استمرار رعايته في غيبته وتحديد علائم ظهوره وغير ذلك مما سنتعرف علىٰ بعض نماذجه في فصل لاحق. كما أنّ في بعضها نماذج تطبيقية لاستنباط الحكم الشرعي من الأحاديث المروية تعويداً للأُمّة علىٰ العمل الإجتهادي في عصر الغيبة الكبرىٰ[٢]، وبعبارة جامعة يمكن القول إنّ هذه التوقيعات كانت من جهة وسيلة لقيادة المؤمنين وحفظ كيانهم؛ ومن جهة أُخرىٰ وسيلة لإكمال ما يحتاجونه في عصر الغيبة الكبرىٰ من حقائق الإسلام وأحكامه.

---

(١) الغيبة للطوسي : ٢٨٥.

(٢) راجع كتاب الإحتجاج ٢: ٢٧٩، وما بعدها تحت عنوان: (ذكر طرف مـمّا خرج أيضاً عن صاحب الزمان(عليه السلام) من المسائل الفقهية وغيرها في التوقيعات على أيدي النوّاب الأربعة وغيرهم).

لقاء الإمام المهدي (عليه السلام) بأتباعه المؤمنين

روت المصادر الروائية المعتبرة الكثير من الروايات التي تتحدث عن التقاء المؤمنين بالإمام المهدي (عليه السلام) في غيبته الصغرىٰ، فلايكاد يخلو كتاب من الكتب المصنفة في تواريخ الأئمة أو الإمام المهدي ـ عجل الله فرجه ـ خاصة، من ذكر مجموعة من هذه الروايات. وقد روىٰ الشيخ الصدوق عن محمّد بن أبي عبد الله إحصائية لعدد لقاءاته من مختلف أرجاء العالم الإسلامي، فذكر ثمانية وستين شخصاً[١] وأوصل الميرزا النوري العدد الىٰ (٣٠٤) اشخاص استناداً الىٰ الروايات الواردة في المصادر المعتبرة[٢] وفيها المروية بأسانيد صحيحة، ومعظمهم التقوه في الغيبة الصغرىٰ وبعضهم في حياة أبيه (عليهما السلام) وهذه الروايات تخص الذين رأوه وعرفوه وليس الذين لم يعرفوه.

ويُستفاد من هذه الروايات أنه (عليه السلام) كان يبادر الىٰ الالتقاء بالمؤمنين في الكثير من الحالات ويظهر علىٰ يديه المعجزات والدلائل بحيث يجعلهم يؤمنون بأنه هو الإمام ويثبت لهم وجوده (عليه السلام) وإمامته، وهذا ما يصرح به لعيسىٰ الجوهري الذي التقاه في سنة (٢٦٨ هـ) في صابر قرب المدينة المنورة حيث قال له في نهاية اللقاء وبعد ما أراه من الدلائل ما جعله علىٰ يقين من هويته (عليه السلام):

« يا عيسى ماكان لك أن تراني لولا المكذِّبون القائلون بأين هو؟ ومتىٰ كان؟ وأين ولد؟ ومن رآه؟ وما الذي خرج إليكم منه؟ وبأيِّ شيء نبّأكم؟ وأيَّ معجز أتاكم؟ أما والله

(١) كمال الدين : ٤٣٤ باب (ذكر من شاهد القائم (عليه السلام) ورآه وكلّمه).

(٢) النجم الثاقب : ٢ / ٤٤ ـ ٤٨ من الترجمة العربية.

لقد دفعوا أمير المؤمنين مع ماروه وقدّموا عليه، وكادوه وقتلوه، وكذلك آبائي عليهم السَّلام ولم يصدِّقوهم ونسبوهم إلىٰ السحر وخدمة الجنِّ إلىٰ ما تبيّن.

ياعيسى فخبّر أولياءنا ما رأيت، وإيّاك أن تخبر عدوّنا فتسلبه. فقلت: يا مولاي ادع لي بالثبات فقال: **لو لم يثبّتك الله ما رأيتني، وامض بنجحك راشداً.** فخرجت أكثر حمداً لله وشكراً»[١].

ويتضح من روايات التشرف بلقياه في الغيبة الصغرىٰ أنه كان يقوم خلالها أيضاً بقضاء حوائج المؤمنين إقتفاءً لسنّة آبائهِ الطاهرين(عليهم السلام)، كما كان يقوم خلالها بتوضيح بعض القضايا العقائدية المرتبطة بغيبته الكبرىٰ(عليه السلام) ويقدم لهم الإرشادات التربوية والأدعية المسنونة المرتبطة بغيبته وتوثيق الارتباط به(عليه السلام) فيها والتي تشتمل أيضاً علىٰ توضيح ما سيحققه الله علىٰ يديه عند ظهوره.

كما يُستفاد منها أنّ الكثير من المؤمنين كانوا يجتهدون في طلب لقياه ويسعون إليه خاصة في موسم الحج لما روي أنه يحضره كلّ سنة[٢]. وقد دلت بعض الروايات علىٰ وقوع الالتقاء به بالفعل في الموسم. كما كان البعض يلجأون الىٰ السفراء الأربعة للفوز بذلك، فكان يسمح للمخلصين منهم بذلك. فمثلاً روىٰ الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة فقال:

روى محمّد بن يعقوب ـ رفعه عن الزُّهريّ ـ قال: طلبت هذا الأمر طلباً شاقاً حتىٰ ذهب لي فيه مال صالح فوقعت إلىٰ العمريّ وخدمته ولزمته وسألته بعد ذلك عن صاحب الزمان فقال لي: ليس إلىٰ ذلك وصول فخضعت فقال لي: بكر بالغداة، فوافيت واستقبلني ومعه شابّ من أحسن الناس وجهاً،

---

(١) بحار الأنوار، المجلسي ٥٢: ٦٨ ـ ٧٠ / ٥٤.

(٢) الكافي : ١ / ٣٣٧ / ٦، الغيبة للنعماني : ١٧٥، كمال الدين: ٣٧٨، ح ٢، الغيبة للطوسي: ٣٦٤ / ح ٣٢٩.

وأطيبهم رائحة بهيئة التجّار، وفي كمّه شيء كهيئة التجّار.

فلمّا نظرت إليه دنوت من العمريّ فأومأ إليَّ فعدلت إليه وسألته فأجابني عن كلّ ما أردت ثم مرَّ ليدخل الدار وكانت من الدُّور التي لا يكترث لها فقال العمريُّ: إنّ أردت أن تسأل سل فإنّك لا تراه بعد ذا، فذهبت لأسأل فلم يسمع ودخل الدّار، وماكلّمني بأكثر من أن قال: **«ملعون ملعون من أخّر العشاء الىٰ أن تشتبك النجوم، ملعون ملعون من أخّر الغداة إلىٰ أن تنقضي النجوم ودخل الدار»**[1].

إعلان انتهاء الغيبة الصغرىٰ

قبل ستة أيام من وفاة السفير الرابع أخرج للمؤمنين توقيعاً من الإمام المهدي ـ عجل الله فرجه ـ يعلن فيه انتهاء الغيبة الصغرىٰ وعهد السفراء المعينين من قبل الإمام مباشرة إيذاناً ببدء الغيبة الكبرىٰ ونصّ التوقيع هو:

«بسم الله الرحمن الرحيم، ياعليّ بن محمّد السمري، أعظم الله أجر إخوانك فيك فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فأجمع أمرك ولا توص الىٰ أحد يقوم مقامك بعد وفاتك. فقد وقعت الغيبة التامة. فلا ظهور إلّا بعد إذن الله تعالىٰ ذكره وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وإمتلاء الأرض جوراً. وسيأتي لشيعتي من يدّعي المشاهدة ألا فمَن ادعىٰ المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذّاب مفتر ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم»[2].

وكان هذا آخر توقيع صدر عن الإمام في الغيبة الصغرىٰ وهو بمثابة إعلان عن تحقيق تحركه فيها للأهداف المرجوة منها كمرحلة تمهيدية للغيبة الكبرىٰ، فقد ظهر للناس خلالها منه (عليه السلام) مباشرة أو عبر سفرائه من

---

(١) الغيبة للطوسي : ٢٧١ / ح٢٣٦ ، الإحتجاج للطبرسي: ٢ / ٢٩٨، بحار الأنوار ٥٢: ١٣/١٥.

(٢) كمال الدين : ٥١٦، ح٤٤، غيبة الطوسي : ٢٤٢، الإحتجاج ٢: ٢٩٧.

البينات ما يثبت وجوده وإمامته وصحة غيبته الكبرىٰ. وقد تم تدوينها في هذه الفترة من قبل عدد من وجوه العلماء[١]، وإتّضح للأُمة انتفاع الناس من وجوده خلالها ورعايته لمسيرتهم من خلف أستارها، وأمر فيه بالرجوع الىٰ الفقهاء في الحوادث الواقعة وصرح بأنّ وجوده أمان لأهل الأرض[٢]،كما أن الجيل الذي كان قد عاصر زمان الأئمة كان قد انتهىٰ وظهرت أجيال اعتادت عصر الغيبة وفكرة القيادة النائبة، لذلك فقد تأهلت الأُمّة للدخول في عصر الغيبة الكبرىٰ[٣].

* * *

(١) يُلاحظ هنا مثلاً أنّ كتاب الكافي للشيخ الكليني(رحمه الله) وهو من أهم مصادر تراث أهل البيت(عليهم السلام) في المجالات العقائدية والفقهية تم تدوينه خلال فترة الغيبة الصغرىٰ، فقد توفي الشيخ الكليني(رحمه الله) سنة ٣٢٩ هـ وهي نفس سنة وفاة الشيخ السمري آخر السفراء أي في نفس سنة انتهاء الغيبة الصغرىٰ.

(٢) كما صرح بذلك(عليه السلام) في توقيعه الذي أجاب فيه على أسئلة إسحاق بن يعقوب، راجع كمال الدين: ٤٨٣، ح ٤، غيبة الطوسي : ٢٩٠ ح ٢٤٧، الإحتجاج ٢: ٢٨١، الخرائج ٣: ١١١٣/ ٣٠.

(٣) تاريخ الغيبة الصغرىٰ: ٦٣٠ ـ ٦٥٤ وفيه توضيحات مهمة بشأن نص التوقيع المهدوي الشريف للسمري.



وفيه فصول :

الفصل الأوّل :

الغيبة الكبرى للإمام المهديّ(عليه السلام) وأسبابها

الفصل الثاني :

إنجازات الإمام المهدي(عليه السلام) في غيبته الكبرى

الفصل الثالث :

تكاليف عصر الغيبة الكبرىٰ

الفَصلُ الأوّلُ

الغيبة الكبرىٰ للإمام المهديّ(عليه السلام) وأسبابها

الإطار العام لتحرّك الإمام (عليه السلام)

إنّ الهدف العام لتحرك الإمام المهدي(عليه السلام) في فترة الغيبة الكبرىٰ، هو رعاية مسيرة الأُمّة الإسلامية وتأهيلها لظهوره والقيام بالمهمة الكبرىٰ المتمثلة بإنهاء الظلم والجور وإقامة الدولة الإلهية العادلة في كلّ أرجاء الأرض وتأسيس المجتمع التوحيدي الخالص كما سنفصل الحديث عن ذلك في الفصل الخاص بسيرته بعد ظهوره(عليه السلام).

وبعبارة أُخرىٰ فإن الإطار العام لسيرته ـ عجل الله فرجه ـ في هذه الفترة هو التمهيد لظهوره بما يشتمل عليه ذلك من رعاية الوجود الإيماني وحفظه وتسديد نشاطاته وتطويره عبر الأجيال المتعاقبة التي يعاصرها، وحفظ الرسالة الخاتمة من التحريف إضافة الىٰ القيام بالميسور من مهام الإمامة الأُخرى وإن كان ذلك بأساليب أكثر خفاءً مما كان عليه الحال في الغيبة الصغرىٰ، وبذلك يتحقق الانتفاع من وجوده(عليه السلام) كما ينتفع بالشمس إذا غيّبها السحاب.

وهذا الهدف العام لسيرته في هذه الغيبة الكبرىٰ نلاحظه بوضوح فيما ورد بشأن تحركه في هذه الغيبة.

وقبل التطرق لنماذج من هذا التحرك، نلقي نظرة عامة علىٰ بعض ما أشارت إليه الأحاديث الشريفة بشأن علة الغيبة وأسرارها، إذ أنّ من الواضح

أن التمهيد للظهور يكون بإزالة الأسباب التي أدت للغيبة، لذا فإن التعرف علىٰ أسباب الغيبة يلقي الأضواء علىٰ طبيعة تحرك الإمام المهدي (عليه السلام) خلالها.

علل الغيبة في الأحاديث الشريفة

لقد تناولت مجموعة من الأحاديث الشريفة علل وقوع الغيبة. نذكر أوّلاً نماذج منها استناداً الىٰ العلل التي تذكرها: مشيرين الىٰ أن لكلّ نموذج نظائر عديدة رواها المحدثون بأسانيد متعددة:

١ ـ روىٰ سدير عن أبيه عن الإمام الصادق(عليه السلام) قال: «**إنّ للقائم منّا غيبة يطول أمدها فقلت له:** يابن رسول الله ولم ذاك قال: **لأنّ الله عزّ وجلّ أبىٰ إلّا أن يجري فيه سنن الأنبياء(عليهم السلام) في غيباتهم، وإنّه لابدّ له يا سدير من استيفاء مدد غيباتهم، قال الله تعالىٰ: ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَن طَبَقٍ ﴾، أي سنن مَن كان قبلكم**»[1].

وروىٰ عبد الله بن الفضل الهاشمي قال: سمعت الصادق جعفر بن محمّد (عليه السلام) يقول: «**إنّ لصاحب هذا الأمر غيبة لابدّ منها، يرتاب فيها كلّ مبطل، فقلت** ولم جُعلت فداك؟ قال: **لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم قلت:** فما وجه الحكمة في غيبته؟ قال: **وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدّم من حجج الله تعالىٰ ذكره، إنّ وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلّا بعد ظهوره كما لم ينكشف وجه الحكمة فيما أتاه الخضر (عليه السلام) من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار لموسى(عليه السلام) الى وقت افتراقهما، يابن الفضل إنّ هذا الأمر أمرٌ من أمر الله وسرّ من سرّ الله، وغيب من غيب الله، ومتىٰ علمنا أنّ الله عزّ وجلّ حكيم صدقنا بأنّ أفعاله كلها حكمة، وإن كان وجهها غير منكشف**»[2].

---

(١) كمال الدين: ٤٨٠، ح٦، علل الشرائع ١: ٢٤٥ / ٧.

(٢) كمال الدين: ٤٨١ ح١١، علل الشرائع: ١/ ٢٤٥/ ٨، الإحتجاج ٢: ١٤٠، الخرائج ٢: ٩٥٦.

٢ ـ ومنها مارواه زرارة عن الإمام الباقر(عليه السلام) قال: «**إنّ للقائم غيبة قبل ظهوره**، قلت: ولِمَ؟ قال: **يخاف**، وأومىٰ بيده الىٰ بطنه، قال زرارة يعني: القتل»(١).

ومنها ماروي عن عبد الله بن عطا، عن أبي جعفر(عليه السلام) قال: «قلت له إنّ شيعتك بالعراق كثيرة والله مافي أهل بيتك مثلك؛ فكيف لا تخرج؟ قال: فقال: **يا عبد الله بن عطاء! قد أخذت تفرش أُذنيك للنوكى، إي والله ما أنا بصاحبكم**، قال: قلت له: فمن صاحبنا؟ قال: **انظروا من عمى على الناس ولادته؛ فذاك صاحبكم؛ إنّه ليس منا أحد يشار إليه بالاصبع ويمضغ بالألسن إلّا مات غيظاً أو رغم أنفه**»(٢).

٣ ـ ومنها ما روي عن الحسن بن محبوب بن إبراهيم الكرخي قال:

«قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) أو قال له رجل: أصلحك الله ألم يكن عليّ قوياً في دين الله؟ قال: بلىٰ قال: فكيف ظهر عليه القوم وكيف لم يدفعهم ومامنعه من ذلك؟ قال: آية في كتاب الله عزّ وجلّ منعته، قال: قلت؟ وأيّ آية هي؟ قال: **قول الله عزّ وجلّ: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوْا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾. انه كان لله عزّ وجلّ ودائع مؤمنين في اصلاب قوم كافرين ومنافقين، فلم يكن عليّ ليقتل الآباء حتىٰ تخرج الودائع، فلما خرجت الودائع ظهر عليٌّ على مَن ظهر فقاتله، وكذلك قائمنا أهل البيت لن يظهر أبداً حتىٰ تظهر ودائع الله عزّ وجلّ فإذا ظهرت ظهر علىٰ مَن ظهر فقتله**»(٣).

٤ ـ ومنها ماروي عن الإمام الصادق(عليه السلام) قال: «**والله لا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم حتىٰ تميّزوا وتمحّصوا، ثم يذهب من كلّ عشرة شيء ولا يبقىٰ منكم إلّا نزر**، ثم تلا هذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللّٰهُ ٱلَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ

(١) علل الشرائع: ١ / ٩/٢٤٦، غيبة النعماني: ٦/١٧٠، غيبة الطوسي: ٢٣٤ ح ٢٧٩.
(٢) الكافي: ١ / ٢٦/٣٤٢، غيبة النعماني: ٧/١٧١.
(٣) علل الشرائع ١: ٣/١٤٧، كمال الدين: ٦٤١.

وَيَعْلَمَ ٱلصَّابِرِينَ ﴾[(١)]»[(٢)].

٥ ـ ومنها ماروي عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنّه قال:

«دولتنا آخر الدول، ولم يبق أهل بيتٍ لهم دولة إلّا ملكوا قبلنا، لئلا يقولوا إذا رأوا سيرتنا، إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿والعاقبة للمتقين﴾»[(٣)].

٦ ـ ومنها ما روي عن الإمام الرضا(عليه السلام) أنّه قال ـ في جواب من سأله عن علة الغيبة ـ: **«لئلا يكون في عنقه بيعة إذا قام بالسيف»**[(٤)].

وهذا المعنىٰ مروي عن كثير من الأئمة بألفاظٍ متقاربة، منها ما روي عن المهدي(عليه السلام) نفسه أنه قال في توقيعه الىٰ إسحق بن يعقوب في جواب أسئلته: **«... وأما علة ما وقع من الغيبة، فإن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾[(٥)]. إنه لم يكن أحد من آبائي(عليهم السلام) إلّا وقد وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وإني أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي»**[(٦)].

٧ ـ ويقول ـ عجل الله فرجه ـ في رسالته الأُولىٰ للشيخ المفيد: **«نحن، وإن كنّا ثاوين بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين حسب الذي أرانا الله تعالىٰ لنا من الصلاح ولشيعتنا المؤمنين في ذلك، مادامت دولة الدنيا للفاسقين»**[(٧)].

٨ ـ ويقول(عليه السلام) في رسالته الثانية للشيخ المفيد: **«ولو أنّ أشياعنا ـ وفقهم الله لطاعته ـ علىٰ اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم، لما تأخر عنهم اليُمن بلقائنا،**

---

(١) البقرة(٢): ٢١٤ .

(٢) قرب الأسناد للحميري: ٣٦٩، ح ١٣٢١، وعنه في بحار الانوار: ٥٢/ ١١٣.

(٣) غيبة الطوسي: ٤٧٢ / ح٤٩٣، الإرشاد للمفيد ٢: ٣٨٤، روضة الواعظين، للفتال النيسابوري: ٢٦٥.

(٤) كمال الدين: ٤٨٠ ح ٤، عيون أخبار الرضا(عليه السلام) ٢: ٢٤٧.

(٥) المائدة (٥): ١٠١.

(٦) كمال الدين: ٤٨٣/ ح ٤، غيبة الطوسي: ٢٤٧/٢٩٠، الخرائج ٣: ١١١٥ / ٣٠.

(٧) الإحتجاج، الطبرسي ٢: ٣٢٢، وعنه بحار الأنوار ٥٣: ٧/١٧٤.

ولتعجلت لهم السعادة بمشاهدتنا علىٰ حقّ المعرفة وصدقها منهم بنا فما يحبسنا عنهم إلّا ما يتصل بنا مما نكرهه ولا نؤثره منهم...»[١].

هـذه نـماذج لأبـرز الأحـاديث الشـريفة المـروية بشأن عـلل الغـيبة، والأسباب التي تذكرها فيها بعض التداخل، نشير إليها ضمن النقاط الثـمانية التالية:

١ ـ استجماع تجارب الأُمم السابقة

إنّ الحكمة الإلهية في تدبير شؤون خلقه تبارك وتعالىٰ اقـتضت غـيبة الإمام المهدي ـ عجل الله فرجه ـ للحكمةِ نفسها التي اقتضت غيبات الأنبياء في الأُمم السابقة، لأنّ ما جرىٰ في هـذه الأُمـم مـجتمعة يـجري عـلىٰ الأُمّـة الإسلامية صاحبة الشريعة الخاتمة. فمثلما اقتضىٰ تحقيق أهداف الرسـالات السماوية غيبة بعض أنبيائها بدليل عدم استعداد الأُمـم السـابقة لتـحقق هـذه الأهداف،كذلك الحال مع الأُمّة الإسلامية فإن تحقق أهداف شريعتها الخاتمة اقتضىٰ غيبة خاتم أوصيائها الإمام المهدي(عليه السلام) حتىٰ تـتأهل بشكـل كـامل لتحقق هذه الأهداف، وواضح أنّ هذا السبب مجمل بل إنـه يشكـل الإطـار العام لعلل الغيبة التي تذكرها الطوائف الأُخرى من الأحاديث الشريفة.

والملاحظ في هذه الطائفة مـن الأحـاديث أنّـها تـعتبر أمـر الغـيبة مـن الأسرار الإلهية التي لا تتضح إلّا بعد انتهاء الغيبة وظهور الإمام والتي لم يُؤذن بكشفها قبل ذلك، الأمر الذي يشير الى أنّ ما تذكره الأحـاديث الشـريفة لا يمثل كلّ العلل الموجبة للغيبة بل بعضها وثمة علل أُخرىٰ ليس من الصـالح كشفها قبل الظهور ـ للجميع علىٰ الأقل ـ، ولكن الإيمان بها فـرع الإيـمان

(١) الإحتجاج: ٢/٣٢٥ وعنه في معادن الحكمة: ٢/ ٣٠٦ وبحار الأنوار: ٥٣/ ١٧٦/٨.

بحكمة الله تبارك وتعالىٰ وأنه الحكيم الذي لا يفعل إلّا ما فيه صلاح عباده.

٢ ـ العامل الأمني

مخافة القتل كما جرىٰ مع غيبات أنبياء الله موسىٰ وعيسىٰ وغيرهم(عليهم السلام)، والأمر في غاية الوضوح مع الإمام المهدي(عليه السلام) الذي كانت السلطات العباسية تسعىٰ سعياً حثيثاً لقتله كما رأينا سابقاً. وهذا السبب يصدق بشكل كامل علىٰ أصل وقوع الغيبة وفي الغيبة الصغرىٰ علىٰ الأقل.

ومعلوم أنّ المقصود هو حفظ وجود الإمام لكونه حجّة الله علىٰ خلقه ولكي لا تخلو الأرض من قائم لله بحجته وهادٍ بأمره إليه تبارك وتعالىٰ.

أما ما هو سبب اختصاص الغيبة بالإمام الثاني عشر لحفظ وجوده مع أنّ آباءه الطاهرين(عليهم السلام) كانوا أيضاً حجج الله علىٰ خلقه وقد تعرّضوا أيضاً للمطاردة والاغتيال فلم يمت أي منهم إلّا بالسيف أو السم[١]؟

فالجواب واضح، فهو ـ عجل الله فرجه ـ آخر الأئمة المعصومين(عليهم السلام) وهو المكلف بإقامة الدولة الإسلامية العالمية وعلىٰ يديه يحقق الله عزّ وجلّ وعده بإظهار الإسلام علىٰ الدين كله وتوريث الأرض للصالحين، فلابد من حفظ وجوده حتىٰ ينجز هذه المهمة. يُضاف الىٰ ذلك أنّ السلطات العباسية كانت عازمة علىٰ قتله وهو في المهد لعلمها بطبيعة مهمته الإصلاحية العامة[٢].

أمّا في الغيبة الكبرىٰ فهذه العلة تبقىٰ مؤثرة مالم تتوفر جميع العوامل اللازمة لإنجاز مهمته مثل توفر الأنصار وغير ذلك، لأنه سيبقىٰ غرضاً لسهام

(١) اعتقادات الصدوق: ٩٩.

(٢) راجع اعلام الورىٰ بأعلام الهدى ٢: ٢٩٧ / ب (٥) المسألة الأولى من المسائل السبع في الغيبة.

مساعي حكام الجور لإبادته قبل أن ينجز هذه المهمة الإصلاحية الكبرىٰ كما جرىٰ علىٰ آبائِهِ (عليهم السلام). وهذا الأمر واضح للغاية ويفهم من توضيحات الإمام الباقر (عليه السلام) لعبد الله بن عطاء في الحديث الثاني من هذه الطائفة.

٣ ـ السماح بوصول الحقّ للجميع لخروج ودائع الله

إنّ إخراج ودائع الله، المؤمنين من أصلاب قوم كافرين يشكّل عاملاً آخر، ولعل المقصود منه إعطاء الفرصة لوصول الدين الحقّ للجميع كي تتضح لهم أحقية الرسالة الإسلامية التي يحملها الإمام المهدي ـ عجل الله فرجه ـ وبالتالي تبني أشخاص ينتمون الىٰ المدارس الضالة والأخلاف المنحرفين، للأهداف المهدوية والانتقال بهم الىٰ صفوف أنصار المهدي المنتظر ـ عجل الله فرجه ـ.

وواضح أنّ هذه العلة تفسر تأخير ظهوره (عليه السلام)، بصورة واضحة، مباشرة، وبالتالي تفسّر بصورة غير مباشرة ـ غيبته الى حين توفر هذا العامل من العوامل اللازمة لظهوره ـ عجل الله فرجه ـ باعتبار أنّ ظهوره مقترن بالبدء الفوري في تنفيذ مهمته الإصلاحية الكبرىٰ، التي تتضمن نزول العذاب الأليم علىٰ المنحرفين.

٤ ـ التمحيص الإعدادي لجيل الظهور

إنّ التمييز والتمحيص الإعدادي للمؤمنين به (عليه السلام) يتحقّق من خلال الأوضاع الصعبة الملازمة لغيبته (عليه السلام)، ومعلوم أنّ الإيمان به وبغيبته هو بحدّ ذاته عامل مهمّ في تمحيص الإيمان وتقوية الثابتين عليه لأنه يمثل مرتبة سامية من مراتب التحرر من أسر التصديق بالمحسوسات المادية فقط.

ولذلك كان الإيمان بالغيب أُولىٰ صفات المتقين كما تـذكره الآيـات الأُولىٰ من سورة البقرة، وقد طبقت الأحاديث الشريفة هـذه الصـفة عـلىٰ الإيـمان بالإمام المهدي ـ عجل الله فرجه ـ في غيبته بإعتباره من أوضح مصاديقها لا سيما إذا لاحظنا طول أمدها(١).

ولذلك نلاحظ في الأحاديث الشريفة مدحاً بـالغاً لمـؤمني عـصر الغـيبة الثابتين علىٰ الالتزام بالشريعة السمحاء والنهج المهدوي رغـم التشكـيكات العقائدية الناتجة عن عدم ظهوره المشهود(٢).

واسـتناداً الىٰ هـذه العـلة نـفهم أنّ الغـيبة عـامل إعـداد لأنـصار المهدي ـ عجل الله فرجه ـ من خـلال تـرسيخ هـذا الإيـمان بـالغيب الذي يتضمن التحرر من أسر الماديات والذي يؤهلهم لنصرة المهدي فـي إنـجاز مهمته الإصلاحية الكبرىٰ.

٥ ـ إتضاح عجز المدارس الأُخرىٰ

إنّ إثبات عجز المدارس الأُخرى عن تحقيق السعادة والكمال المنشود للمجتمع البشـري، فـيه تأهـيل واضـح للـمجتمع البشـري عـموماً للـتفاعل الإيجابي مع المهمة الإصلاحية الكبرىٰ للإمام المهدي ـ عجل الله فـرجـه ـ، فهو يزيل العقبات الصادّة عن هذا التفاعل المطلوب لتحقق الأهداف الإلهية خاصة فيما يرتبط بالانخداع بشـعارات المـدارس الأُخـرى المـادية أو ذات الأُصول السماوية والمنحرفة عنها بمرور الزمن .

(١) كمال الدين: ٢٥٣، كفاية الأثر: ٥٤، ينابيع المودة: ٣: ٣٩٩.

(٢) راجع ماروي عن الكاظم (عليه السلام) في وصف المؤمنين الثابتين في عصر الغيبة: «**أُولئك منّا ونحن منهم، قد رضوا بنا أئمة ورضينا بهم شيعة، فطوبىٰ لهم ثم طوبىٰ لهم وهم والله معنا في درجتنا يوم القيامة**». كمال الدين: ٣٦١، كفاية الأثر: ٢٧٠.

٦ ـ حفظ روح الرفض للظلم

إنّ الإمام المهدي ـ عجل الله فرجه ـ هو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، فيزيل حكام الجور وحاكمية الفساد بالسيف بعد إتمام الحجّة كاملة علىٰ المنحرفين خلال الغيبة الكبرىٰ وما قبلها كما أشرنا الى ذلك في النقطة السابقة. فظهوره(عليه السلام) مقترن بالتحرك الجهادي الحاسم، فلا هدنة مع المنحرفين، ومن هنا يلزم توفر هذه الصفة في أتباعه أيضاً، ولعل هذا هو المقصود من تعبير الأحاديث الشريفة «**لئلا يكون في عنقه بيعة لطاغية**».

وواضح أنّ هذا الدور الحاسم يجعل تكالب الظالمين عليه أشد إذا كان وجوده ظاهراً قبل تحركه الإصلاحي الشامل وقبل توفر الظروف المناسبة لتحركه والعدد اللازم من الأنصار، فهو في هذه الحالة إما أن يهادن الظلمة ويجمّد أي نشاط له ولو كان غير حاسم كما كان حال آبائه(عليهم السلام)، وفي ذلك أخطار كثيرة مثل إضعاف روح الرفض للظلم لدىٰ المؤمنين وهم يرون أنّ إمامهم المكلف بإزالة الظلم بصورة كاملة صامت تجاهه، فضلاً عن أنّ هذا الموقف السلبي لن يوقف كيد الظالمين ومساعيهم المستمرة لقتله تخلصاً من هاجس دوره المرتقب؛ وإما أن يتحرك لإنجاز مهمته قبل توفر العوامل اللازمة لنجاحها وهذا الأمر يعني مقتله قبل أن يحقق شيئاً من مهمته الكبرىٰ.

لذا فلابد من تجنب الظهور قبل اكتمال الأوضاع اللازمة لتحركه الإصلاحي الأكبر والاستتار في أُسلوب الغيبة بما يمكنه من الاستمرار في نشاطه علىٰ صعيد توفير العوامل اللازمة لنجاح مهمته الكبرىٰ عند الظهور.

٧ ـ صلاح أمره وأمر المؤمنين به

إنّ في الغيبة صلاح أمره(عليه السلام) وأمر المؤمنين به، وهذه علة مجملة تحدد أحد أوجه الحكمة الإلهية في الأمر بالغيبة بأنّ في ذلك صلاح أمر الإمامة؛ ولعله بمعنىٰ أن الغيبة هي أفضل أُسلوب ممكن لقيام المهدي ـ عجل الله فرجه ـ بمهام الإمامة في ظل الأوضاع المضادة لأهداف الثورة المهدوية كما تقدّم في الفقرة السادسة، وبأنّ فيها صلاح شيعته والمؤمنين به؛ ولعله بمعنىٰ فتح آفاق التكامل والتمحيص في صفوفهم وأجيالهم المتلاحقة كما تقدّم في الفقرة الرابعة حتىٰ يُعد الجيل القادر ـ كماً وكيفاً ـ علىٰ الاستجابة لمقتضيات الثورة المهدوية الكبرىٰ، أو أن يكون المقصود صلاحهم في حفظ وجودهم من الإبادة قبل تحقق المهمة الإصلاحية المطلوبة، أو عجزهم عن نصرة الإمام بالصورة المطلوبة عند قيامه ـ دونما غيبة ـ كما جرىٰ في موقف المسلمين من ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) ، وقبله من خلافة أخيه الإمام الحسن وأبيه أمير المؤمنين ـ سلام الله عليهم ـ .

٨ ـ عدم توفّر العدد المطلوب من الأنصار

والعامل الأخير هو عدم توفر العدد اللازم كماً والمناسب كيفاً من الأنصار له(عليه السلام) في مهمته الإصلاحية الكبرىٰ التي تحتاج الىٰ عدد كافٍ من الأنصار وعلىٰ مستويات عالية من الإخلاص للشريعة المحمدية وأهدافها والعلم بها وبمكائد أعدائها بحيث يمتلكون التجربة الجهادية اللازمة لخوض حركة الصراع الحاسمة مع الكفر والشرك والفسق والنفاق. وهذه العلة مكملة للعلة المذكورة في الفقرة الرابعة.

* * *

الفصل الثاني

إنجازات الإمام المهدي(عليه السلام) في غيبته الكبرىٰ

كما أشرنا في مقدمة الحديث فإن سيرة الإمام المهدي ـ عجل الله فرجه ـ وتحركاته في غيبته الكبرىٰ تتمحور حول هدف التمهيد لظهوره والمساهمة في ازالة العلل الموجبة لغيبته، وعليه يمكننا القول بأنّه يعمل في سبيل ترشيد الأُمّة واستجماعها لخبرات أجيالها المتعاقبة؛ وفي سبيل إيصال الحقّ الىٰ الجميع ودعم وتأييد العاملين من أجل نشر الإسلام النقي وحفظه، وهو يرعىٰ عملية التمييز والتمحيص الإعدادي لجيل الظهور، ويكشف فشل المدارس الأُخرى وعجزها عن تحقيق السعادة المنشودة للبشرية، ويساهم في حفظ روح الرفض للظلم ويحبط المساعي لقتلها. إنه (عليه السلام) يقوم بكل ذلك ولكن بأساليب خفية غير ظاهرة قد يتضح الكثير منها عند ظهوره كما يتضح دوره(عليه السلام) في الكثير من الحوادث الواقعة التي تصب في صالح تحقق الأهداف المتقدّمة والتي لم تُعرف أسباب وقوعها أو أنّ ما عُرض من الأسباب لم يكن كافياً في تفسيرها.

رعايته للكيان الإسلامي

يقول الإمام المهدي(عليه السلام) في رسالته الأُولىٰ للشيخ المفيد: «**... فإنّا نحيط علماً بأنبائكم ولا يعزب عنّا شيء من أخباركم، ومعرفتنا بالذل الذي أصابكم مُذ جنح كثير**

منكم الىٰ ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً ونبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون.

إنّا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء وأصطلمكم الأعداء»(١).

إن الإمام يتابع أوضاع المؤمنين ويحيط علماً بالتطورات التي تحصل لهم ومحاولات الاستئصال والإبادة التي يتعرّضون لها ويتخذ الإجراءات اللازمة لدفع الأخطار عنهم بمختلف أشكالها، وهذه الرعاية هي أحد العوامل الأساسية التي تفسر حفظ أتباع مذهب أهل البيت(عليهم السلام) واستمرار وجودهم وتناميه علىٰ مدىٰ الأجيال علىٰ الرغم من شدة الحملات التصفوية التي عرضوا لها والإرهاب الفكري الحاد الذي مورس ضدهم لقرونٍ طويلة. فهذه التصفيات الجسدية والمحاربة الفكرية الواسعة التي شهدها التاريخ الإسلامي كانت قادرة ولا شك علىٰ إنهاء وجودهم جسدياً وفكرياً لولا الرعاية المهدوية.

حفظ الإسلام الصحيح وتسديد العمل الاجتهادي

إنّ الإمام المهدي (عليه السلام) يقوم أيضاً في غيبته الكبرىٰ بحفظ الإسلام النقي الذي يحمله مذهب أهل البيت(عليهم السلام). وهذه المهمة من المهام الرئيسة للإمامة، ومن مظاهر قيامه(عليه السلام) بها في غيبته تسديد العمل الاجتهادي للعلماء والفقهاء ومنع إجماعهم علىٰ باطل بطريقة أو بأُخرىٰ: «لأنّ هذه الآثار والنصوص في الأحكام موجودة مع مَن لا يستحيل منه الغلط والنسيان،

(١) الإحتجاج ٢: ٣٢٣ مقطع من كتاب الناحية المقدّسة للشيخ المفيد رحمه الله تعالى وعنه بحار الأنوار ٥٣: ١٧٥ / ٨، وعنه في معادن الحكمة: ٢/ ٣٠٣.

ومسموعة بنقل من يجوز عليه الترك والكتمان. وإذا جاز ذلك عليهم لم يؤمن وقوعه منهم إلّا بوجود معصوم يكون من ورائهم، شاهد لأحوالهم، عالم بأخبارهم، إن غلطوا هداهم، أو نسوا ذكّرهم أوكتموا، علم الحقّ من دونهم.

وإمام الزمان(عليه السلام) وإن كان مستتراً عنهم بحيث لا يعرفون شخصه، فهو موجود بينهم، يشاهد أحوالهم ويعلم أخبارهم ، فلو انصرفوا عن النقل، أو ضلّوا عن الحقّ لما وسعته التقية ولأظهره الله سبحانه ومنع منه الىٰ أن يبين الحقّ وتثبت الحجّة علىٰ الخلق»[1].

والمقصود من الظهور هنا ليس الظهور العام بل المحدود لبعض العلماء وبالمقدار اللازم لتبيان الحقّ، وهذه من القضايا التي بحثها العلماء في باب الإجماع، فمثلاً يقول العلّامة السيّد محمّد المجاهد في كتابه مفاتيح الأُصول: «... البناء علىٰ قاعدة اللطف التي لأجلها وجب علىٰ الله نصب الإمام فإنها تقضي ردهم لو اتفقوا علىٰ الباطل فإنه من أعظم الألطاف، فإن امتنع حصوله بالطرق الظاهرة فبالأسباب [الخفية] ... إنّ وجود الإمام(عليه السلام) في زمن الغيبة لطف قطعاً؛ فيثبت فيه كلّ ما أمكن؛ لوجود المقتضي وانتفاء المانع. وإنّ هذا اللطف قد ثبت وجوبه قبل الغيبة فيبقىٰ بعده بمقتضىٰ الأصل [إضافة الىٰ] أن النقل المتواتر قد دل علىٰ بقائه.

وقد ورد ذلك عن النبيّ(صلى الله عليه وآله) والأئمة(عليهم السلام) بألفاظ ومعانٍ متقاربة، فعن النبيّ(صلى الله عليه وآله): «**إنّ لكلّ بدعة يُكاذب بها الإيمان ولياً من أهل بيتي موكلاً يذب عنه ويعلن الحقّ ويرد كيد الكائدين**»، وعنه(صلى الله عليه وآله) وعن أهل البيت «**إنّ فيهم في كلّ خلف عدولاً**

---

(١) كنز الفوائد للعلامة الكراجكي: ٣٠٣.

ينفون عن الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين».

وفي المستفيض عنهم(عليهم السلام) **«إن الأرض لا تخلو إلّا وفيها عالم إذا زاد المؤمنون شيئاً ردهم الىٰ الحقّ وإن نقصوا شيئاً تمم ذلك ولولا ذلك لالتبس عليهم أمرهم ولم يفرقوا بين الحقّ والباطل».**

وعن أمير المؤمنين(عليه السلام) في عدة طرق: **«اللّهُمَّ إنّك لا تخلي الأرض من قائم بحجة إما ظاهر مشهور أو خائف مغمور لئلا تبطل حججك وبيناتك..»**، وفي بعضها: **«لابد لأرضك من حجّة لك علىٰ خلقك يهديهم الىٰ دينك ويعلمهم علمك لئلا تبطل حجتك ولئلا يضل تُبّع أوليائك بعد إذ هديتهم به، إما ظاهر ليس بالمطاع أو مكتتم أو مترقب إن غاب عن الناس شخصه في حال هدايتهم فإنّ علمه وآدابه في قلوب المؤمنين مثبتة فيهم، بها عاملون».**

وفي تفسير قوله تعالىٰ: ﴿**إنما أنت منذر ولكلّ قومٍ هاد**﴾ [ورد] في عدّة روايات: **«أنّ المنذر رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وفي كلّ زمان إمام منا يهديهم الىٰ ماجاء به النبيّ(صلى الله عليه وآله)»**، وفي بعضها [عن أئمة أهل البيت(عليهم السلام) في الآية]: **«والله ماذهبت منا ومازالت فينا الىٰ الساعة».**

وعن أبي عبد الله [الإمام الصادق(عليه السلام)] قال: **«ولم تخل الأرض مُنذ خلقها الله تعالىٰ من حجّة له فيها ظاهر مشهور أو غائب مستور ولن تخلو الىٰ أن تقوم الساعة ولولا ذلك لم يعبد الله،** قيل: كيف ينتفع الناس بالغائب المستور؟! قال(عليه السلام): **كما ينتفعون بالشمس إذا سترها سحاب».**

وعن الحجّة القائم(عليه السلام) قال: **«وأما وجه الانتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيّبها عن الأنظار السحاب، وإني لأمان أهل الأرض كما أنّ النجوم أمان أهل السماء».**

والأخبار في هذا المعنىٰ أكثر من أن تُحصىٰ، ومقتضاها تحقق الرد عن الباطل والهداية الىٰ الحقّ؛ من الإمام في زمن الغيبة والمراد حصولها

بالأسباب الخفية كما يشعر به حديث السحاب [الانتفاع بالإمام كالانتفاع بالشمس إذا غيبها السحاب] دون الظاهرة فإنها منتفية بالضرورة، ولا ينافي ذلك تضمن بعضها الإعلان بالحقّ فانه من باب الإسناد الىٰ السبب...»(١).

تسديد الفقهاء في عصر الغيبة

وكما أشرنا عند الحديث عن نظام «السفارة والنيابة الخاصة» في الغيبة الصغرىٰ، فإنّ هذا النظام كان تمهيداً لإرجاع الأُمّة في الغيبة الكبرىٰ الىٰ الفقهاء العدول كممثلين له(عليه السلام) ينوبون عنهم كقيادة ظاهرة أمر بالرجوع إليها في توقيعه الصادر الىٰ إسحاق بن يعقوب: «**وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الىٰ رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم وأنا حجّة الله عليهم**»(٢).

وقد أشار الأئمة(عليهم السلام) من قبل الىٰ هذا الدور المهم للعلماء في عصر الغيبة الكبرىٰ، فمثلاً روي عن الإمام عليّ الهادي(عليه السلام) أنه قال: «**لولا مَن يبقىٰ بعد غيبة قائمكم عليه الصلاة والسلام من العلماء الداعين إليه والدالين عليه والذابين عن دينه بحجج الله، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومَردته، ومِن فخاخ النواصب؛ لما بقي أحد إلّا ارتدّ عن دين الله. ولكنهم الذين يمسكون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك صاحب السفينة سكانها، أولئك هم الأفضلون عند الله**»(٣).

والمستفاد من قوله(عليه السلام) «**فإنهم حجتي عليكم وأنا حجّة الله عليهم**» إنّ الفقهاء العدول يمثلون في الواقع واسطة بين الأُمّة والإمام ـ عجل الله فرجه ـ الأمر الذي يعني أن يحظىٰ بعضهم ـ وخاصةً الذين يحظون بمكانة خاصة في

(١) مفاتيح الأصول: ٤٩٦ ـ ٤٩٧، باب الاجماع.

(٢) كمال الدين: ٤/٤٨٤، الغيبة للطوسي: ٢٤٧/٢٩١.

(٣) الإحتجاج: ٢/٢٦٠ ، وعنه بحار الأنوار ٢: ١٢/٦.

توجيه الأُمّة ودور خاص فكري أو سياسي في قيادتها ـ بتسديد من قبل الإمام ـ عجل الله فرجه ـ بصورةٍ مباشرة أو غير مباشرة وبالخصوص في التحركات ذات التأثير علىٰ مسيرة الأُمّة وحركة الإسلام، فهو يتدخل بما يجعل هذه التحركات في صالح الأُمّة أو بما يدفع عنها الأخطار الشديدة الماحقة، وقد نقلت الكثير من الروايات الكاشفة عن بعض هذه التدخلات والتي لم تنقل أو لم تدون أكثر بكثير. وقسم منها يكون التدخل من قبل الإمام بصورة مباشرة وقسم آخر يكون بصورةٍ غير مباشرة عبر أحد أوليائه[1].

أصحاب الإمام(عليه السلام) في غيبته الكبرىٰ

يُستفاد من عدد من الأحاديث الشريفة أنّ للإمام المهدي ـ عجل الله فرجه ـ جماعة من الأولياء المخلصين يلتقون به باستمرار في غيبته الكبرى ومن أهل كلّ عصر، وتصرح بعض الأحاديث الشريفة بأنّ عددهم ثلاثون شخصاً، فقد روىٰ الشيخ الكليني في الكافي والشيخ الطوسي في الغيبة بأسانيدهما عن الإمام الصادق(عليه السلام) قال: «**لابد لصاحب هذا الأمر من غيبة ولابد له في غيبته من عزلة ونعم المنزل طيبة وما بثلاثين من وحشة**»[2]، وروى الكليني بسنده عن الإمام الصادق(عليه السلام) قال: «**للقائم غيبتان إحداهما قصيرة والأُخرىٰ طويلة، الغيبة الأُولىٰ لا يعلم بمكانه فيها إلاّ خاصة شيعته والأُخرى لا يعلم بمكانه فيها إلّا خاصة**

(١) جمع الشيخ كريمي الجهرمي مجموعة من هذه الروايات في كتاب ترجمه للعربية تحت عنوان: «رعاية الإمام المهدي للمراجع والعلماء الأعلام» منشورات دار ياسين البيروتية والكتاب مطبوع بالفارسية في قم.

(٢) تقريب المعارف، الحلبي: ٤٣١، الكافي: ١/ ١٦/٣٤٠، غيبة النعماني: ٤١/١٩٤، الغيبة للطوسي: ١٢١/١٦٢، تقريب المعارف للحلبي: ١٩٠.

مواليه»[١]، وتصرح بعض الأحاديث الشريفة بأنّ الخضر(عليه السلام) من مرافقيه في غيبته[٢]. ولعله(عليه السلام) يستعين بهؤلاء الأولياء ـ ذوي المراتب العالية في الاخلاص ـ في القيام بما تقدّم من مهام حفظ المؤمنين ورعايتهم وتسديد العلماء ودفع الأخطار عن الوجود الإيماني وتسيير حركة الأحداث ـ حتىٰ خارج الكيان الإسلامي بما يخدم مهمة التمهيد لظهوره وإعداد العوامل اللازمة له.

الالتقاء بالمؤمنين في غيبته الكبرىٰ

إنّ سيرة الإمام في غيبته الكبرى تفصح بأنّ لقاءاته فيها لا تنحصر في هذا العدد المحدود من الأولياء المخلصين في كلّ عصر بل تشمل غيرهم ـ ولو بصورة غير مستمرة ـ فالأخبار الخاصة الدالة علىٰ مشاهدته في الغيبة الكبرى كثيرة وعددها يفوق حد التواتر، بحيث نعلم لدىٰ مراجعتها واستقرائها، عدم الكذب والخطأ فيها في الجملة[٣]، فقد نقل الميرزا النوري مائة منها في النجم الثاقب وفي المصادر الأُخرى ما يزيد علىٰ ذلك بكثير، إضافة الىٰ أنّ من المؤكد أنّ هناك مقابلات غير مروية ولا مسجلة في المصادر وإن كانت متناقلة عبر الثقات وأنّ المهدي ـ عجل الله فرجه ـ يتصل

(١) تقريب المعارف، الحلبي: ٤٣١، الكافي: ١/ ١٩/٣٤٠، غيبة النعماني: ١/١٧٥، ٢، تقريب المعارف: ١٩٠.
(٢) كمال الدين: ٤/٣٩٠، الخرائج: ٣، ١١٧٤ ح٦٨ .
(٣) راجع تاريخ الغيبة الصغرىٰ: ٦٤٠ وما بعدها وتاريخ الغيبة الكبرىٰ: ١٠٧ وقد ناقش السيّد الصدر في هذين الكتابين قضية الالتقاء بالإمام في الغيبة الكبرىٰ وعدم تعارضها مع أمر الإمام المهدي ـ عجل الله فرجه ـ في توقيعه للشيخ السمري بتكذيب من ادعىٰ المشاهدة في الغيبة الكبرىٰ، كما ناقشها الميرزا النوري في الباب السابع من كتاب النجم الثاقب والعلّامة المجلسي في بحار الأنوار وغيرهم كثير وأثبتوا جواز الالتقاء بالإمام في الغيبة الكبرىٰ.

بعدد من المؤمنين في أنحاء العالم في كلّ جيل مع حرصهم علىٰ عدم التفوه بذلك وكتمه الىٰ الأبد، بل يمكن القول بأنّ المقابلات غير المروية أكثر بكثير من المقابلات المروية.

وتشمل هذه المقابلات قضاء حوائج المؤمنين ـ كما كانت سيرة آبائه الأئمة(عليهم السلام) بمختلف أقسامها المادية والمعنوية، كما تشتمل علىٰ توجيه، الوصايا التربوية وتوضيح غوامض المعارف الإلهية أو التنبيه الىٰ الأحكام الشرعية الصحيحة وغير ذلك من مهام الإمام في كلّ عصر.

ترسيخ الإيمان بوجوده

وتحقّقت من هذه اللقاءات إضافة لذلك ثمار مهمة تتمحور حول ترسيخ الإيمان بوجوده(عليه السلام) وإزالة التشكيكات المثارة تجاه ذلك في كلّ عصر بما يعزز مسيرة المؤمنين في التمهيد لظهوره(عليه السلام)، خاصةً وأنّ معظم هذه المقابلات تقترن عادة بصدور ما لا يمكن صدوره عن غير الإمام(عليه السلام) من إيضاحات علمية دقيقة أو كرامات إعجازية تقطع أي مجالٍ للشك في هويته ـ عجل الله فرجه ـ وهي في معظم الأحوال تكون بمبادرة من الإمام نفسه وبصورةٍ لا يتوقعها الفائز بلقياه(عليه السلام)، وبعد مدةٍ ـ قد تطول أحياناً ـ من صدق المؤمن في طلب مقابلته والإخلاص لله في القيام بالأعمال الصالحة بهدف الفوز بذلك، كما أنها عادة ما تكون بالمقدار اللازم لقضاء حاجة المؤمن الطالب لها أو تحقيق الإمام للغاية المرجوة منها وغالباً ما ينتبه المؤمن الىٰ أنّ من التقاه هو الإمام المهدي(عليه السلام) بعد انتهاء المقابلة، وكلّ ذلك حفظاً لمبدأ الاستتار في هذه الفترة.

حضور موسم الحج

وتصرح الأحاديث الشريفة بأنّ من سيرته(عليه السلام) في غيبته حضور موسم الحج في كلّ عام، وواضح مافي حضور هذا الموسم السنوي المهم من فرصة مناسبة للالتقاء بالمؤمنين من أنحاء أقطار العالم وإيصال التوجيهات إليهم ولو من دون التعريف بنفسه بصراحة والتعرف علىٰ أحوالهم عن قرب دون الحاجة الىٰ أساليب إعجازية.

إنّ الأحاديث الشريفة التي تذكر حضوره(عليه السلام) هذا الاجتماع الإسلامي السنوي العام، ذكرت أنه(عليه السلام): «**يشهد الموسم فيراهم ولا يرونه**»[1]، ويبدو أنّ المقصود هو الرؤية مع تحديد هويته(عليه السلام)، بمعنىٰ أن يعرفوه أنه هو المهدي، إذْ توجد عدة روايات أُخرىٰ تصرح برؤيته في هذا الموسم وبعضها يصرح بعدم معرفة المشاهدين لهويته علىٰ نحو التحديد واقتصار معرفتهم بأنّه من ذرية رسول الله(صلى الله عليه وآله)[2].

* * *

(١) الكافي ١: ٦/٣٣٧، غيبة النعماني: ١٧٥،كمال الدين: ٣٥١ ح٤٨، تقريب المعارف، الحلبي: ٤٢٢.

(٢) راجع الرواية التي ينقلها الشيخ الصدوق في كمال الدين: ١٨/٤٤٤، الخرائج ٢: ٩٦١.

الفَصلُ الثّالِثُ

تكاليف عصر الغيبة الكبرى

اهتمت الأحاديث الشريفة بقضية تكاليف عصر الغيبة بحكم الأبعاد العملية التي تشتمل عليها فيما يرتبط بتحرك الإنسان في هذه الفترة المتميزة بفتنٍ كثيرة وصعوبات في مواجهتها ناتجة عن عدم الحضور الظاهر لإمام العصر وعدم تيسر الرجوع إليه بسهولة.

في هذا الفصل نذكر علىٰ نحو الإيجاز أبرز هذه التكاليف طبق ما حددته الأحاديث الشريفة مع تفصيل الحديث عن أهمها والذي ينطوي علىٰ تجسيد التكاليف الأُخرى ألا وهو واجب انتظار ظهور الإمام ـ عجل الله فرجه ـ لأنه عُرّض للكثير من أشكال سوء الفهم.

وأبرز التكاليف الأُخرى فكما يلي:

١ ـ ترسيخ المعرفة بإمام العصر ـ عجل الله فرجه ـ وغيبته وحتمية ظهوره وأنه حي يراقب الأُمور ويطّلع علىٰ أعمال الناس وأوضاعهم وينتظر توفر الشروط اللازمة لظهوره، وإقامة هذه المعرفة علىٰ أساس الأدلة النقلية الصحيحة والبراهين العقلية السليمة.

وأهمية هذا الواجب واضحة في ظل عدم الحضور الظاهر للإمام في عصر الغيبة والتشكيكات الناتجة عن ذلك، كما أنّ لهذه المعرفة تأثيراً مشهوداً في دفع الإنسان المسلم نحو العمل الإصلاحي البنّاء علىٰ الصعيدين

الفـردي والاجتماعي، فهي تجعل لعمله حافزاً إضافياً يتمثل بالشعور الوجداني بأنّ تحركه يحظىٰ برعاية ومراقبة إمام زمانه الذي يسرّه ما يرىٰ من المؤمنين من تقدّم ويؤذيه أي تراجع أو تخلف عن العمل الإصلاحي البناء والتمسك بالأحكام والأخلاق والقيم الإسلامية التي ينتظر توفر شروط ظهوره لإقامة حاكميتها في كلّ الأرض وإنقاذ البشرية بها.

وقد التقينا في الأحاديث الشريفة التي أخبرت عن غيبة المهدي قبل وقوعها بإشارات صريحة الىٰ هذا الواجب وسنلتقي ضمن الحديث عن واجب الانتظار بنماذج أُخرىٰ. يُضاف الىٰ ذلك معظم الأدعية المندوب تلاوتها في عصر الغيبة تحفز علىٰ القيام بهذا الواجب وترسيخ المعرفة بالإمام، فمثلاً الكليني في «الكافي» عن زرارة أنّ الإمام الصادق(عليه السلام) قال: «**إن للقائم غيبة... وهو المنتظر وهو الذي يشكّ الناس في ولادته...** [فقال زرارة]: جُعلت فداك إن أدركت ذلك الزمان أي شيءٍ أعمل؟ قال: **يازرارة متىٰ أدركت ذلك الزمان فلتدع بهذا الدعاء: اللّهُمَّ عرّفني نفسك فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك، اللّهُمَّ عرّفني رسولك فإنك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك، اللّهُمَّ عرّفني حجتك فإنك إن لم تعرّفني حجتك ضللتُ عن ديني...**»[1] وفي الحديث إشارة الىٰ الأُسس العقائدية للإيمان بإمام العصر وثمار معرفته.

٢ ـ ومن التكاليف المهمة الأُخرى التي أكدتها الأحاديث الشريفة لمؤمني عصر الغيبة هو تمتين الارتباط الوجداني بالمهدي المنتظر والتفاعل العملي مع أهدافه السامية والدفاع عنها والشعور الوجداني العميق بقيادته وهذا هو ما تؤكده أيضاً معظم التكاليف التي تذكرها الأحاديث الشريفة

---

(١) الكافي: ١/ ٥/٣٣٧، غيبة النعماني: ٦/١٧٠، كمال الدين: ٢٤/٣٤٢، غيبة الطوسي: ٢٧٩/٣٣٣.

كواجبات للمؤمنين تجاه الإمام مثل الدعاء له بالحفظ والنصرة وتعجيل فرجه وظهوره وكبح أعدائه والتصدق عنه والمواظبة علىٰ زيارته وغير ذلك مما ذكرته الأحاديث الشريفة وقد جمعها آية الله السيّد الإصفهاني في كتابه «مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم» وكتابه «وظائف الأنام في غيبة الإمام».

٣ ـ إحياء أمر منهج أهل البيت(عليهم السلام)[١] الذي يمثله ـ عجل الله فرجه ـ بما يعنيه ذلك من العمل بالإسلام النقي الذي دافعوا عنه، ونشر أفكارهم والتعريف بمظلوميتهم وموالاتهم والبراءة من أعدائهم والعمل بوصاياهم وتراثهم وما تقدّم من تعاليمهم ونبذ الرجوع الىٰ الطاغوت وحكوماته والرجوع الىٰ الفقهاء العدول الذين جعلوهم حجّة علىٰ الناس في زمن الغيبة والاستعانة بالله في كلّ ذلك كما ورد في النص:

«وإن أصبحتم يوماً لا ترون منهم [الأئمة(عليهم السلام)] أحداً فاستغيثوا بالله عزّ وجلّ وانظروا السنّة التي كنتم عليها واتبعوها وأحبوا من كنتم تحبّون وابغضوا مَن كنتم تبغضون فما أسرع ما يأتيكم الفرج»[٢].

٤ ـ تقوية الكيان الإيماني والتواصي بالحقّ الإسلامي النقي والتواصي بالصبر، وهو من التكاليف التي تتأكد في عصر الغيبة بحكم الصعوبات التي يشتمل عليها؛ والثبات علىٰ منهج أهل البيت(عليهم السلام): **«يأتي علىٰ الناس زمان يغيب عنهم إمامهم، فياطوبىٰ للثابتين علىٰ أمرنا في ذلك الزمان...»**[٣].

(١) الكافي ٢: ٢/١٧٦، الاختصاص، المفيد: ٢٩،كمال الدين: ٦٦٤ وفي الحديث الشريف ثناء جليل من الإمام الباقر(عليه السلام) علىٰ مَن يجنّد نفسه لإحياء أمر أهل البيت(عليهم السلام)، معاني الأخبار، الصدوق: ١٨٠.
(٢) كمال الدين: ٨/٣٢٨ وعنه في بحار الأنوار: ٥١/ ٢/١٣٦.
(٣) كمال الدين: ١٥/٣٣٠، بحار الأنوار: ٥٢/ ٦٦/١٤٥.

هذه عناوين أبرز التكاليف الخاصة بعصر الغيبة وثمة تكاليف خاصة ببعض الحوادث التي تقع فيه أو بعض علائم الظهور مثل مناصرة حركة الموطّئة ـ الذين يوطّئون للمهدي سلطانه ـ، أو اجتناب فتنة السفياني ، أو تشديد الحذر عند ظهور بعض العلائم القريبة من أوان الظهور وغير ذلك.

وبعد هذا العرض السريع ننتقل للحديث عن واجب الانتظار الذي يمثل أهم هذه التكاليف ويشتمل العمل به علىٰ معظم التكاليف السابقة، ونتناوله ضمن الفقرات التالية.

أهمية الانتظار

تؤكد الأحاديث الشريفة وباهتمام بالغ علىٰ عظمة آثار انتظار الفرج؛ بعنوانه العام الذي ينطبق علىٰ الظهور المهدوي كأحد مصاديقه البارزة؛ وكذلك علىٰ انتظار ظهور الإمام بالخصوص. فبعضها تصفه بأنه أفضل عبادة المؤمن كما هو المروي عن الإمام عليّ(عليه السلام): «**أفضل عبادة المؤمن انتظار فرج الله**»[1]، وعبادة المؤمن أفضل بلا شك من عبادة مطلق المسلم، فيكون الانتظار أفضل العبادات الفضلىٰ إذا كان القيام به بنية التعبد لله وليس رغبة في شيء من الدنيا؛ ويكون بذلك من أفضل وسائل التقرب الىٰ الله تبارك وتعالىٰ كما يشير الىٰ ذلك الإمام الصادق(عليه السلام) في خصوص انتظار الفرج المهدوي حيث يقول: «**طوبىٰ لشيعة قائمنا، المنتظرين لظهوره في غيبته والمطيعين له في ظهوره، أُولئك أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**»[2]. ولذلك فإنّ

(١) المحاسن للبرقي ١: ٤٤٠/٢٩١ وعنه في بحار الأنوار: ٥٢/ ٣٣/١٣١.

(٢) كمال الدين: ٣٥٧/ ح ٥٤ وعنه بحار الأنوار ٥٢: ٧٦/١٥٠.

انتظار الفرج هو «**أعظم الفرج**»[١] كما يقول الإمام السجاد(عليه السلام)، فهو يدخل المنتظر في زمرةِ أولياء الله.

وتعتبر الأحاديث الشريفة أنّ صدق انتظار المؤمن لظهور إمام زمانه الغائب يعزز إخلاصه ونقاء إيمانه من الشك، يقول الإمام الجواد(عليه السلام): «**...له غيبة يكثر أيامها ويطول أمدها فينتظر خروجه المخلصون وينكره المرتابون..**»[٢] وحيث إنّ الانتظار يعزز الإيمان والإخلاص لله عزّ وجلّ والثقة بحكمته ورعايته لعباده، فهو علامة حسن الظن بالله، لذا فلاغرابة أن تصفه الأحاديث الشريفة بأنه: «**أحب الأعمال الىٰ الله**»[٣]، وبالتالي فهو «**أفضل أعمال أمتي**»[٤] كما يقول رسول الله(صلى الله عليه وآله).

الانتظار يرسخ تعلق الإنسان وارتباطه بربه الكريم وإيمانه العملي بأنّ الله عزّ وجلّ غالب علىٰ أمره وبأنه القادر علىٰ كلّ شيء والمدبر لأمر خلائقه بحكمته الرحيم بهم، وهذا من الثمار المهمة التي يكمن فيها صلاح الإنسان وطيّه لمعارج الكمال، وهو الهدف من معظم أحكام الشريعة وجميع عباداتها وهو أيضاً شرط قبولها فلا قيمة لها إذا لم تستند الىٰ هذا الإيمان التوحيدي الخالص الذي يرسخه الانتظار، وهذا أثر مهم من آثاره الذي تذكره الأحاديث الشريفة نظير قول الإمام الصادق(عليه السلام): «**ألا أخبركم بما لا يقبل الله عزّ وجلّ من العبادة عملاً إلّا به... شهادة أن لا اله إلّا الله وأن محمّداً عبدُه ورسوله والإقرار بما أمر الله والولاية لنا والبراءة من أعدائنا ـ** يعني الأئمة خاصة **ـ والتسليم لهم، والورع**

---

(١) كمال الدين: ٣٢٠/ ح٢، الإحتجاج ٢: ٤٨ ـ ٥٠ .

(٢) كمال الدين: ٣٧٨/ح٣٦، كفاية الأثر: ٢٧٩

(٣) الخصال للشيخ الصدوق ٢: ٦١٠ ـ ٦١٦/١٠، كمال الدين: ٦١٦، تحف العقول: ١٠٠ ـ ١٠٦.

(٤) عيون أخبار الرضا ١: ٨٧/٣٩ وعنه بحار الأنوار ٥٢: ٢/١٢٢.

والاجتهاد والطمأنينة والانتظار للقائم (عليه السلام)...»[1].

وتصريح الأحاديث الشريفة بأنّ التحلي بالانتظار الحقيقي يؤهل المنتظر ـ وبالآثار المترتبة عليه المشار إليها آنفاً ـ للفوز بمقام صحبة الإمام المهدي كما يشير الىٰ ذلك الإمام الصادق في تتمة الحديث المتقدم حيث يقول: «**مَن سره أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر**»، وكذلك يجعله يفوز بأجر هذه الصحبة الجهادية وهذا ما يصرح به الصادق (عليه السلام) حيث يقول: «**مَن مات منكم علىٰ هذا الأمر منتظراً له كان كمن كان في فسطاط القائم (عليه السلام)...**»[2]، ويفوز أيضاً بأجر الشهيد كما يقول الإمام عليّ (عليه السلام): «**الآخذ بأمرنا معنا غداً في حظيرة القدس والمنتظر لأمرنا كالمتشحّط بدمه في سبيل الله**»[3]، بل ويفوز بأعلىٰ مراتب الشهداء المجاهدين، يقول الصادق (عليه السلام): «**مَن مات منكم وهو منتظر لهذا الأمر كمن هو مع القائم في فسطاطه؛** قال الراوي: ثم مكث هنيئة، ثم قال: **لا بل كمن قارع معه بسيفه،** ثم قال: **لا والله إلّا كمن استشهد مع رسول الله (صلى الله عليه وآله)**»[4].

والأحاديث المتحدثة عن آثار الانتظار كثيرة ويُفهم منها أنّ تباين هذه الآثار في مراتبها يكشف عن تباين عمل المؤمنين بمقتضيات الانتظار الحقيقي، فكلما سمت مرتبة الانتظار تزايدت آثارها المباركة وبالطبع فإنّ الأمر يرتبط بتجسيد حقيقة ومقتضيات الانتظار، ولذلك يجب معرفة معناه الحقيقي، وهذا مانتناوله في الفقرة اللاحقة.

---

(١) غيبة النعماني: ٢٠٧/١٦ وعنه بحار الأنوار ٥٢: ١٤٠/٥.

(٢) المحاسن، البرقي ١: ١٧٣/١٤٧،كمال الدين ٦٤٤/١.

(٣) في الخصال: ٦٢٥/١٠ وعنه في بحار الأنوار: ٥٢/ ١٢٣، تحف العقول: ١١٥.

(٤) المحاسن للبرقي ١: ١٧٤/١٥١، وعنه في بحار الأنوار: ١٢٦/٥٢ ح ١٨ ، ونحوه في الإمامة والتبصرة لابن بابويه: ١٢٢/١١٨، وكمال الدين: ٣٣٨ ح ١٢.

حقيقة الانتظار

الانتظار عبارة عن: «كيفية نفسانية ينبعث منها التهيؤ لما تنتظره؛ وضده اليأس؛ فكلما كان الانتظار أشد كان التهيؤ آكداً؛ ألا ترىٰ أنّه إذا كان لك مسافر تتوقع قدومه ازداد تهيؤك لقدومه كلما قرب حينه، بل ربما تبدل رقادك بالسهاد لشدة الانتظار. وكما تتفاوت مراتب الانتظار من هذه الجهة، كذلك تتفاوت مراتبه من حيث حبك لمن تنتظره، فكلما اشتد الحب ازداد التهيؤ للحبيب وأوجع فراقه بحيث يغفل المنتظر عن جميع ما يتعلق بحفظ نفسه ولا يشعر بما يصيبه من الالآم الموجعة والشدائد المفظعة.

فالمؤمن المنتظر لقدوم مولاه كلما اشتد انتظاره ازداد جهده في التهيؤ لذلك بالورع والاجتهاد وتهذيب نفسه وتجنّب الأخلاق الرذيلة والتحلّي بالأخلاق الحميدة حتىٰ يفوز بزيارة مولاه ومشاهدة جماله في زمان غيبته كما اتفق ذلك لجمع كثير من الصالحين الأخيار، ولذلك أمر الأئمة الطاهرون(عليهم السلام) فيما سمعت من الروايات وغيرها بتهذيب الصفات وملازمة الطاعات. بل رواية أبي بصير مشعرة أو دالة علىٰ توقف الفوز بذلك الأجر على العمل بالورع ومحاسن الأخلاق، حيث قال [الإمام الصادق](عليه السلام): «**مَن سره أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر، فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل مَن أدركه...**» ولا ريب أنه كلما اشتد الانتظار ازداد صاحبه مقاماً وثواباً عند الله عزّ وجلّ...»[1].

والانتظار يعني: «ترقب ظهور وقيام الدولة القاهرة والسلطنة الظاهرة

---

(١) مكيال المكارم: ٢/ ١٥٢ ـ ١٥٣.

لمهدي آل محمّد(عليهم السلام). وإمتلاء الأرض قسطاً وعدلاً وانتصار الدين القـويم علىٰ جميع الأديان كما أخبر به الله تعالىٰ نبيه الأكرم ووعده بذلك، بل بشّر به جميع الأنبياء والأُمم ؛ أنه يأتي مثل هذا اليوم الذي لا يعبد فيه غير الله تعالىٰ ولا يبقىٰ من الدين شيء مخفي وراء ستر وحجاب مخافة أحدٍ...»(١).

إذن الانتظار يتضمن حالة قلبية توجدها الأصول العقائدية الثـابتة بشأن حتمية ظهور المهدي الموعود وتحقق أهداف الأنـبياء ورسـالاتهم وآمـال البشرية وطموحاتها علىٰ يديه(عليه السلام)؛ وهذه الحالة القلبية تـؤدي الىٰ إنـبعاث حركة عملية تتمحور حول التهيؤ والاستعداد للظهور المنتظر، ولذلك أكدت الأحاديث الشـريفة عـلىٰ لزوم تـرسيخ المـعرفة الصـحيحة المسـتندة للأدلة العقائدية بالإمام المهدي وغـيبته وحـتمية ظـهوره كـما أشـرنا فـي الواجب الأوّل.

وعليه يتضح أنّ الانتظار لا يكون صادقاً إلّا إذا تـوفرت فـيه: «عـناصر ثلاثة مقترنة: عقائدية ونفسية وسلوكية ولولاها لا يبقىٰ للانـتظار أي مـعنىٰ إيماني صحيح سوىٰ التعسف المبني علىٰ المنطق القائل: ﴿**فـاذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا هاهنا قاعدون...**﴾(٢) المنتج لتمني الخير للبشرية مـن دون أي عـملٍ إيجابي في سبيل ذلك»(٣).

ولذلك نلاحظ فـي الأحـاديث الشـريفة المـتحدثة عـن قـضية الانـتظار تأكيدها علىٰ معرفة الإمام المهدي ودوره وترسيخ الارتباط المستمر به(عليه السلام) في غيبته كمظهر للانتظار والالتـزام العـملي بـموالاتـه والتـمسك بـالشريعة

---

(١) النجم الثاقب: ٢/ ٤٤٣ من الترجمة العربية.

(٢) المائدة (٥): ٢٤ .

(٣) تاريخ الغيبة الكبرىٰ: ٣٤٢.

الكاملة كما أشرنا لذلك في التكاليف السابقة وإعداد المؤمن نفسه كنصير للإمام المهدي ـ عجل الله فرجه ـ يتحلىٰ بجميع الصفات الجهادية والعقائدية والأخلاقية اللازمة للمساهمة في إنجاز مهمته الإصلاحية الكبرىٰ، وإلّا لن يكون انتظاراً حقيقياً.

«إنّ انتظار الفرج نوعان: انتظار بنّاء باعث للتحرك والالتزام الرسالي، فهو عبادة وأفضل العبادات، وانتظار مخرّب يشل الإنسان عن العمل البنّاء فهو يعتبر نمطاً من أنماط «الإباحية»... إن نوعي الانتظار هذين هما نتيجة لنوعين من الفهم لماهية الظهور التاريخي العظيم للمهدي الموعود (عليه السلام) ... والبعض يفسّر القضية المهدوية وثورتها الموعودة بأنها ذات صبغة إنفجارية لا غير؛ وأنها نتيجة لانتشار الظلم والتمييز والقمع وغصب الحقوق والفساد... فعندها يقع الإنفجار وتظهر يد الغيب لإنقاذ الحقّ... وعليه فإن أفضل عونٍ يمكن أن يقدمه الإنسان لتعجيل الظهور المهدوي وأفضل أشكال الانتظار هو [السماح بـ] ترويج الفساد...

لكن المستفاد من الآيات أنّ ظهور المهدي الموعود حلقة من حلقات مجاهدة أنصار الحقّ لأشياع الباطل التي تكون عاقبتها الانتصار الكامل لأنصار الحقّ ومشاركة الإنسان في الحصول علىٰ هذه السعادة مرهون بأنّ يدخل عملياً في صفوف أنصار الحقّ...

ويُستفاد من الروايات الإسلامية أنّ ظهور المهدي (عليه السلام) يقترن ببلوغ جبهتي السعداء والأشقياء ذروة عملهم كلّ حسب أهدافه لا أن ينعدم السعداء ويبلغ الأشقياء ذروة إجرامهم وظلمهم، وتتحدث الأحاديث الشريفة عن صفوة من أنصار الحقّ تلتحق بالإمام فور ظهوره... فحتىٰ لو فرضنا أنهم قلة من الناحية الكمية إلّا أنهم من الناحية الكيفية خيرة أهل الإيمان وبمستوىٰ

أنصار سيد الشهداء(عليه السلام)؛ كما تتحدث عن التمهيد لثورة الإمام المهدي بسلسلة من الانتفاضات التي يقوم بها أنصار الحقّ...كما تتحدث بعضها عن حكومة يقيمها أنصار الحقّ وتستمر حتىٰ تفجر ثورة الإمام المهدي»[1].

إذن يتضح مما تقدّم أنّ للانتظار الشرعي المطلوب جملة من الشروط لا يتحقق بدونها العمل به كأهم تكاليف المؤمنين في عصر الغيبة وقد تحدّثت عنها الأحاديث الشريفة وجمعها الإمام السجاد(عليه السلام) حيث قال ضمن حديث له عن القضية المهدوية: «**إنّ أهل زمان غيبته القائلين بإمامته والمنتظرين لظهوره أفضل من أهل كلّ زمان، لأنّ الله تبارك وتعالىٰ أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالسيف، أُولئك المخلصون حقاً وشيعتنا صدقاً والدعاة الىٰ دين الله عزّ وجلّ سراً وجهراً**»[2].

شروط الانتظار

علىٰ ضوء هذا النصّ والتوضيحات التي تقدمت يمكن إجمال شروط الانتظار في النقاط التالية التي تتضمن أيضاً توضيح السبيل العملي الذي ينبغي للمؤمن إنتهاجه لكي يكون منتظراً حقيقياً:

١ ـ ترسيخ معرفة الإمام المهدي ـ عجل الله فرجه ـ والإيمان بإمامته والقيام بمهامها في غيبته ومعرفة طبيعة دوره التاريخي وأبعاده والواجبات التي يتضمنها ودور المؤمنين تجاهه، وترسيخ الارتباط به(عليه السلام) وبدوره التاريخي. وكذلك الإيمان بأنّ ظهوره محتمل في أي وقت، الأمر الذي يوجب أن يكون المؤمن مستعداً له في كلّ وقت. بما يؤهله للمشاركة

---

(١) النهضة والثورة المهدوية للشهيد المطهري(رحمه الله): ٦١ ـ ٨١ من الطبعة الفارسية (بتلخيص).

(٢) كمال الدين: ٣١٩ ـ ٢/٣٢٠، الإحتجاج: ٤٩ ـ ٥٠.

في ثورته.

ولتحقق هذا الاستعداد اللازم لكي يكون الانتظار صادقاً يجب التحلي بالصفات الأُخرى التي يذكرها الإمام السجاد(عليه السلام) والتي تمثل في واقعها الشروط الأُخرى لتحقق مفهوم الانتظار على الصعيد العملي، كما نلاحظ في الفقرات اللاحقة.

٢ ـ ترسيخ الإخلاص في القيام بمختلف مقتضيات الانتظار وتنقيته من جميع الشوائب والأغراض المادية والنفسية، وجعله خالصاً لله تبارك وتعالىٰ وبنيّة التعبد له والسعي لرضاه، وبذلك يكون الانتظار «أفضل العبادة»، وقد صرّح آية الله السيّد محمّد تقي الإصفهاني بأنّ توفر هذه النيّة الخالصة شرط في القيام بواجب الانتظار. وعلىٰ أي حال فإنّ توفر هذا الشرط يرتبط بصورةٍ مباشرة بالإعداد النفسي لنصرة الإمام عند ظهوره؛ لأنّ فقدانه يسلب المنتظر الأهلية اللازمة لتحمل صعاب نصرة الإمام ـ عجل الله فرجه ـ في مهمته الإصلاحية الجهادية الكبرىٰ.

٣ ـ تربية النفس وإعدادها بصورة كاملة لنصرة الإمام من خلال صدق التمسك بالثقلين والتخلق بأخلاقهما ليكون المؤمن بذلك من أتباع الإمام المهدي(عليه السلام) حقاً: «**وشيعتنا صدقاً**» وتتوفر فيه شروط الشخصية الإلهية والجهادية القادرة علىٰ نصرة الإمام في طريق تحقيق أهدافه الإلهية، وفي ذلك تمهيد لظهوره(عليه السلام) علىٰ الصعيد الشخصي.

٤ ـالتحرك لتمهيد الظهور المهدوي علىٰ الصعيد الاجتماعي بدعوة الناس الىٰ دين الله الحقّ وتربية أنصار الإمام والتبشير بثورته الكبرىٰ، ونلاحظ في حديث الإمام السجاد(عليه السلام) وصفه للمنتظرين بأنهم «**الدعاة الىٰ دين الله عزّ وجلّ سرّاً وجهراً**»، وفي ذلك إشارة بليغة الىٰ ضرورة استمرار تحرك المنتظرين في التمهيد للظهور ورغم كلّ الصعاب، فإذا كانت الأوضاع مواتية

دعوا لدين الله جهراً وإلّا كان تحركهم سرياً دون أن يسوّغوا لأنفسهم التقاعس عن هذا الواجب التمهيدي تذرّعاً بصعوبة الظروف.

وعلىٰ ضوء ماتقدّم يتّضح أنّ الانتظار الحقيقي يتضمن حركة بناء مستمرة واستعداد لظهور المنقذ المنتظر علىٰ الصعيدين الفردي والاجتماعي مهماكانت الصعاب والتضحيات، يقول الإمام الخميني(قدس سره) في آخر بيان أصدره بمناسبة النصف من شعبان قبل وفاته: «سلام عليه (المهدي الموعود) وسلام علىٰ منتظريه الحقيقيين، سلام علىٰ غيبته وظهوره، وسلام علىٰ الذين يدركون ظهوره علىٰ نحو الحقيقة ويرتوون من كأس هدايته ومعرفته سلام علىٰ الشعب الإيراني العظيم الذي يمهّد لظهوره بالتضحيات والفداء والشهادة...»[١].

الانتظار وتوقّع الظهور الفوري

إضافة الىٰ تصريحهم بوجوب إنتظار الإمام المهدي ـ عجل الله فرجه ـ في غيبته استناداً الىٰ كثرة النصوص الشرعية الآمرة بذلك علىٰ نحو الفرج الإلهي العام أو الفرج المهدوي علىٰ نحو الخصوص، فقد صرحوا بوجوب توقع ظهور الإمام في كلّ حين استناداً الىٰ النصوص الشرعية أيضاً، يقول السيّدالشهيد محمّد الصدر(رحمه الله): «من الأخبار الدالة علىٰ التكليف في عصر الغيبة مادل علىٰ وجوب الانتظار الفوري وتوقع الظهور الفوري في كلّ وقتٍ بالمعنىٰ الذي سبق أن حققناه»[٢]، ويقول السيّد محمّد تقي الإصفهاني بعد نقله لمجموعة من الأحاديث الدالة علىٰ وجوب الانتظار الفوري: «المقصود من توقع الفرج صباحاً ومساءً هو الانتظار للفرج الموعود في كلّ وقت

(١) صحيفة نور: ٢١.

(٢) تاريخ الغيبة الكبرىٰ: ٤٢٧.

يمكن وقوع هذا الأمر المسعود ولا ريب في إمكان وقوع ذلك في جميع الشهور والأعوام بمقتضىٰ أمر المدبّر العلام، فيجب الانتظار له علىٰ الخاص والعام»(١).

وشمولية وجوب الانتظار لجميع المسلمين التي يصرّح بها السيّد الإصفهاني في ذيل مانقلناه عنه آنفاً يؤكدها السيّد الشهيد محمّد الصدر(رحمه الله) استناداً الىٰ الاتفاق بين المسلمين علىٰ حتمية ظهور المهدي(عليه السلام) بعد تواتر أحاديثه: «بنحو يحصل اليقين بمدلولها وينقطع العذر عن إنكاره أمام الله عزّ وجلّ؛ وبعد العلم بإناطة تنفيذ ذلك الغرض بإرادة الله تعالىٰ وحده من دون أن يكون لغيره رأي في ذلك، إذن فمن المحتمل في كلّ يوم أن يقوم المهدي(عليه السلام) بحركته الكبرىٰ لتطبيق ذلك الغرض لوضوح احتمال تعلق إرادة الله تعالىٰ به في أي وقت. ولا ينبغي أن تختلف في ذلك الأُطروحة الإمامية لفهم المهدي(عليه السلام) عن غيرها؛ إذ علىٰ تلك الأُطروحة يأذن الله تعالىٰ بالظهور بعد الاختفاء، وأما علىٰ الأُطروحة القائلة بأنّ المهدي(عليه السلام) يُولد في مستقبل الدهر ويقوم بالسيف، فمن المحتمل أيضاً أن يكون الآن مولوداً ويوشك أن يأمره الله تعالىٰ بالظهور، وهذا الاحتمال قائم في كلّ وقت»(٢)، ويستند الى الطريقة نفسها في تتمة حديثه للقول بوجوب الانتظار الفوري علىٰ كلّ مَن يؤمن بالمنقذ الموعود من أتباع الديانات الأُخرى.

تبقىٰ قضية علائم الظهور التي ذكرت الأحاديث الشريفة أنها تسبق الظهور المهدوي، وتعارضها مع القول بوجوب الانتظار الفوري، وهو تعارض مرفوع بأنّ انتظار الحتمي منها هو انتظار للظهور في الواقع لأنها جزء كما أنّ زمن وقوع العلائم الحتمية للظهور قريب من موعد الظهور وأما

(١) مكيال المكارم ٢: ١٤٣.

(٢) تاريخ الغيبة الكبرىٰ: ٣٤١ ـ ٣٤٢.

شرائط الظهور وتوفير الأوضاع اللازمة له فإنّ من المحتمل إكتمالها في كلّ حال. يقول السيّد الشهيد محمّد الصدر(رحمه الله): «إنّ العلامات يحتمل وقوعها في أي وقت ويحتمل أن يتبعها ظهور المهدي(عليه السلام) بوقت قصير، وأما شرائط الظهور فيحتمل إكتمالها وإنجازها في أي وقت أيضاً، وقلنا بأنّ وجود هذا الاحتمال في نفس الفرد كاف في إيجاد الجو النفسي للانتظار الفوري»[١].

وهذا الجو النفسي المطلوب في الانتظار الفوري هو الذي يشكل الدوافع المحرضة للمؤمن لكي يسارع في توفير الشروط اللازمة لنصرة إمامه المهدي ـ عجل الله فرجه ـ من خلال إعداد نفسه وغيره بالتهذيب والتربية اللازمة للتحلي بخصال أنصار المهدي.

ومن الضروري استكمالاً للبحث في موضوع وجوب الانتظار كأحد أهم واجبات المسلمين في عصر الغيبة، الإشارة الىٰ حرمة اليأس من الظهور وهو الأصل الذي يستند الىٰ أدلة قرآنية عامة تشكل أحد أدلة وجوب الانتظار، وقد بحث آية الله السيّد محمّد تقي الإصفهاني(رحمه الله) هذا الموضوع مفصّلاً واستعرض النصوص الشرعية وبيّن دلالاتها والأحكام المستنبطة منها بشأن أقسام اليأس المتصورة بالنسبة الىٰ ظهور المهدي الموعود، وخلص في بحثه الىٰ إثبات حرمة اليأس من ظهوره أصلاً؛ لاتفاق المسلمين علىٰ حتمية تحقق ذلك، وكذلك حرمة اليأس من وقوع الظهور في مدة معيّنة، وكذلك اليأس من قرب ظهوره[٢].

* * *

(١) تاريخ الغيبة الكبرىٰ: ٣٦٢ ـ ٣٦٣.

(٢) مكيال المكارم٢: ١٤٢ ـ ١٤٧ (المقام الخامس).



وفيه فصول :

الفصل الأوّل :

علائم ظهور الإمام المهدي(عليه السلام)

الفصل الثاني :

سيرة الإمام المهدي(عليه السلام) عند الظهور

الفصل الثالث :

قبسات من تراث الإمام المهدي(عليه السلام)

الفَصلُ الأوّلُ

علائم ظهور الإمام المهدي(عليه السلام)

ملاحظات بشأن علائم الظهور

عرفنا من الحديث عن تكاليف المؤمنين في عصر غيبة الإمام ـ عجل الله فرجه ـ أنّ الأحاديث الشريفة تأمر بانتظار ظهوره وتوقعه في كلّ آن، وهذا تكليف تربوي يهدف الىٰ جعلهم ساعين باتجاه تحقيق الاستعداد الكامل وباستمرار لنصرته عندما يظهر.

ولكن الىٰ جانب هذا الأمر المؤكد تذكر الأحاديث الشريفة مجموعة من الحوادث والأُمور كعلائم لظهوره(عليه السلام) يهتدي بها المؤمنون لترسيخ وتسريع استعدادهم لنصرته والمساهمة في إنجاز مهمته الإصلاحية الكبرىٰ.

والجمع بين هاتين الطائفتين من الأحاديث الشريفة، هو أنّ الأمر بتوقع الظهور في كلّ حين يستند الىٰ إمكان وقوع ذلك متىٰ ما شاءت الإرادة الإلهية، فتعجّل في تحقيق العلائم المذكورة في الطائفة الثانية أو تلغي بعضها لحكمةٍ ربانية في تدبير شؤون العباد إذا علم منهم صدقهم في الاستعداد لنصرته مثلاً، أو أن يكون المقصود من توقع الظهور الفوري توقع تحقق العلائم المذكورة في الأحاديث الشريفة وحتمية الوقوع؛ لأنّ وقوعها إعلان

ظهور الإمام(عليه السلام)[١]. وقد تقدمت إشارة أُخرىٰ الىٰ هذه القضية ضمن الحديث عن واجب الانتظار.

وبهذا تتحصل للمؤمنين الثمار المرجوة من الأمر بوجوب توقع ظهوره ـ عجل الله فرجه ـ في كلّ حين، وكذلك تتحصل لهم الثمار المرجوة من تعريفهم بعلائم ظهوره لتسريع استعدادهم والقيام بالتكاليف الخاصة ببعض العلائم التي تقرن الأحاديث الشريفة ذكرها بذكر واجبات خاصة بها.

العلائم الحتمية وغير الحتمية

وتذكر الأحاديث الشريفة قسمين رئيسين من علائم ظهور الإمام ـ عجل الله فرجه ـ. القسم الأوّل ماهو حتمي الوقوع، والقسم الثاني ماهو غير حتمي بل قد لا يقع إذا اقتضت الحكمة الإلهية ذلك. كما أنّ بعض هذه العلائم قريبة من زمن الظهور وبعضها سابق له بفترةٍ طويلة.

اللغة الرمزية في أحاديث العلامات

كما تنبغي الإشارة هنا الىٰ أنّ الأحاديث الشريفة تحدّثت عن كثير من علائم الظهور بلغة الرمز والإشارة، لذا من الضروري لمعرفتها علىٰ نحو الدقة دراسة هذه اللغة ومعرفتها، كما ينبغي استجماع كلّ ماورد بشأن كلّ علامة من تفصيلات في الأحاديث الشريفة ودراستها بعيداً عن التأثر بالقناعات السابقة وبتأنٍّ ودقةٍ للتوصل الىٰ مصداقها الحقيقي وعدم الوقوع في

---

(١) راجع تفصيل السيّد الإصفهاني لهذه النقطة في كتابه مكيال المكارم ٢: ١٤٢ ـ ١٤٧.

التطبيقات العجولة التي تبعد عن الهدف المراد من ذكر هذه العلائم، خاصة وأنّ اللغة الرمزية بطبيعتها تجعل من الممكن تطبيق كلّ علامة علىٰ أكثر من مصداق وهذا خلاف الهدف المراد من ذكرها أيضاً.

كما أنّ من الضروري الإشارة الىٰ أنّ بعض الأحاديث الشريفة التي ذكرت علامات الظهور، حددت تكاليف محددة للمؤمنين ـ علىٰ نحو التصريح أو الإشارة تجاهها ـ فينبغي عند دراستها السعي للتعرف علىٰ هذه التكاليف للحصول علىٰ الثمار المرجوة من ذكرها.

وحيث إنّ علائم الظهور ترتبط بقضايا غيبية، لذلك فإنّها تعرضت للكثير من التحريف وداخَلها الوضع، لذا ينبغي التدقيق في هذا الجانب لتمييز الصحيح منها من الموضوع. علىٰ أنّ ثمة قضية مهمة أُخرىٰ في هذا المجال هي وجود مجموعة من العلامات التي ذكرتها بعض الأحاديث الشريفة المرسلة أو غير المسندة ثم جاء الواقع التاريخي مصدّقاً لها فهذا دليل صحتها، لأنه أثبت أنه تحدّثت عن قضايا قبل وقوعها وهذا ما لا يمكن صدوره إلّا من جهة ينابيع الوحي الإلهي.

أبرز علائم الظهور

والبحث في علائم الظهور طويل لا يسعه هذا المختصر، فنكتفي بعد هذه الملاحظات بنقل مالخّصه الشيخ المفيد (رضي الله عنه) من الأحاديث الشريفة مع الإشارة الىٰ أنّ ثمة علامات أُخرىٰ لم يذكرها.

يقول(رحمه الله): ـ «قد جاءت الأخبار بذكر علامات لزمان قيام القائم المهدي(عليه السلام) وحوادث تكون أمام قيامه، وآيات ودلالات: فمنها: خروجُ السفياني، وقتل الحسني، واختلاف بني العباس في الملك الدنيوي، وكسوف

الشمس في النصف من شهر رمضان، وخسوف القمر في آخره علىٰ خلاف العادات، وخسف بالبيداء، وخسف بالمغرب، وخسف بالمشرق، وركود الشمس من عند الزوال إلىٰ وسط أوقات العصر، وطلوعها من المغرب، وقتل نفسٍ زكيةٍ بظهر الكوفة في سبعين من الصالحين، وذبح رجل هاشمي بين الركن والمقام، وهَدمُ سور الكوفة، وإقبال رايات سود من قِبَلِ خراسان، وخروج اليماني، وظُهور المغربي بمصرَ وتملُّكُه للشامات، ونزول التُرك الجزيرة، ونزول الروم الرملة، وطلوع نجمٍ بالمشرقِ يُضيءُ كما يُضيءُ القمر ثم يَنعطفُ حتىٰ يكاد يلتقي طَرَفاه، وحُمرة تظهر في السماء وتنتشر في آفاقها، ونار تظهر بالمشرق طُولاً وتبقىٰ في الجوِّ ثلاثة أيّام أو سبعة أيّام، وخلعُ العرب أعنَّتها وتملُّكها البلاد وخُروجُها عن سلطان العجم، وقتلُ أهل مصر أميرهم، وخراب الشام، واختلاف ثلاثة رايات فيه، ودخول رايات قيس والعرب إلىٰ مصر ورايات كندة إلىٰ خراسان، وورود خيل من قبل المغرب حتىٰ تربط بفناء الحيرة، وإقبالُ رايات سُود من المشرق نحوها، وبثقٌ في الفرات حتىٰ يدخُل الماءُ أزقّة الكوفة، وخُروجُ ستين كذّاباً كلُّهم يدَّعي النبوة، وخُروج اثني عشر من آل أبي طالب كلُّهم يدّعي الإمامة لنفسه، وإحراق رجل عظيم القدر من شيعة بني العباس بين جلولاء وخانقين، وعقد الجسر ممّايلي الكرخ بمدينة السلام، وارتفاع ريح سوداء بها في أوّل النهار؛ وزلزلة حتىٰ ينخسف كثير منها، وخوف يشمل أهل العراق، وموت ذريع فيه، ونقص من الأنفس والأموال والثمرات، وجراد يظهر في أوانه وفي غير أوانه حتىٰ يأتي علىٰ الزرع والغلّات، وقلّة ريع لما يزرعه الناس، واختلاف صنفين من العجم، وسفك دماء كثيرة فيما بينهم، وخروج العبيد عن طاعة ساداتهم وقتلهم مواليهم، ومسخٌ لقوم من أهل البدع حتىٰ يصيروا

قردة وخنازير، وغلبة العبيد علىٰ بلاد السادات، ونداء من السماء حتىٰ يسمعه أهل الأرض كلُّ أهل لغة بلغتهم، ووجه وصدر يظهران من السماء للناس في عين الشمس، وأموات ينشرون من القبور حتىٰ يرجعوا إلىٰ الدنيا فيتعارفون فيها ويتزاورون.

ثم يُختم ذلك بأربع وعشرين مطرة تتَّصل فتحيى بها الأرض من بعد موتها وتعرف بركاتها، وتزول بعد ذلك كلُّ عاهة عن معتقدي الحقِّ من شيعة المهدي(عليه السلام)، فيعرفون عند ذلك ظُهوره بمكة فيتوجَّهون نحوه لُنصرته.كما جاءت بذلك الأخبار.

ومن جملة هذه الأحداث محتومة ومنها مشترطة، والله أعلم بما يكون، وإنّما ذكرناها علىٰ حسب ما ثبت في الأُصول وتضمَّنها الأثر المنقول، وبالله نستعين وإيّاه نسأل التوفيق»[1].

زوال علل الغيبة

إضافة الىٰ هذه العلامات التي نصت عليها الأحاديث الشريفة؛ فإنّ المستفاد من الأحاديث الشريفة أن من العلائم المهمة لظهور الإمام المهدي ـ عجل الله فرجه ـ؛ زوال العلل والعوامل التي أدت الى غيبته وتوفر الأوضاع المناسبة لقيامه ـ سلام الله عليه ـ بمهمته الإصلاحية الكبرىٰ[2]، والتي منها:

١ ـ إكتمال عملية التمحيص والغربلة للمؤمنين وتوفر العدد اللازم من الأنصار الأوفياء بمختلف مراتبهم التي أشرنا إليها ضمن الحديث عن علل الغيبة؛ أي المرتبة العليا من الأنصار الذين يتحلون بالكفاءات القيادية اللازمة

(١) الإرشاد للشيخ المفيد: ٢/ ٣٦٨ ـ ٣٧٠.

(٢) تُراجع نصوص الأحاديث الشريفة التي أوردناها في الحديث عن علل الغيبة الكبرىٰ.

لمعاونته في إقامة الحكومة الإسلامية العالمية العادلة وإدارة شؤونها وقبل ذلك إدارة حركة الصراع ضد الكفر والشرك والعبوديات الطاغوتية ودحرها وإزالتها بالكامل.

ولعل أفراد هذه المرتبة هم الذين ذكرت الأحاديث الشريفة بأنّ عددهم (٣١٣) كعدة أهل بدر وذكرت لهم صفات عالية من الإيمان ومعرفة الله حقّ معرفته، ومن شدة التعبد لله والإخلاص له فهم «**رهبان الليل**»، ومن الشجاعة والكفاءة الجهادية العالية فهم «**أُسد النهار**» الذين لا يخافون في الله لومة لائم، ومن الكفاءة العلمية العالية والإحاطة بعلوم الشريعة فهم «**الفقهاء والقضاة**»، ومن الكفاءة الإدارية الفائقة فهم «**الولاة العدول**»[1] وغير ذلك من الصفات السامية الأُخرى التي يُستفاد منها أنهم يمثلون جهاز الإمام القيادي والإداري عند ظهوره قبل إقامة دولته العالمية العادلة وبعدها.

٢ ـ منها توفر القواعد الإسلامية العريضة المستعدة للتفاعل الإيجابي مع أهداف الثورة المهدوية الكبرىٰ وإن تباينت درجاتها في تقديم النصرة العملية[2].

والذي يوجِد هذه الحالة هو إتضاح حقيقة وأحقية منهج أهل البيت النبوي الذي يمثله المهدي الموعود ـ عجل الله فرجه ـ ، وإتضاح زيف

---

(١) عقد الدرر: ١٢٣ إثبات الهداة: ٤٩٤/ ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٥١٧ ـ ٥١٨ / ٣٧٧، ٣٧٨، الملاحم والفتن لابن حماد: ٩٥، دلائل الإمامة للطبري الإمامي: ٢٤٨ ـ ٢٤٩، حلية الأولياء: ٦ / ١٢٣، مستدرك الحاكم: ٤/ ٥٥٤ ينابيع المودة: ٥١٢، كمال الدين: ٦٧٢ ـ ٦٧٣ / ٢٤، ٢٥، ٢٦، اختصاص الشيخ المفيد: ٢٦، للمزيد في التعرف على أصحاب الإمام وصفاتهم ومقامهم عند الله تعالى، راجع كتاب (معجم أحاديث الإمام المهدي) للشيخ عليّ الكوراني فقد نقل عشرات الروايات من مصادر السنّة والشيعة المعتبرة، تحت عنوان (مقام أصحاب الإمام المهدي«عج»): ٣٣٦ ـ ٣٥٩.

(٢) راجع توضيحات السيّد الشهيد محمّد الصدر(رحمه الله) لهذه المراتب من القواعد المؤيدة في تاريخ الغيبة الكبرىٰ: ٢٤٧ ومابعدها.

الشبهات المثارة علىٰ مدىٰ التاريخ الإسلامي ضد هذا المنهج، وإتضاح أنه هو المنهج الذي يمثل الإسلام المحمدي الأصيل.

وقد أشارت الأحاديث الشريفة الىٰ ذلك ضمن حديثها عن الحركة الموطئة للثورة المهدوية ودورها في عرض الصورة النقية لمذهب أهل البيت وعلومه الإسلامية النقية علىٰ الصعيد الإسلامي والعالمي، وبالتالي عرض الصورة الأصيلة للإسلام(١).

ودور هذه الحركة التمهيدية التي نصّت الأحاديث الشريفة علىٰ انطلاقها قبيل الظهور المهدوي في عرض الصورة النقية للإسلام يوجِد حالة التطلع للإسلام كبديل حضاري لإنقاذ البشرية والإقبال عليه خارج دائرة العالم الإسلامي ـ كما هو المشهود حالياً في بوادره علىٰ الأقل ـ الأمر الذي يفتح أبواب التفاعل الإيجابي مع الثورة المهدوية الكبرىٰ بين الشعوب غير الإسلامية أيضاً خاصةً وأنها جربت المدارس والتيارات الفكرية والسياسية الأُخرىٰ وعايشت عملياً فشلها في تحقيق السعادة المنشودة للبشرية بل وجلبها للبشريّة الكثير من الأزمات المادية والمعنوية التي تعتصرها حالياً، الأمر الذي جعلها تتطلع الىٰ بديل منقذ خارج المدارس والتيارات التي عرفتها، والىٰ هذه الحالة أشارت الأحاديث الشريفة التي تحدّثت عن أنّ الدولة المهدوية هي آخر الدول كما لاحظنا في الأحاديث الشريفة التي أوردناها في الفصل الخاص بعلل الغيبة وأسبابها.

٣ ـ منها أيضاً توفر وسائل الاتصال المتطورة التي تتيح للجميع التعرف علىٰ الحقائق، وبالتالي السماح بوصول الحقّ الىٰ الجميع وإتضاح بطلان

(١) بحار الأنوار: ٦٠/ ٢١٣، عن تاريخ قم للحسن بن محمّد القمي (ق ٣) ح ٢٢ و ٢٣ وعنه في منتخب الأثر: ٢٦٣ و ٤٤٣.

وزيف المدارس الأُخرىٰ، وأحقية الرسالة الإسلامية التي يحملها المهدي(عليه السلام) وبالتالي تبنّي أشخاص للتيار الإسلامي وأهدافه التي يبشر بها المهدي الموعود بعد أن كانوا ينتمون تاريخياً الى المدارس الأُخرى، أي الانتقال عملياً الىٰ صفوف أنصاره(عليه السلام)، كما تشير الىٰ ذلك الأحاديث الشريفة المعللة للغيبة بإخراج «**ودائع الله**» المؤمنين من أصلاب الكافرين.

* * *

الفصل الثاني

سيرة الإمام المهدي(عليه السلام) عند الظهور

وردت مجموعة من الأحاديث الشريفة في ذكر عصر الظهور وما يجري فيه، وسيرة الإمام المهدي ـ عجل الله فرجه ـ عند ظهوره وما يحققه الله تبارك وتعالىٰ علىٰ يديه يومذاك.

وهذه الأحاديث مروية في الكتب المعتمدة عند مختلف الفرق الإسلامية، وفيها الأحاديث ذات الأسانيد الصحيحة، وحيث إنّ هذا الكتاب لا يتسع لإيرادها وتحليلها ودراستها وتمحيصها، لذلك نكتفي بتلخيص أبرز مدلولاتها في عناوين موجزة دون ذكر نصوصها في أغلب الموارد محيلين القارئ الكريم الىٰ مراجعة مصادرها إذا أراد التفصيل، مقدمين لذلك بذكر الآيات الكريمة المتحدثة عن خصوصيات عصر الظهور وما سيحققه الله تبارك وتعالىٰ علىٰ يدي وليه المهدي(عليه السلام) المنتظر عجّل الله فرجه .

إنّ ما نستفيده من هذه النصوص التي تكلّمت عن عصر الظهور يعبّر عن خصائص الدولة المهدوية ـ كما يرسمه القرآن الكريم ـ وهي الدولة التي تمثّل المصداق الجليّ لأحد أهمّ الأهداف الإلهية من بعثة جميع الأنبياء(عليهم السلام) .

خصائص الدولة المهدوية في القرآن الكريم

١ ـ إتمام النور الالهي وإظهار الإسلام علىٰ الدين كله:

وهذا ما صرّح به القرآن المجيد في ثلاثٍ من سوره المباركة.

أ ـ قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَافِرُونَ* هُوَ ٱلَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[1].

ب ـ وقال تعالىٰ ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَافِرُونَ* هُوَ ٱلَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[2].

ج ـ وقال عزّ وجلّ: ﴿**هو الذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحقّ ليظهره علىٰ الدين كله وكفىٰ بالله شهيداً**﴾[3].

وقد صرّح المفسرون من مختلف المذاهب الإسلامية بأنّ هذا الوعد الحتمي الوقوع إنما يتحقق في عصر المهدي الموعود حيث يظهر الإسلام علىٰ جميع الأديان فيعم المشارق والمغارب[4]. وتُقام الدولة الإسلامية العالمية؛ لأنّ المقصود من الإظهار هو الغلبة والاستيلاء وليس مجرد قوّة الحجّة؛ لأنّ غلبة الحجّة أمر حاصل ابتداء ولا يبشر الله عزّ وجلّ إلّا بأمر مستقبل غير حاصل كما استدل علىٰ ذلك الفخر الرازي في تفسيره[5].

---

(١) التوبة (٩): ٣٢ و ٣٣.

(٢) الصف (٦١): ٨ و ٩.

(٣) الفتح (٤٨): ٢٨.

(٤) تفسير القرطبي ٨: ١٢١ (في تفسير سورة التوبة آية ٣٣)، التفسير الكبير: ١٦/ ٤٠، والروايات من طرق أهل البيت(عليهم السلام) كثيرة مصرّحة باختصاص تحقق هذا الوعد بعهد المهدي الموعود.

(٥) التفسير الكبير: ١٦/ ٤٠.

٢ ـ استخلاف صالحي المؤمنين

أ ـ قال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِن بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّالِحُونَ ﴾[1].

ب ـ وقال تعالىٰ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ ﴾[2].

ج ـ وقال تعالىٰ: ﴿... ٱلَّذِينَ إِن مَكَّنَّاهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا ٱلصَّلاَةَ وَآتَوُا ٱلزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[3].

تخبر الآية الكريمة الأُولىٰ بأنّ من القضاء المحتوم تكريم خط الإيمان والصلاح بجزاء دنيوي ـ فضلاً عن الجزاء الأُخروي ـ يتمثل في وراثة الأرض وحكمها حيث العاقبة للمتقين في الدنيا والآخرة[4]، وتنص الآية الثانية علىٰ أنّ الذين يستخلفهم الله في الأرض هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات من المسلمين، الذين كانوا يُستضعفون ولم يسمح لهم بعبادة الله بأمن، وعن التمكين لهؤلاء دينهم الذي إرتضاه تبارك وتعالىٰ لهم: والآيتان تتحدثان عن عصر ظهور المهدي كما هو واضح من التدبر فيهما[5].

---

(١) الأنبياء: ٢١ / ١٠٥.

(٢) النور (٢٤): ٥٥ .

(٣) الحج (٢٢): ٤١ .

(٤) تفسير الميزان: ١٤ / ٣٢٩ ـ ٣٣١.

(٥) ناقش العلّامة الطباطبائي (رحمه الله) في تفسيره الميزان الأقوال الأُخرى التي أوردها المفسرون وأثبت عدم إنسجامها مع دلالات الآية التي لا يمكن تفسيرها بغير الدولة المهدوية راجع تفسير الميزان: ١٥/ ١٥١ ـ ١٥٧ .

٣ـ إقامة المجتمع التوحيدي الخالص

واستناداً لما تقدّم يتّضح أنّ من خصائص عصر المهدي الموعود ـ عجل الله فرجه ـ هو أن تكون مقاليد المجتمع البشري برمته بيد الصالحين الذين كانوا يُستضعفون في الأرض والذين يمثلون الإسلام المحمدي الأصيل، فإذا مكنهم الله في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر أي أقاموا المجتمع التوحيدي الخالص الذي يعبد الله وحده لا شريك له بأمنٍ دونما خوف من كيد منافق أو كافر، ووفّروا بذلك جميع الظروف اللازمة لتحقق العبادة الحقّة لله والتكامل الإنساني في ظلها، لذا فلا حجّة بالمرّة لمن يكفر بعد ذلك ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ﴾ حقاً لأنهم أعرضوا عن الصراط المستقيم مع توفر جميع الأوضاع المناسبة لسلوكه وهذه خصوصية أُخرىٰ من خصوصيات عصر المهدي المنتظر ـ عجل الله فرجه ـ وتفسير ماروي من شدة تعامله مع المنحرفين.

٤ـ تحقق الغاية من خلق النوع الإنساني

قال عزّ وجلّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١].

تدل الآية الكريمة علىٰ حصر الغاية من خلق الإنسان بالعبادة الحقّة لله جل وعلا[٢]، وهذا ما يتحقق في ظل دولة المهدي الموعود علىٰ الصعيدين الفردي والاجتماعي بأكمل صوره كما أشرنا لذلك في الفقرة السابقة. وقد

(١) سورة الذاريات (٥١): ٥٦.
(٢) تفسير الميزان: ١٨ / ٣٨٦ ـ ٣٨٩.

عقد السيّد الشهيد محمّد الصدر(رحمه الله) بحثاً عقائدياً تفسيرياً استند فيه لهذه الآية الكريمة لإثبات حتمية ظهور دولة المهدي الموعود ـ عجل الله فرجه[١]. لأنّ تحقق هذه الغاية أمر حتمي إذ إنّ من المحال تخلف مخلوق عن الغاية من خلقه، والآية تتحدث عن النوع الإنساني وتحقق العبادة الحقة فيه على الصعيدين الفردي والاجتماعي العام في المجتمع الإنساني وهذا مالم يتحقق في تاريخ الإنسان على الأرض مُنذ نزوله إليها لذا لابد من القول بحتمية تحققه في المستقبل في دولة إلهية تقيم المجتمع التوحيدي الصالح العابد لله وحده لا شريك له، وهذه الدولة هي الدولة المهدوية كما أشارت لذلك الآيات الكريمة المتقدّمة وصرّحت به الكثير من الأحاديث الشريفة المروية من طرق الفريقين.

٥ ـ إنهاء الردة عن الدين الحقّ

قال عزّ من قائل: ﴿ **يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاَئِمٍ ذٰلِكَ فَضْلُ ٱللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَٱللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾[٢].

لقد عقد العلّامة الطباطبائي(رحمه الله) بحثاً تفسيرياً قرآنياً وروائياً للاستدلال على أن هذه الآية الكريمة تتحدث عن عصر الظهور المهدوي وأنّ الردة المقصودة فيها هي عن الدين الحقّ مع البقاء على الظاهر الإسلامي وذلك بموالاة اليهود والنصارى وأتباعهم في طريقة الحياة في مختلف شؤونها كما هو حاصل اليوم. وهذه الردّة هي التي تنهى عنها الآيات السابقة لهذه الآية

(١) تاريخ الغيبة الكبرى: ٢٣٣ ومابعدها.

(٢) المائدة (٥): ٥٤.

الكريمة التي تتحدث عن الإنحراف الذي يصيب العالم الإسلامي قبل الفتح المهدوي[١].

وبناءً علىٰ ذلك فإنّ من خصائص عصر الدولة المهدوية إنهاء الردة عن الدين الحقّ والتبعية لليهود والنصارىٰ في طريقة الحياة، ثم إعادة المسلمين الىٰ الطريقة الإسلامية في الحياة بمختلف شؤونها، وهذا ينسجم تماماً مع الخصوصيات الأُخرى للعصر المهدوي الذي تحدّثت عنه الآيات السابقة.

تاريخ ظهور الإمام المهدي (عليه السلام)

ذكرت الأحاديث الشريفة أنه (عليه السلام) يظهر في وتر من السنين الهجرية[٢] أي من الأعوام الفردية، ويكون ظهوره في يوم الجمعة[٣]، فيما ذكرت أحاديث أُخرىٰ أن خروجه يكون يوم السبت العاشر من محرم الحرام[٤]، ولعل الجمع بين التاريخين هو أن ظهوره يكون يوم الجمعة وفيها يخطب خطبته في المسجد الحرام فيما يكون خروجه منها باتجاه الكوفة يوم السبت.

---

(١) تفسير الميزان: ٥ / ٣٦٦ ـ ٤٠٠، وراجع تفسير الشيخ اسعد بيوض التميمي للآيات نفسها في كتابه زوال إسرائيل حتمية قرآنية: ١٢٠ ـ ١٢٤.

(٢) الإرشاد للشيخ المفيد: ٣٧٩/٢ وعنه في الفصول المهمة ٢: ١١٣٢، إثبات الهداة: ٣ / ٥١٤ ، الخرائج ٣: ١١٦١/ ٦٣، روضة الواعظين، الفتال النيسابوري: ٢٦٣.

(٣) الخصال، الصدوق: ٣٩٤، وعنه بحار الأنوار ٥٦: ٨/٢٧، إثبات الهداة: ٣ / ٤٩٦.

(٤) تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ٤: ٣٣٣ / ١٠٤٤، غيبة الطوسي: ٤٥٩/٤٥٣، الخرائج ٣: ١١٥٩، إقبال الأعمال للسيّد ابن طاووس: ٥٥٨،كمال الدين: ١٩/٦٥٤، عقد الدرر للمقدسي الشافعي: ٥٠، البرهان في علامات مهدي آخر الزمان للمتقي الهندي: ١٤٠ ـ ١٤٦، (الباب السادس: في كيفية بيعة المهدي وتاريخ خروجه).

مكان ظهوره ـ عجل الله فرجه ـ وانطلاقة ثورته

ذكرت مجموعة من الأحاديث الشريفة أنّ بداية ظهوره يكون في المدينة المنورة وإعلان حركته يكون في مكة المكرمة[١] وفي المسجد الحرام حيث يُعلن حركته ويدعو إليها في خطبةٍ موجزة ذات دلالات مهمة وهي مروية عن الإمام الباقر(عليه السلام) ضمن حديث طويل عن ظهور سليله المهدي، يقول(عليه السلام) في جانب من الحديث:

«فيقوم القائم بين الركن والمقام فيصلّي وينصرف ومعه وزيره، فيقول:

يا أيها الناس إنّا نستنصر الله علىٰ من ظلمنا وسلب حقنا، من يحاجنا في الله فإنا أولىٰ بالله، ومن يحاجنا في آدم فأنا أولىٰ الناس بآدم، ومن حاجنا في نوح فإنا أولىٰ الناس بنوح، ومن حاجنا في إبراهيم فإنا أولىٰ الناس بإبراهيم، ومن حاجنا بمحمد فإنا أولىٰ الناس بمحمّد (صلى الله عليه وآله)، ومن حاجنا في النبيين فإنا أولىٰ الناس بالنبيين، ومن حاجنا في كتاب الله فنحن أولىٰ الناس بكتاب الله، أنا أشهد [نشهد] **وكلّ مسلم اليوم إنّا قد ظُلمنا وطُردنا وبُغي علينا واخرجنا من ديارنا وأموالنا وأهالينا وقُهرنا، ألا إنا نستنصر الله اليوم كلّ مسلم»**[٢].

وورد في رواية ينقلها نعيم بن حماد وهو من مشائخ البخاري بسنده عن الإمام الباقر(عليه السلام) أيضاً، خطبة ثانية في المكان نفسه ولكن بعد أداء فريضة العشاء، فيروى عن الإمام الباقر(عليه السلام) قوله: **«... فإذا صلّىٰ العشاء نادىٰ بأعلى صوته يقول: أُذكركم الله أيّها الناس، ومقامكم بين يدي ربّكم، فقد اتّخذ الحجّة وبعث الأنبياء وأنزل الكتاب، وأمركم أن لا تشركوا به شيئاً وأن تحافظوا علىٰ طاعته وطاعة رسوله، وأن تُحيوا ما أحيىٰ القرآن، وتُميتوا ما أمات، وتكونوا أعواناً علىٰ الهدىٰ، وَوَزراً علىٰ التقوىٰ،**

---

(١) برهان المتقي الهندي: ١٤٤ / ح ١٠، القول المختصر لابن حجر: ٢٩.

(٢) تفسير العياشي ١: ٦٤ ـ ٦٦ / ١١٧، الغيبة للنعماني: ٢٨٨ ـ ٢٩١ / ٦٧، اختصاص الشيخ المفيد: ٢٥٦.

فإنّ الدنيا قد دنا فناؤها وزوالها، وآذنت بالوداع، فإني أدعوكم الىٰ الله، والىٰ رسوله، والعمل بكتابه، وإماتة الباطل، وإحياء سنته...»(١).

وقفة عند خطبتي إعلان الثورة

ويُلاحظ في الخطبة الأُولىٰ تأكيده(عليه السلام) علىٰ مخاطبة أتباع جميع الديانات السماوية انطلاقاً من عالمية ثورته الدينية فهو يمثل خط الأنبياء(عليهم السلام) جميعاً ويدعو الىٰ الأهداف السامية التي نادوا بها جميعاً. هذا أوّلاً وثانياً يؤكد(عليه السلام) علىٰ تمثيله لمدرسة الثقلين فهو ممثل أهل البيت(عليهم السلام) ثاني الثقلين الذي لا يفترق عن الأوّل ـ أعني القرآن المجيد ـ لذلك فهم أولى الناس بكتاب الله جل ذكره وأعرفهم بما فيه وبسبل هداية البشرية علىٰ نور هداه السماوي.

ثم يشير ثالثاً الىٰ مظلومية أهل البيت(عليهم السلام) وتعريضهم لأشكال الظلم والبغي بما أدىٰ الىٰ غيبة خاتمهم ـ عجل الله فرجه ـ وسبب تعريضهم لكلّ ذلك هو نزعات الطواغيت وعباد السلطة للاستئثار واتخاذ مال الناس دولاً وعباد الله خولاً ومنع أهل البيت(عليهم السلام) من إقرار العدالة الإلهية وقيادة الناس علىٰ المحجة البيضاء.

ثم يستنصر كلّ مسلم لدفع هذه المظلومية التي يكون في دفعها الخير للبشرية جمعاء لأنّ تسليم مقاليد الأُمور الىٰ ممثل نهج الأنبياء وعدل القرآن الكريم يعني تحقيق أهداف العدالة الإلهية، ولكن ـ عجل الله فرجه ـ يستنصر الله جلت قدرته أوّلاً وفي ذلك إشارة الىٰ حتمية انتصار ثورته

(١) الملاحم والفتن لنعيم بن حماد: ٢١٣، عقد الدرر ١٠٥ ـ ١٠٦، البرهان في علامات مهدي آخر الزمان المتقي الهندي: ١٤١/ح٣، الحاوي للفتاوى الحديثية: ٢/ ٧١، وكتاب اللوائح للسفاريني: ٢/ ١١.

الإصلاحية فهو المضطر الذي تُستجاب دعوته وولي دم المقتول ظلماً فهو منصور إلٰهياً، وبهذه الإشارة يحفز(عليه السلام) الناس لنصرته ليفوزوا بسعادة الدارين ويتقوا عذاب الدنيا وخزيها علىٰ يديه وعذاب الآخرة أكبر.

إعلان أهداف الثورة

أما في الخطبة الثانية التي يلقيها ـ عجل الله فرجه ـ بعد صلاة العشاء، فهو يحدد الأهداف العامة لثورته، وهي الأهداف التي يستنصر الناس لأجلها، والتي تمثل الوجه الآخر للثأر لمظلومية أهل البيت ومدرستهم ومنهجهم(عليهم السلام)، فهو يحدد الهدف الأوّل والعام المتمثل بإقامة التوحيد الخالص الذي بُعث لأجله الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ وأُنزلت معهم الكتب السماوية، وهو الهدف الذي يتجسد من خلال طاعة الله تبارك وتعالىٰ وطاعة رسوله(صلى الله عليه وآله) ومن خلال إحياء ما أحيا القرآن، وإحياء سنة رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وإماتة ما أماته القرآن وهو الباطل والبدع والشرك وسائر العبوديات الزائفة. فدعوته هي دعوة الىٰ الله عزّ وجلّ وتوحيده والىٰ رسول الله(صلى الله عليه وآله) والعمل بسنته الموصلة الىٰ الله.

وعليه يتّضح أنّ استنصاره للثأر لمظلومية أهل بيت النبوة تعني الدعوة الىٰ المعونة علىٰ الهدف والمؤازرة علىٰ التقوىٰ.

الاستجابة لاستنصاره ومبايعته

وأوّل مَن يبادر لبيعته(عليه السلام) في المكان الذي يستنصر فيه المسلمين أي مابين الركن والمقام هم صفوة أنصاره: «**فيُبايع ما بين الركن والمقام ثلاثمائة ونيف، عدّة أهل بدر، فيهم النجباء من أهل مصر والأبدال من أهل الشام والأخيار من**

أهل العراق»[١].

ويُستفاد من مجموعة من الأحاديث المروية في مصادر أهل السنّة أنّ ظهوره ومبايعته يكون بعد اختلاف بين قبائل الحجاز وأنه يرفض في البداية قبول البيعة ويخاطب المبايعين بالقول: «**ويحكم! كم عهد قد نقضتموه؟ وكم دم قد سفكتموه؟**»[٢]، ويبدو أنّ هذا الرفض يمثل محاولة لإشعار المبايعين بمسؤولية وتبعات البيعة والمهمة التي هم مقبلون عليها نظير ما فعله جدّه الإمام عليّ (عليه السلام) عند إقبال الناس علىٰ بيعته بعد مقتل عثمان.

ويُستفاد من بعض الأحاديث أنّ حركة الموطئة للظهور المهدوي تبعث بالبيعة للمهدي (عليه السلام). وهو في مكة[٣] ثم تجددها بعد ذلك.

وتصرح بعض الأحاديث الشريفة أنّ أصحابه الخاصين أي الثلاثمائة والثلاثة عشر يجمعون في مكة وبصورة إعجازية أو سريعة بوسائل النقل المتطورة ليدركوا ظهور الإمام ويبايعوه[٤].

خروجه الىٰ الكوفة وتصفية الجبهة الداخلية

يخرج (عليه السلام) بجيشه متوجهاً للكوفة التي يتخذها منطلقاً لتحركه العسكري[٥] بعد إنهاء فتنة السفياني والخسف الذي يقع بجيشه في البيداء[٦].

---

(١) غيبة الطوسي: ٥٠٢/٤٧٦، وعنه في بحار الأنوار: ٥٢ / ٣٣٤/ ٦٤، وإثبات الهداة: ٥١٧/٣، ٥١٨ .

(٢) مستدرك الحاكم: ٤ / ٥٠٣ ـ ٥٠٤، البرهان في علامات مهدي آخر الزمان، المتقي الهندي: ١٤٣/ح٦، عقد الدرر: ٨١ ـ ٨٢، معجم أحاديث الإمام المهدي (عليه السلام): ٤٤٩/١.

(٣) فتن ابن حماد ١: ٣١٤، الحاوي للفتاوي: ٢ / ٦٧، البرهان: ١١٨ ـ ١١٩ ح٢٢.

(٤) غيبة النعماني: ٣٢٨ ح٧، ٨ ، إثبات الهداة ٣: ٥٤٠/٥٤٧.

(٥) بحار الأنوار: ٥٢ / ٣٠٨، إثبات الهداة ٣: ٤٩٣ ح٢٤٥، ص٥٢٧ ح ٤٣٠، ص٥٨٣ ح ٧٧٤.

(٦) تفسير الطبري، ١٠ : ٢٨٦، مسند أحمد ٦: ٢٥٩ / ٢٦٢٧٠ وما بعدها، صحيح مسلم ٤: ٢٢١٠ ح٢٨٨٤/، ←

وينشر راية رسول الله(صلى الله عليه وآله) المذخورة عنده في نجف الكوفة[١]. وتنصره الملائكة التي نصرت جده رسول الله(صلى الله عليه وآله) في معركة بدر[٢]. وتذكر الأحاديث الشريفة أنه يواجه وأصحابه وجيشه صعوبات شديدة وتعباً في بداية تحركه العسكري[٣] وحروبه التي تستمر ثمانية أشهر[٤] لتصفية الجبهة الداخلية فيما تستمر ملاحمه عشرين عاماً[٥].

ويُلاحظ هنا أن المسير الذي يختاره(عليه السلام) هو المسير الذي اختاره جده الإمام الحسين (عليه السلام) في نهضته الإستشهادية من مكة الىٰ الكوفة، التي مُنع جده سيد الشهداء عن الوصول إليها فيصل سليله المهدي(عليه السلام) إليها ويحقق الأهداف الإصلاحية في الأُمّة المحمدية التي سعىٰ لها جدّه سيد الشهداء (عليه السلام).

وعندما يدخل الكوفة يجد فيها ثلاث رايات تضطرب[٦] فيوحدها وينهي اضطرابها بنشره للراية المحمدية المذخورة وينهي جيوب النفاق المتبقية فيها في معركته مع الفرقة التي تصفها الأحاديث الشريفة بالبترية[٧].

← سنن أبي داود ٢: ٤٢٨٦/٥١٠، سنن ابن ماجة ٢: ١٣٥١ / ٤٠٦٤، سنن الترمذي ٤: ٢١٨٤/٤٧٨، تاريخ البخاري: ٥ / ١١٨، سنن النسائي ٥: ٢٨٧٧/٢٠٦. وأحاديث الخسف بجيش السفياني كثيرة مروية في الصحاح وغيرها ومن طرق أهل البيت(عليهم السلام) أيضاً.

(١) تفسير العياشي ١: ١٠٣ ح٣٠٢، غيبة النعماني: ٣٢١ ح٣، كمال الدين: ٦٧٢/ ح٢٢، ٢٣.

(٢) تفسير العياشي: ١ / ١٩٧ ح١٣٢، إثبات الهداة: ٣ / ٥٤٩ ح٥٥٣.

(٣) غيبة النعماني: ٣٠٧ ح١، بحار الأنوار ٥٢: ١٣١/٣٦٢.

(٤) الملاحم والفتن، ابن حمّاد: ٢٧٩، عقد الدرر: ١٠٨ .

(٥) إثبات الهداة: ٣ / ٤٦٩ ح١٣٤ .

(٦) الارشاد ٢: ٣٨٠، غيبة الطوسي: ٤٦٨ ح٤٨٥.

(٧) دلائل الإمامة: ٤٥٥ ح٤٣٥، غيبة الطوسي: ٤٩٦/٤٧٤.

دخوله بيت المقدس ونزول عيسىٰ (عليه السلام)

تنصّ الكثير من الروايات علىٰ دخوله (عليه السلام) بيت المقدس بجيشه ضمن إطار حادثة مهمة للغاية، هي نزول نبي الله عيسىٰ بن مريم المسيح (عليه السلام) الذي بشرت بعودته نصوص الإنجيل إضافة الىٰ الأحاديث الشريفة المرويّة في الكتب الروائية الموثّقة عند أهل السنّة والشيعة[1]. وتذكر الأحاديث الشريفة قصة صلاة عيسىٰ صلاة الفجر خلف الإمام المهدي (عليه السلام) بعد أن يرفض عرض الإمام بأنّ يتقدم عيسىٰ لإمامة الصلاة معللاً الرفض بأنّ هذه الصلاة أُقيمت لأجل الإمام المهدي فيقدّمه ويصلّي خلفه إشارة الىٰ خاتمية الرسالة المحمدية، وفي ذلك نصرة مهمة للثورة المهدوية حيث توجّهها للعالم الغربي الذي يدين معظمه بالمسيحية.

ويظهر أنّ دخول المهدي ـ عجل الله فرجه ـ يكون بعد تحريرها من الإفساد اليهودي وإنهاء حاكميتهم عليها. لذا قد يكون من الممكن القول بأنّ دخول الإمام بيت المقدس يكون بعد تصفيته الجبهة الداخلية ومقدمة لمواجهة الأعداء خارج العالم الإسلامي أو الروم حسب تعبير الروايات وفتح كلّ الأرض. من هنا نفهم سر توقيت نزول عيسىٰ المسيح مع دخول المهدى (عليه السلام) بيت المقدس.

قتل الدجّال وإنهاء حاكمية الحضارات المادية

إنّ معظم الأحاديث الشريفة التي تتحدث عن نزول عيسىٰ (عليه السلام) تذكر

(١) صحيح البخاري ٣: ١٢٧٢ /٣٢٦٥، صحيح مسلم ١: ١٣٥ / ١٥٥، سنن ابن ماجة ٢: ١٣٥٦ / ٤٠٧٥، مسند أحمد بن حنبل ٢: ٣٣٦ / ٨٤١٢، وغيرهاكثير مروية من طرق الفريقين.

قيامه بكسر الصليب ورجوع النصارىٰ عن تأليهه[١] ثم قتل الدجّال ـ الذي هو رمز الحضارات المادية ـ علىٰ يديه أو علىٰ يدي الإمام المهدي بمعونته(عليهما السلام).

ومع رجوع النصارىٰ عن تأليه عيسىٰ(عليه السلام) ومشاهدتهم لمناصرة نبيهم لخاتم أئمة الإسلام المعصومين تتفتح أبواب دخولهم الإسلام ـ وهم النسبة الأكبر من سكان الأرض ـ بيسر، ونتيجة لذلك تتيسر مهمة قتل الدجّال والقضاء علىٰ الحضارات الطاغوتية وفتح الأرض وإقامة الدولة الإسلامية العالمية العادلة وبدء عملية البناء الإصلاحي وتحقيق أهداف الأنبياء(عليهم السلام).

هذه ـ علىٰ نحو الإيجاز ـ المحطات الرئيسة لتحرك الإمام المهدي ـ عجل الله فرجه ـ بعد ظهوره، وكلّ منها يشتمل علىٰ تفصيلات كثيرة لا يسع المجال لذكرها. لذا ننتقل للحديث ـ وبالإيجاز نفسه ـ عن سيرته بعد ظهوره في أبرز مجالاتها ثم عن خصائص عهده.

سيرته سيرة جدّه رسول الله(صلى الله عليه وآله)

تنصّ الأحاديث الشريفة أنه(عليه السلام) يسير بسيرة جده(صلى الله عليه وآله) الذي قال: «**بُعثت بين جاهليتين لأُخراهما شر من أولاهما**»[٢]، وبيّن لأُمته الكثير من مظاهر الجاهلية الثانية الأشد شراً، فالمهدي: «**يصنع كما صنع رسول الله(صلى الله عليه وآله)، يهدم ما كان قبله كما هدم رسول الله(صلى الله عليه وآله) أمر الجاهلية ويستأنف الإسلام جديداً**»[٣] وقد تحدّث

---

(١) صحيح البخاري ٢: ٢١٠٩/٧٧٤، ٢: ٨٧٥ / ٢٣٤٤، ٣: ١٢٧٢ / ٣٢٦٤، صحيح مسلم ١: ١٥٥/١٣٥، سنن الترمذي ٤: ٥٠٦ / ٢٢٣٣، سنن ابن ماجة ٢: ١٣٦٣ / ٤٠٧٨.

(٢) معجم أحاديث الإمام المهدي، الكوراني: ٤٤ نقله عن أمالي الشجري ٢: ٢٧٧.

(٣) غيبة النعماني ٢٣٦ /ح١٣، عقد الدرر للمقدسي الشافعي: ١٦٠، إثبات الهداة ٣: ٤٩٩/٥٣٩.

النبيّ(صلى الله عليه وآله) عن غربة الإسلام بعده ونقل عنه المسلمون ذلك[١].

فالمهدي يهدم الجاهلية الثانية كما هدم جده(صلى الله عليه وآله) الجاهلية الأُولى، ويستأنف الإسلام الذي عاد غريباً كما بدأ غريباً. ولكن ثمة فروقاً بين السيرتين تفرضهما بعض الخصوصيات الزمانية لكلّ منها. وهذه الخصوصيات الزمانية هي التي تفسّر الفروق في سيرتيهما(عليهما السلام) كما سنلاحظ بعضها في سياساته العسكرية والقضائية والإدارية والدينية وغيرها. ولهذا فلا يضر ذلك بحقيقة أن سيرتيهما ـ صلوات الله عليهما ـ واحدة.

إحياء السنّة وآثار النبيّ(صلى الله عليه وآله)

تقوم حركة المهدي الإصلاحية الكبرىٰ علىٰ أساس إحياء السنّة المحمدية وإقامتها التي يكون بها قوام كلّ القيم الإسلامية فهو كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «**رجل من عترتي يُقاتل علىٰ سنتي كما قاتلت أنا على الوحي**»[٢] وهو «**يقفو أثري لا يُخطئ**»[٣] وهو «**رجل منّي اسمه كاسمي يحفظني الله فيه ويعمل بسنتي**»[٤]، فهو «**يبين آثار النبيّ**»[٥]، ويدعو الناس الىٰ سنة رسول الله(صلى الله عليه وآله). فهو مجددها كما أنه مجدد الإسلام ويظهر ماخفي وأُخفي منها. وقد سمي «المهدي» لأنه يهدي الناس الىٰ «أمر قد دُثر وضل عنه الجمهور»[٦].

---

(١) مسند أحمد ١: ٣٧٨٤/٣٩٨، صحيح مسلم ١: ١٤٦/١٣١، سنن ابن ماجة ٢: ١٣٢٠ / ٣٩٨٧، الترمذي ٥: ٢٦٢٩/١٨.

(٢) فتن ابن حماد ١: ٣٧١، القول المختصر لابن حجر: ٤٠، البرهان في علامات مهدي آخر الزمان المتقي: ٩٥/ ح ٢١.

(٣) ينابيع المودّة، القندوزي ٣: ٣٤٥.

(٤) علل الشرائع، الصدوق ١: ٣/١٦١، إثبات الهداة: ٣/ ٤٩٨ / ح ٢٦٩.

(٥) الغيبة، النعماني: ٦٨، بحار الأنوار ٥٢: ٩٧/٣٤٧.

(٦) فتن ابن حماد ١: ٣٥٥، عقد الدرر: ٣٢، الإرشاد للمفيد ٢: ٣٨٣، تاج المواليد، الطبرسي: ٧٦.

شدّته مع نفسه ورأفته بأُمته

إنّ سيرة الإمام المهدي(عليه السلام) مع نفسه وأُمته تجسد صورة الحاكم الإسلامي المثالي الذي تكون السلطة عنده وسيلة لخدمة الناس وهدايتهم لا مصدراً للدخل الوفير والظلم والاستئثار بالأموال واستعباد الناس، فهو يحيي صورة الحاكم الإسلامي التي جسدها من قبل ـ وبأسمىٰ صورها ـ أبواه، رسول الله ووصيه الإمام عليّ ـ صلوات الله عليهما وآلهما ـ. فهو مع نفسه: «مالباسه إلّا الغليظ وما طعامه إلّا الشعير الجشب»[1] وهو الذي «يكون من الله علىٰ حذر ولا يغتر بقرينة، لا يضع حجراً علىٰ حجر، ولا يقرع أحداً في ولايته بسوط إلّا في حدّ»[2]، أما مع أُمته فهو «الرؤوف الرحيم» بهم وهو الموصوف بأنه «المهدي كأنما يلعق المساكين الزُّبد»[3]، وهو الصدر الرحب الذي تجد فيه الأُمّة ملاذها المنقذ فهي: «تأوي إليه أُمته كما تأوي النحلة الىٰ يعسوبها»[4] أو «كما تأوي النحل الىٰ بيوتها»[5].

سيرته القضائية

والمهدي الموعود ـ عجل الله فرجه ـ هو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً كما تواترت بذلك الأحاديث النبوية، وإنجاز هذه المهمة يحتاج الىٰ سيرة قضائية صارمة، لذلك فهو يجسد سيرة جده الإمام

(١) كتاب الغيبة النعماني: ٢٣٩، ح٢١، الغيبة، الطوسي: ٤٦٠ ح٤٧٣، إثبات الهداة: ٣ / ٥١٥/ ٣٦٠.
(٢) ملاحم ابن طاووس: ٢٦٥.
(٣) فتن ابن حماد ١: ٣٥٦، عقد الدرر: ١٦٠.
(٤) ابن حماد ١: ٣٥٨، الحاوي للسيوطي: ٢ / ٧٧.
(٥) البرهان في علامات مهدي آخر الزمان المتقي الهندي: ٧٨/ ح١٩.

عليّ(عليه السلام) الشديدة في تتبع حقوق الناس المغصوبة وأخذها من الغاصب حتىٰ لو كانت مخبأة تحت ضرس وحتىٰ لو تزوج بها الحرائر، و: «يبلغ من ردّ المهدي المظالم، حتىٰ لو كان تحت ضرس إنسان شيء انتزعه حتىٰ يرده»[١]. فيبلغ من عدله أن «تتمنىٰ الأحياء الأموات»[٢] أي يتمنوا عودة الأموات لينعموا ببركات عدله.

وتذكر مجموعة من الأحاديث الشريفة أنه(عليه السلام) يحكم بحكم سليمان وداود في قضائه؛ أي بالعلم «اللدني» دون الإحتجاج بالبينة[٣]، ولعل ذلك انطلاقاً من مهمته في إقرار العدل الحقيقي دون الظاهري الذي قد تقرّه البينة الظاهرية وإن كان خلاف العدل الحقيقي وهذه حقيقة معروفة وقد شهدها التاريخ الإسلامي والإنساني ويشهد التاريخ المعاصر الكثير من مصاديقها حيث يُؤدي الالتزام بالبينات الظاهرية الىٰ غياب العدل الحقيقي وإن أقرت العدل الظاهري. وعلىٰ أي حال. فهذه من خصوصيات عهده(عليه السلام) وهي تنسجم مع طبيعة الأوضاع العامة لهذا العهد.

سيرته تجاه الأديان والمذاهب

يزيل الإمام المهدي الموعود ـ عجل الله فرجه ـ مظاهر الشرك كافة ويروج التوحيد الخالص: «ولا يبقىٰ في الأرض بقعة عبد فيها غير الله إلّا عُبد الله فيها ويكون الدين كله لله ولو كره المشركون»[٤]، ويقوم(عليه السلام) بعرض الإيمان علىٰ الجميع وينهي الحالة المذهبية فيوحد المذاهب الإسلامية

---

(١) ابن حماد ١: ٣٥٥، الحاوي: ٢ / ٨٣، القول المختصر: ٢٥، عقد الدرر: ٢٩.

(٢) ابن حماد ١: ٣٥٨، القول المختصر: ٣٢.

(٣) الكافي: ١ / ٣٩٧كتاب الغيبة، النعماني: ٣٢٩ / ح٧، إثبات الهداة: ٣/ ٤١/٤٤٧.

(٤) كمال الدين، الصدوق: ٣٤٥ ـ ٣٤٦ ح٣١، بحار الأنوار ٥١: ١٤/١٤٦.

ويصلح الله به أمر الأُمّة ويرفع اختلافها ويؤلّف قلوبها[(١)] على أساس السنّة النبوية النقية وما أُخفي أو ضيّع من قيم الإسلام الأصيلة. فهو كما قال جدّه (صلى الله عليه وآله): «سنته سنتي يقيم الناس على ملتي وشريعتي»[(٢)].

ويُستفاد من بعض الروايات أنه(عليه السلام) يقوم بإخراج التوارة والإنجيل غير المحرّفين من غار بأنطاكية ويحاجج اليهود والنصارى بهما ويستخرج حُلي بيت المقدس ومائدة سليمان ويردها الى بيت المقدس[(٣)]، ويدعمه في موقفه هذا عيسى(عليه السلام) الذي «يحتج به على نصارى الروم والصين»[(٤)] حيث يرفض وفود اليهود والنصارى بعد نزوله عندما يأتونه مدّعين أنهم أصحابه فيردهم ويصرّح بأنّ أصحابه هم المسلمون فينضم الى مجمع المهدي(عليه السلام) الأمر الذي يؤدي الى رجوع النصارى عن تأليهه كما يقوم بأداء فريضة الحجّ الى البيت الحرام[(٥)] ويُدفن الى جنب رسول الله(صلى الله عليه وآله)[(٦)].

وتذكر بعض الروايات أنّ المهدي(عليه السلام) يخرج التوراة الأصلية من جبال بالشام ويحاجج اليهود بها فيسلم منهم جماعة كثيرة[(٧)] ثم يستخرج تابوت السكينة من بحيرة طبرية ويُوضع بين يديه في بيت المقدس فيسلم اليهود ولا يبقى على العناد إلّا القليل منهم[(٨)].

---

(١) ابن حماد ١: ٣٧٠، الطبراني الأوسط ١: ١٥٧/٥٦، عقد الدرر: ١٠٣.

(٢) كمال الدين: ٤١١/ ح٦.

(٣) ابن حماد ١: ٣٥٥، ٢: ٤٨٥، الحاوي للسيوطي: ٢/ ٧٥، لوائح السفاريني: ٢/ ٢ تاريخ بغداد: ٩/ ٤٧١، عقد الدرر: ١٤٠ ـ ١٤١ وذكر أن الإمام أبو عمر والمقري أخرجه في سننه، تذكرة الحفّاظ للذهبي: ٢، ٧٦٥، تفسير الطبري ٨: ٢٠ .

(٤) غيبة النعماني: ١٤٨ ـ ١٤٩ ح ٤.

(٥) مسند أحمد ٢: ٧٢٧١/٢٤٠، صحيح مسلم ٢: ١٢٥٢/٩١٥، المصنف للصنعاني ١١: ٢٠٨٤٢/٤٠٠.

(٦) تاريخ البخاري: ١ / ٢٦٢، الترمذي: ٥/ ٥٨٨ / ٣٦١٧، فتن ابن حماد ٢: ٥٨٠.

(٧) الفتن لابن حماد ١: ٣٥٧، ينابيع المودّة للقندوزي: ٣٤٤/٣ .

(٨) الفتن لابن حماد ١: ٣٦٠، عقد الدرر: ١٤٧، القول المختصر: ٦٦.

محاربة البدع ونفي تحريف الغالين والمبطلين

وينفي الإمام المهدي ـ عجل الله فرجه ـ عن الدين التحريفات بصورة كاملة ويزيل كلّ البدع التي ورثها المسلمون من قرون الابتعاد عن الثقلين والسنّة النبوية النقية وتعطيلها وهذا هو هدف ظهوره : «**ليمحو الله به البدع كلها ويميتُ به الفتن كلها، يفتح الله به كلّ باب حقّ، ويُغلق به كل باب باطل**»(١).

وهذا أوّل مايبدأ به(عليه السلام)، فتذكر الأحاديث الشريفة من مصاديقه هدم المقاصير التي ابتدعها بنو أمية في المساجد لعزل الإمام عن المأمومين(٢)، ويعيد مقام إبراهيم(عليه السلام) الىٰ موضعه الأصلي(٣) ويزيل عن المساجد كلّ ما أُبتدع فيها ويعيدها الىٰ السنة الإسلامية الأولىٰ والطريقة المحمدية(٤).

سيرته الادارية

ويختار المهدي الموعود ـ عجل الله فرجه ـ لحكم الأرض ولاةً هم خيرة أصحابه الذين يتحلّون بأعلىٰ كفاءات الوالي الإسلامي من العلم والفقه والشجاعة والنزاهة والإخلاص(٥)، وهو مع ذلك متابع لأُمورهم وطريقة قيامهم بمهامهم ويحاسبهم بشدة فإن علامة المهدي أن يكون شديداً علىٰ العمال جواداً بالمال رحيماً بالمساكين، وفي عهده يُزاد المحسن في إحسانه

---

(١) ملاحم السيّد ابن طاووس: ٢٦٥.
(٢) الغيبة، الطوسي: ٢٠٧ ح١٧٥، الخرائج والجرائح، الراوندي ١: ٤٥٣ / ٣٩.
(٣) الإرشاد، المفيد ٢: ٣٨٣، الغيبة، الطوسي: ٤٧٢ ح٤٩٢.
(٤) الغيبة، الطوسي: ٤٧٥/٤٩٨، تاج المواليد (المجموعة النفيسة) الطبرسي: ٧٦.
(٥) كمال الدين، الصدوق: ٦٧٢ ـ ٦٧٣ ح٢٥، إثبات الهداة ٣: ٤٩٤ / ٢٤٧.

ويُتاب علىٰ المسيء[١].

وهو(عليه السلام) شديد مع المتاجرين بالدين والمقدسات الإسلامية الساعين لإضلال الناس، يردعهم عن ذلك، وممّا يقوم به في بدايات ظهوره هو قطع أيدي سدنة الكعبة بسبب ذلك ويفضحهم أمام الناس لكي لا ينخدعوا بهم؛ إذ هم «سراق الله»[٢].

سيرته الجهادية

ويقوم الإمام المنتظر ـ عجل الله فرجه ـ بالسيف، فظهوره يكون بعد إتمام الحجّة البالغة وإتضاح الحقائق بالكامل وفتح أبواب الحقّ وإغلاق الباطل ووقوع المعجزات والكرامات المبرهنة علىٰ تمتعه بالتأييد الإلهي ونصرة الملائكة البدريين له وامتلاكه قميص يوسف وعصا موسىٰ وتابوت السكينة وخاتم سليمان ودرع رسول الله(صلى الله عليه وآله) وسيفه ورايته وسائر مواريث الأنبياء(عليهم السلام) وإظهاره لها[٣] وإتضاح تمثيله الصادق لمنهجهم وسعيه لتحقيق أهدافهم الإلهية وإقرار العدالة السماوية. ومع اتضاح كلّ ذلك لا يبقىٰ علىٰ الباطل إلّا المنحرفون المفسدون الذين لا يُرجىٰ منهم إلّا الفساد والأذىٰ والظلم الذي يجب أن تُطهر منه الدولة المهدوية، لذلك نلاحظ في سيرة الإمام الجهادية الصارمة والحزم والحدية في التعامل مع الظالمين والمنحرفين فلا يبقىٰ علىٰ الأرض منهم ديّار ولا يسمح لهم

(١) مسند ابن أبي شيبة ٧: ٥١٤، حاوي السيوطي: ٧٧/٢، الفتن لابن حماد ١: ٣٥٩.

(٢) الكافي ٤: ٤/٢٤٣، علل الشرائع، الصدوق ٢: ٥/٤١٠.

(٣) إثبات الهداة ٣: ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٧٨، ٤٨٧، ٤٩٤، وراجع عقد الدرر: ١٠٨ ـ ١٠٩، الفصول المهمة: ٢٩٨، كفاية الأثر: ١٤٧، ابن حماد: ٩٨، القول المختصر: ٦٦، البرهان في مهدي آخر الزمان، المتقي: ١٥٢/ ح ٢٤.

بالنشاط الإفسادي.

علىٰ أنّ الأحاديث الشريفة تصرّح بأنّ المهدي المنتظر ـ عجل الله فرجه ـ يسير بسيرة أبويه رسول الله ووصيه الإمام عليّ ـ صلوات الله عليهما وآلهما ـ في مجاهدة المنحرفين والمبطلين فلا يبدأ القتال إلّا بعد عرض الإيمان والدين الحقّ عليهم(١) ومحاججتهم بما ألزموا به أنفسهم كما رأينا في قضية إخراجه التوراة والإنجيل وهذه قضية أُخرىٰ مهمة في سيرته الجهادية (عليه السلام).

ويُستفاد من الروايات الشريفة أنّ من سيرته الجهادية تصفية الجبهة الداخلية وهي جبهة العالم الإسلامي من التيارات المحاربة المنحرفة أوّلاً قبل البدء بمجاهدة القوىٰ الأجنبية، فينهي حركة السفياني ونفوذ البترية والمتأولة الجاهلين والنواصب المضلين المعاندين(٢) ويعقد لأجل ذلك هدنة مع الروم قبل أن يتوجه لمجاهدة اليهود ثم الروم وقتل الدجّال وفتح الأرض كلّها. بل ويعمد قبل البدء بتصفية الجبهة الداخلية بتنظيم صفوف جيشه ويعيّن القادة العسكريين الأكفاء ويعقد لهم الألوية ويذهب بالعاهات والضعف عن أنصاره ويقوّي قلوبهم(٣) ويملأها إيماناً بالحقّ الذي يجاهدون من أجله ويبتليهم ويمحصهم(٤)، لكي يتحرك لإنجاز مهمته الإصلاحية الكبرىٰ بجيش عقائدي قوي ومنسجم يتحلىٰ بالكفاءة القتالية المطلوبة والقوة المعنوية اللازمة.

---

(١) الكافي: ٨/ ٢٢٧ ح٢٨٨، وعنه في إثبات الهداة: ٣/ ٤٥٠/ ح٥٨ .

(٢) الإرشاد: ٣٨٤/٢ وعنه في بحار الأنوار ٥٢: ٨١/٣٣٨ وعنه في إثبات الهداة: ٥٤٤/٣ .

(٣) إثبات الهداة ٣: ٢٤٩/٤٩٤، ٢٤٧، ٢٤٨ .

(٤) الكافي: ٨/ ١٦٧ ح١٨٥، كمال الدين: ٦٧٢ ـ ٦٧٣.

سيرته المالية

يعيد المهدي الموعود ـ عجل الله فرجه ـ نظام «التسوية في العطاء»[١] الذي كان سائداً علىٰ عهد رسول الله(صلى الله عليه وآله) ثم غيّر وبُدّل من بعده وأُبتدعت بدله معايير جديدة أحدثت نظام التفاضل الطبقي بالتدريج بالرغم من التزام الوصي الإمام عليّ(عليه السلام) إبان خلافته بنظام التسوية في العطاء وتابعه علىٰ ذلك ابنه الحسن(عليه السلام) في شهور خلافته القليلة لكنه قد غاب بالكامل بعد استشهادهما، وبدأ بنو أمية بالاستئثار بأموال المسلمين وتقييد العطاء من بيت المال بمصالحهم السياسية وتحويله من عطاءٍ شرعي الىٰ رشاوٍ مقيتةٍ يستجلبون بها الأنصار لهم علىٰ الباطل أو يشترون به سكوت البعض عن الحقّ.

والمهدي المنتظر(عليه السلام) يجعل بيت المال قسمة مشتركة بين المسلمين دونما تفاضل أو تمييز، فالجميع متساوون في الانتفاع من النعم الإلهية والخدمات المستثمرة من الأموال العامة، تطبيقاً لأحد أبعاد العدالة المحمدية المكلّف بإقرارها. وتصرح الأحاديث الشريفة بأنه ينهي الحالة الاقطاعية حسب النصّ القائل: «**إذا قام قائمنا اضمحلت القطائع فلا قطائع**»[٢]، والمقصود بها الأراضي الزراعية أو غيرها من الثروات والمنافع التي يعطيها الحكام للمقرّبين منهم وقد راجت هذه الظاهرة بعد وفاة رسول الله(صلى الله عليه وآله) وخاصة في عهد الخليفة الثالث وفي العصر الأُموي بشكل خاص.

---

(١) مسند أحمد ٣: ١١٣٤٤/٣٧، مستدرك الحاكم ٤: ٨٦٧٣/٦٠١، الصواعق المحرقة ٢: ٤٧٩، مجمع الزوائد، الهيثمي ٧: ١٢٣٩٣/٦١٠.

(٢) قرب الإسناد للحميري: ٨٠ ح ٢٦٠، وعنه المجلسي في بحار الأنوار ٥٢: ١/٣٠٩.

وتتحدث الكثير من الأحاديث عن كثرة عطائه(عليه السلام) وتعتبرها علامة مميزة له فهو: «**يحثو المال حثواً**»[(١)] عندما يُعطي من سأله، وهذا وإن كان يشير الىٰ كرمه وكثرة الخيرات والبركات في عصره إلّا أنها تفصح عن نقطة مهمة أُخرىٰ في سيرته الاقتصادية(عليه السلام) وهي سيرة إغناء الناس بما يكفيهم ويغنيهم ويجعلهم في رفاهيّة من العيش بحيث يتفرّغوا الىٰ الطاعات والعبادة والعمل الإصلاحي الفردي والاجتماعي.

وعليه يتضح أنّ سيرته في المجال المالي ترتبط بمهمته الإصلاحية وإقامة المجتمع التوحيدي الخالص في تعبده لله تبارك وتعالىٰ فالمراد منها توفير متطلبات ذلك وإزالة العقبات الصادة عنه.

الصورة العامة للدولة المهدوية في النصوص الشرعية

ونصل الآن الىٰ خاتمة هذا الفصل فنعرض فيها علىٰ نحو الإجمال أيضاً الصورة التي ترسمها النصوص الشرعية لدولة المهدي الموعود، عجل الله فرجه .

إنّ الدولة المهدوية إنّما تأتي لتحسم عصر المعاناة الذي عاشته البشرية طويلاً وتنهي الظلم والجور الذي ملأ الأرض نتيجة لحكم الطواغيت وحاكمية الأهواء والشهوات والنزعات المادية وبظهور الإمام المهدي المنتظر على مدى القرون. يفرج الله عن الأُمّة «**فطوبىٰ لمن أدرك زمانه**»[(٢)]. فالله تبارك وتعالىٰ يحقق للأُمّة المسلمة؛ ولبني الإنسان عامة؛ كلّ الطموحات

(١) مسند أحمد ٣: ١٤٤٤٦/٣١٧، صحيح مسلم ٤: ٢٩١٤/٢٢٣٥.

(٢) الغيبة، الطوسي: ١٨٧ ح١٤٦،كمال الدين، الصدوق: ٦٤٧ ح٨، الإحتجاج، الطبرسي ٢: ١١، إثبات الهداة: ٣ / ٥٠٤ ح٣٠٢،كتاب الغيبة، النعماني: ٩٢ ح٢١، ٢٨٤ ح٥٥.

الفـطرية السـليمة، ويـزيل الشـرك ويـقيم المـجتمع المـوحّد العـابد الآمـر بالمعروف والناهي عن المنكر والمسارع للخيرات السائر في منازل الكمال ومعارج النور.

وتخرج الأرض بركاتها وكذلك السماء، وما يحصل عليه الناس ليس هو الغنىٰ المادي فحسب بل هو «الاستغناء» حيث «**يملأ الله قلوب أُمة محمّد(صلى الله عليه وآله) غنىً ويسعهم عـدله**»[١] أي يحرّرهم من أسـر المـتطلبات والحـاجات المـادية المعيشية المحدودة، فالمهدي المنتظر الذي يحرر المسلمين من ذل التـبعية للضالّين والمنحرفين، كما صـرّح بـه النـص القـائل: «**وبـه يـخرج ذل الرق مـن أعناقكم**»[٢]؛ يحرر البشرية من ذل الحياة البهيمية والخضوع لأسر الشهوات ويفتح أمام الإنسان جميع أبواب التكامل والرقي المعنوي والتكامل الروحي فيشهد عصره تطوراً فكرياً وروحياً عالياً كما يشير لذلك الإمـام البـاقر(عليه السلام) حيث يقول: «**إذا قام قائمنا وضع الله يده علىٰ رؤوس العباد، فجمع بها عقولهم وكملت به أحلامهم**»[٣]، ومـما يسـاعد عـلىٰ ذلك ـ إضـافةً الىٰ العـامل المـهم والرئـيس المتقدم ـ عامل ثانوي هو التطور الهائل الذي يشهده عصره خاصةً في مجال الاتصالات والذي نرىٰ بوادره اليوم طبق القوانين العلمية أيـضاً كـما يشـير الىٰ ذلك الإمام الصادق(عليه السلام) بقوله: «**إنّ قائمنا إذا قام مدَّ الله عزّ وجـلّ لشـيعتنا فـي أسماعهم وأبصارهم حتىٰ لا يكون بينهم وبين القائم بريد؛ يكلّمهم فيسمعون وينظرون إليه وهو في مكانه**»[٤]، ولعل ذلك يكون بوسائل غـيبية تـمكّنهم مـنها المـراتب

---

(١) مسند أحمد ٣: ١١٣٤٤/٣٧، الدر المنثور، السيوطي ٧: ٤٨٣، الصواعق المحرقة ٢: ٤٧٩.

(٢) الغيبة للطوسي: ١٨٥، ح ١٤٤.

(٣) إثبات الهداة: ٣ / ٤٤٨، الكافي: ١ / ٢٥ ح ٢١، كمال الدين: ٦٧٥/ ح ٣٠.

(٤) الكافي ٨: ٣٢٩/٢٤٠، الخرائج والجرائح ٢: ٥٨/٨٤٠، إثبات الهداة: ٣/ ٤٥٠ ـ ٤٥١ ح ٥٩.

الروحية السامية التي يصلون إليها وإن كان ذلك قد أصبح ممكناً بدرجةٍ محدودة اليوم أيضاً عبر وسائل الاتصال الحديثة المتطورة، ولكن من المؤكد ـ استناداً للأحاديث الشريفة ـ أنّ الكثير من الحقائق والقضايا الغيبية تظهر في عصر الدولة المهدوية ويحظىٰ الكثير من المؤمنين بمراتب عالية من معرفة أسرار الغيب وعلم الكتاب وتجاوز الأسباب والقوانين الطبيعية والكثير من الظواهر التي نعتبرها اليوم من المعجزات غير المألوفة[1].

ومع توفير الدولة المهدوية لجميع عوامل التكامل المادي والروحي يقام المجتمع الموحّد الذي يعبد الله تبارك وتعالىٰ بإخلاص فتسود العلاقات الإيمانية المحضة وتحكمه قيم من قبيل البراءة ممن **«كان بالرهن أوثق منه بأخيه المؤمن»** ومثل أن **«ربح المؤمن علىٰ المؤمن ربا»**[2] فحتّى العمل التجاري يكون يومئذٍ عبادة خالصة لله عزّ وجلّ إذ يكون بهدف خدمة عباد الله فقط.

يقول الإمام عليّ(عليه السلام) ضمن حديث في وصف جامع لدولة الإمام المهدي العالمية: **«... يؤيده الله بملائكته ويعصم أنصاره وينصره بآياته ويظهره علىٰ أهل الأرض حتىٰ يدينوا طوعاً وكرهاً، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً ونوراً وبرهاناً، يدين له عرض البلاد وطولها لا يبقىٰ كافرٌ إلّا آمن به ولا طالح إلّا صلح ويصطلح في ملكه السباع وتخرج الأرض نبتها وتنزل السماء بركتها وتظهر له الكنوز، يملك مابين الخافقين أربعين عاماً، فطوبىٰ لمن أدرك أيامه وسمع كلامه»**[3]، أجل في ظل دولة المهدي المنتظر ـ عجل الله فرجه ـ يتضح للعالمين أن صلاح البشرية وخيرها وتكاملها المادّي

(١) راجع كمال الدين : ٦٥٤/ ح ٢١، ٢٢، ٦٧٢، ٦٧٣ / ح ٢٤، ٢٥، ٢٦.

(٢) المحاسن، البرقي ١: ١٠١، الكافي ٥: ٢٢/١٥٤، ثواب الأعمال، الصدوق: ٢٣٩، تهذيب الأحكام: ٧/ ١٧٨ ح ٧٨٥ باب الرهون.

(٣) إثبات الهداة: ٣/ ٥٢٤ /ح ٤١٤، الإحتجاج، الطبرسي ٢: ١٠ ـ ١١.

والمعنوي إنما يتحقق في ظل رسالة السماء وعلىٰ أيدي أولياء الله المعصومين ـ سلام الله عليهم ـ وهذا ما يحققه الله تعالى علىٰ يد خاتمهم وخاتم الأئمة الاثني عشر الأوصياء أي المهدي الذي وعد الله به الأُمم : «**ولذلك يرضىٰ عنه ساكن الأرض وساكن السماء**» كما أخبر عن ذلك جدّه رسول الله(صلى الله عليه وآله)(١).

* * *

(١) مستدرك الحاكم ٢: ٥١٢ / ٨٤٣٨، فتن ابن حماد ١: ٣٤١، الصواعق المحرقة ٢: ٤٧٩.

الفَصلُ الثَّالِثُ

قبسات من تراث الإمام المهدي(عليه السلام)

من كلامه في التوحيد ونبذ الغلوّ

«إنّ الله تعالىٰ هو الذي خلق الأجسام وقسّم الارزاق، لأنه ليس بجسمٍ ولا حالّ في جسم، ليس كمثله شيء وهو السميع العليم، وأما الأئمة(عليهم السلام) فإنهم يسألون الله تعالىٰ فيخلق ويسألونه فيرزق إيجاباً لمسألتهم وإعظاماً لحقهم»(١).

في علة الخلق وبعث الأنبياء وتعيين الأوصياء

«يا هذا يرحمُك الله، إنَّ الله تعالىٰ لم يخلُقِ الخلقَ عبثاً، ولا أهملَهم سُدىً، بل خلقهُمْ بقُدرتِهِ وجَعَلَ لَهم أسماعاً وأبصاراً وقُلُوباً وألباباً، ثمَّ بعثَ إليهمُ النّبيّينَ(عليهم السلام) مُبشّرينَ ومُنذرينَ، يأمُرُونهم بطاعتهِ وينهونَهم عن معصيته، ويُعرِّفونَهُمْ ماجهلوهُ من أمرِ خالقهم ودينهم، وأنزلَ عليهم كتاباً وبَعَثَ إليهم ملائكةً، يأتينَ بينهُم وبينَ مَنْ بعثُهم إليهم بالفضلِ الّذي جعَلَهُ لَهُم عليهم، وما آتاهُم من الدَّلائلِ الظَّاهرةِ والبراهينِ الباهرةِ والآياتِ الغالبةِ، فمنهم مَنْ جعلَ النَّارَ عليهِ برداً وسلاماً، واتّخذهُ خليلاً، ومنهم مَنْ كلَّمهُ تكليماً، وجعل عصاهُ ثُعباناً مُبيناً، ومنهُم من أحيىٰ الموتىٰ بإذنِ الله، وأبْرأ الأكمه والأبرص بإذن اللهِ، ومنهم مَنْ علّمهُ منطق الطَّيرِ وأُوتي مِن كُلِّ شيءٍ ثُمّ بعثَ مُحمّداً صلّىٰ اللهُ عليهِ وآلهِ رحمةً للعالَمينَ،

(١) غيبة الطوسي: ٢٤٨/٢٩٣، احتجاج الطبرسي ٢: ٢٨٤ ـ ٢٨٥، وعنه بحار الأنوار ٢٥: ٤/٣٢٩.

وتمّمَ به نعمَتَهُ، وخَتَمَ به أنبياءَه، وأرسلَهُ إلىٰ النَّاسِ كافَّةً، وأظهر مِن صدقِهِ ما أظهرَ، وبيَّنَ من آياته وعَلاماتِهِ مابيَّنَ، ثُمَّ قبضهُ صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآلهِ حميداً فقيداً سعيداً، وجَعَلَ الأمرَ بعدهُ إلىٰ أخيه وابن عمّه ووصيّه ووارثه عليّ بن أبي طالب(عليه السلام)، ثُمَّ إلىٰ الأوصياء من وُلدهِ واحداً واحداً، أحيىٰ بهم دينه، وأتمَّ بهم نورهُ، وجعَلَ بينهم وبين إخوانهم وبني عمِّهم والأدنَينَ فالأدنينَ من ذَوِي أرحامهم فُرقاناً بيّناً يُعرفُ به الحُجَّةُ من المحجُوج، والإمامُ من المأمُوم، بأنْ عصَمَهُم من الذُّنُوبِ، وبرَّأهُمْ من العُيُوبِ، وطهَّرهُم من الدَّنسِ، ونزَّههُمْ من اللّبسِ، وجعلهُم خزَّان علمهِ، ومُستودَعَ حكمته، وموضع سرِّه، وأيَّدهُم بالدَّلائل، ولولا ذلك لكانَ النَّاسُ علىٰ سواءٍ، ولادَّعىٰ أمْر الله عزَّ وجلَّ كُلُّ أحدٍ، ولما عُرفَ الحقُّ من الباطل، ولا العالمُ من الجاهلِ»[1].

في مقام الأئمة(عليهم السلام)

«الّذي يجبُ عليكُمْ ولكُمْ أن تقُولُوا إنَّا قُدوَةُ اللهِ وأئمَّةٌ، وخلَفاءُ اللهِ في أرضِهِ وأُمَناؤُهُ عَلَىٰ خلقِه، وحُجَجُهُ في بلادِهِ، نَعرفُ الحلالَ والحرامَ ونعرفُ تأويلَ الكتابِ وفَصلَ الخطابِ»[2].

في انتظام نظام الإمامة وعدم خلو الأرض من الحجّة

ومن رسالة له الىٰ سفيريه العمري وابنه: «وَفَّقكُما الله لطاعتهِ، وثبّتكما علىٰ دينهِ، وأسعدَكُما بمرضاته، انتهىٰ إلينا ماذكرتُما أن الميثمي أخبركُما عن الُمختارِ ومناظراته من لقي، واحتجاجه بأنَّه لا خلف غيرُ جعفر بن عليّ وتصديقه إيّاه وفهمتُ جميع ماكتبتما به ممّا قال أصحابُكما عنهُ، وأنا أعُوذُ بالله من العمىٰ بعد الجلاء، ومَن الضّلالَةِ بعد الهُدىٰ، ومن

(١) الغيبة للطوسي: ٢٨٨/٢٤٥، الإحتجاج للطبرسي ٢: ٢٨٠، بحار الأنوار: ٥٣/١٩٤/ ٢١.
(٢) تفسير العياشي: ١ / ١٦، وعنه بحار الأنوار ٨٩: ٥٨/٩٧.

مُوبقات الأعمال، ومُرديات الفتن، فإنَّهُ عزَّ وجلَّ يقولُ: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ ﴾(١) كيف يتساقُطون في الفتنة، ويتردّدُون في الحيرة، ويأخُذُونَ يميناً وشمالاً، فارقُوا دينهم، أم ارتابُوا، أم عاندوا الحقَّ، أم جهلُوا ما جاءت به الرّوايات الصّادقةُ والأخبارُ الصّحيحةُ، أو علمُوا ذلك فتناسوا، ما يعلمون أن الأرضَ لا تخلو من حُجّةٍ إمّا ظاهراً وإمّا مغْموراً.

أولم يعلموا انتظام أئمتهم بعد نبيهم(صلى الله عليه وآله) واحداً بعد واحد إلىٰ أنْ أفضىٰ الأمر بأمرِ الله عزّ وجلَّ إلىٰ الماضي يعني الحسن بن عليّ(عليهما السلام))ـ فقام مقام آبائه(عليهم السلام) يهدي إلىٰ الحقّ وإلىٰ طريق مُستقيمٍ، كانُوا نوراً ساطعاً، وشهاباً لامعاً، وقمراً زاهراً، ثُمَّ اختارَ اللهُ عزَّ وجلَّ له ما عندهُ فمضىٰ علىٰ منهاج آبائه(عليهم السلام) حَذْوَ النَّعل بالنَّعلِ علىٰ عهدٍ عهدهُ، ووصيّةٍ أوصىٰ بها إلىٰ وصيٍّ سترهُ الله عزّ وجلّ بأمره إلىٰ غايةٍ، وأخفىٰ مكانهُ بمشيئةٍ للقضاء السّابقِ والقدرِ النّافذ، وفينا موضعُهُ، ولنا فضلُهُ، ولو قدْ أذنَ اللهُ عزَّ وجلَّ فيما قدْ منعهُ عنهُ وأزال عنهُ ما قد جرىٰ به من حُكمِهِ لأراهُم الحقَّ ظاهراً بأحسنِ حليةٍ، وأبين دلالةٍ، وأوضح علامةٍ، ولأبانَ عن نفسهِ وقامَ بحُجّتهِ، ولكنَّ أقدار الله عزَّ وجلَّ لا تُغالبُ وإرادتهُ لا تُردُّ وتوفيقهُ لا يُسبقُ، فليدعُوا عنهمُ اتّباعَ الهوىٰ، وليُقيمُوا علىٰ أصلهمُ الّذي كانُوا عليهِ، ولا يبحثُوا عما سُتر عنهُم فيأثَموا، ولا يكشفُوا سترَ الله عزَّ وجلَّ فيندموا، وليعلموا أنَّ الحقَّ معنا وفينا، لا يقُولُ ذلكَ سوانَا إلّا كذَّابٌ مُفترٍ، ولا يدَّعيه غيرُنا إلّا ضالٌّ غويٌّ، فليقتصرُوا منّا علىٰ هذِهِ الجُملةِ دُونَ التَّفسيرِ، ويقنعُوا من ذلكَ بالتَّعريضِ دُونَ التَّصريحِ إن شاءَ الله»(٢).

تقوىٰ الله والنجاة من الفتن

يقول(عليه السلام) في رسالته الثانية للشيخ المفيد وهي من الرسائل التي صدرت

(١) العنكبوت (٢٩): ١ ـ ٢.

(٢) كمال الدين: ٥١٠ ـ ٤٢/٥١٢، الخرائج، الراوندي ٣: ٢٦/١١٠٩، بحار الأنوار: ١٩٠/٥٣/ ١٩.

عنه في غيبته الكبرىٰ: «... فلتكُنْ حرسَكَ اللهُ بعينهِ الّتي لا تنامُ أن تُقابل لذٰلكَ فتنةً تبسلُّ نُفُوسَ قومٍ حرثتْ باطلاً لاسترهاب المُبطلينَ ويبتهجُ لدمارها المُؤمنُونَ، ويحزنُ لذلكَ الُمجرمُونَ، وآيةُ حركَتِنا من هذهِ اللَّوثَة خادِثَةٌ بالحرَمِ المُعظَّم من رَجسٍ مُنافق مُذمّمٍ، مُستحلٍّ للدَّمِ الُمحرَّمِ، يعمدُ بكيدهِ أهل الإيمان ولا يبلُغُ بذلك غرضهُ من الظُّلمِ لهم والعُدوانِ، لأننا مِنْ ورَاءِ حفظِهِمْ بالدُّعاءِ الّذي لا يُحجبُ عن مَلِكِ الأرضِ والسَّماء، فلتطمئِنَّ بذلِكَ مِنْ أولِيائنا القُلُوبُ، ولْيَتَّقُوا بالكفايَةِ منهُ، وإنْ راعتهُمْ بهمُ الخُطُوبُ، والعاقبةُ بجميلِ صُنعِ اللهِ سُبحانَهُ تكُون حميدةً لهُمْ ما اجتنبُوا المنْهيَّ عنهُ مِنَ الذُّنُوبِ.

ونحنُ نعهدُ إليك أيُّها الوليُّ المخلصُ المجاهدُ فينا الظَّالمين أيّدَكَ الله بنصرهِ الّذي أيَّدَ به السَّلَفَ من أوليائِنا الصَّالحينَ، أنَّهُ مَنِ اتَّقَىٰ ربَّهُ من إخوانِكَ في الدِّين وأخرجَ ممّا علَيهِ إلىٰ مُستحقِّيهِ، كانَ آمناً مِنَ الفتنةِ المُبطلَةِ، ومِحَنِها المُظلمةِ الْمُضِلَّةِ ومَنْ بَخلَ مِنهُم بما أعارهُ اللهُ منْ نعمتهِ علَىٰ مَنْ أمرَهُ بصلَتِهِ، فإنَّه يكُونُ خاسراً بذلِكَ لأُولاَهُ وآخرَتِهِ، ولو أنَّ أشياعَنَا وَفَّقَهُمُ الله لِطاعَتهِ علَىٰ اجتِماعٍ منَ القُلُوبِ فِي الوَفاءِ بِالعهدِ علَيهِمْ لَمَا تأخَّرَ عنْهُمُ الُيمْنُ بلقائنا...»[1].

رعايته للمسلمين

«... فإنا نحيط علماً بأنبائكم ولا يعزب عنا شيء من أخباركم ومَعْرِفَتِنا بالذُّلِّ الَّذي أصابَكُمْ مُذْ جَنَحَ كَثيرٌ منكُمْ إلىٰ ماكانَ السَّلَفُ الصَّالحُ عنهُ شاسِعاً، ونَبذُوا العهدَ المأخُوذَ ورَاءَ ظُهُورِهِم كأنَّهُمْ لا يَعلمُونَ.

إنَّا غيرُ مُهمِلينَ لمُراعاتكُمْ، ولا ناسينَ لِذِكرِكُمْ، ولَولا ذلك لَنَزَلَ بكُمُ الّلأوَاءُ

(١) احتجاج الطبرسي ٢: ٣٢٤، وعنه بحار الأنوار ٥٣: ٨/٧٧.

واصطَلَمَكُمُ الأعدَاءُ فاتَّقُوا اللهَ جَلَّ جَلالُهُ وظاهِرُونا عَلَىٰ انتياشِكُمْ مِنْ فِتْنَةٍ قد أنافَتْ عَلَيْكُمْ يَهلِكُ فِيها مَنْ حُمَّ أَجَلُهُ ويُحْمَىٰ عَنْها مَنْ أدرَكَ أمَلَهُ، وهِيَ أَمارَةٌ لأُزُوفِ حَرَكَتِنا ومُباثَّتِكُمْ بِأمْرِنا وَنَهْيِنا، واللهُ مُتمُّ نُورِهِ ولوْ كَرِهَ المُشرِكُونَ»[1].

الاستعداد الدائم للظهور

فَلْيَعْمَلْ كُلُّ امْرِىءٍ مِنكُمْ بِمَا يَقرُبُ بِهِ من مَحَبَّتِنا، ويَتَجَنَّبُ ما يُدْنيهِ مِنْ كَراهَتِنا وسَخَطِنا فَإِنَّ أَمْرَنا بَغتَةٌ فُجاءَةٌ حِينَ لا تنْفَعُهُ تَوْبَةٌ وَلا يُنجِيهِ مِنْ عقابِنا نَدَمٌ علَىٰ حَوبةٍ واللهُ يُلْهِمُكُمُ الرُّشْدَ، ويَلْطُفُ لَكُمْ في التَّوفِيقِ بِرَحْمَتِهِ[2].

نماذج من أجوبته القصيرة

ومن أجوبته(عليه السلام) علىٰ أسئلة إسحاق بن يعقوب : «أما ماسألت عنه أرشدك الله وثبتك من أمر المنكرين لي من أهل بيتنا وبني عمّنا فأعلم أنه ليس بين الله عزّ وجلّ وبين أحد قرابة، ومَن أنكرني فليس منّي وسبيله سبيل ابن نوح، أما سبيل عمّي جعفر وولده فسبيل إخوة يوسف(عليه السلام)...

وأما أموالكم فما نقبلها إلّا لتطهروا، فمن شاء فليصل ومَن شاء فليقطع... وأما ظهور الفرج فإنه الىٰ الله تعالىٰ ذكره وكذب الوقّاتون... وأما ما وصلتنا به فلا قبول عندنا إلّا لما طاب وطهر... وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج فإن في ذلك فرجكم...»[3].

---

(١) احتجاج الطبرسي ٢: ٣١٨ ـ ٣٢٣، وعنه بحار الأنوار ٥٣: ٧/١٧٤، الخرائج ٢: ٩٠٢.

(٢) المصادر نفسها المتقدّمة.

(٣) كمال الدين: ٤٨٣ ـ ٤٨٥ / ٤، غيبة الطوسي: ٢٩٠ ـ ٢٤٧/٢٩٣.

نماذج من أدعيته وزياراته

من دعائه للمؤمنين عامة

«إلَهي بِحَقِّ مَنْ ناجاكَ، وَبِحقِّ مَنْ دَعاكَ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، تَفَضَّلْ عَلَىٰ فُقَراءِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ بالْغناءِ وَالثَّرْوَةِ، وَعَلَىٰ مَرْضَىٰ الْمُؤْمِنينَ وَالْمُؤْمِناتِ بِالشِّفاءِ وَالصِّحَّةِ، وَعَلَىٰ أحْياءِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ بِاللُّطْفِ وَالْكَرَامة، وَعَلَىٰ أَمْوَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ بِالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَعَلَىٰ غُرَباءِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ بِالرَّدِّ إِلَىٰ أَوْطانِهِمْ سَالِمِينَ غَانِمِينَ، بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ»[1].

من دعائه في قنوته

«... وأسئلُكَ باسمك الذي خلقتَ به خلقَكَ ورزقتَهم كيفَ شئتَ وكيفَ شاؤوا، يامَنْ لا يُغيّرُه الأيّام والليالي أدعُوكَ بِمَا دَعاكَ به نُوحٌ حينَ ناداكَ فأنْجَيتَهُ ومَن مَعهُ وأهلكتَ قومه، وأدعوكَ بِمَا دَعاكَ إبراهيمُ خَليلكَ حينَ ناداكَ فأنْجَيْتَهُ وَجعلتَ النّار عَليهِ بَرداً وَسَلاماً، وأدعوكَ بِمَا دَعاكَ بِه موسىٰ كَليمُكَ حينَ ناداكَ فَفَلَقْتَ لَهُ البَحرَ فَأَنْجَيْتَهُ وَبَنِي إِسْرائِيلَ، وَأَغْرَقْتَ فِرْعَونَ وَقَوْمَهُ فِي الْيَمِّ، وَأَدْعُوكَ بِما دَعاك بِهِ عِيسَىٰ رُوحُكَ حِينَ نَاداكَ، فَنَجَّيْتَهُ مِنْ أَعْدائِهِ وَإِلَيْكَ رَفَعْتَهُ، وَأَدْعُوكَ بِما دَعاكَ به حَبِيبُكَ وصَفِيُّكَ وَنَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَاستَجَبْتَ لَهُ وَمِنَ الأَحْزَابِ نَجَّيْتَهُ، وَعَلَىٰ أَعْدَائِكَ نَصَرْتَهُ، وَأَسْئَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي إِذَا دُعِيتَ بِهِ أَجَبْتَ، يا مَنْ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ، يامَنْ أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً، يا مَنْ أَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً، يا مَنْ لا تُغَيِّرُهُ الأَيَّامُ وَاللَّيالِيُّ، وَلا تَتَشابَهُ عَلَيْهِ الأَصْوَاتُ، وَلا تَخْفَىٰ عَلَيْهِ اللُّغَاتُ، وَلا يُبْرِمُهُ إِلْحَاحُ الْمُلِحِّينَ.

أَسْئَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ خَيْرَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ، فَصَلِّ عَلَيْهِمْ بِأَفْضَلِ

---

(١) مهج الدعوات للسيّد ابن طاووس: ٢٩٥ الصحيفة الهادية والتحفة المهدية للفيض الكاشاني: ٧١، المصباح، الكفعمي: ٣٠٦.

صَلَواتِكَ، وَصَلِّ عَلَىٰ جَمِيعِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ الَّذِينَ بَلَّغوا عَنكَ الْهُدَىٰ، وَعَقَدُوا لَكَ الْمَواثِيقَ بِالطَّاعَةِ، وَصَلِّ عَلَىٰ عِبادِكَ الصَّالِحِينَ، يا مَنْ لا يُخْلِفُ الْمِيعادَ أَنْجِزْ لِي ما وَعَدْتَنِي، وَاجْمَعْ لِي أَصْحابِي، وَصَبِّرْهُمْ، وَانْصُرْنِي عَلَىٰ أَعْدائِكَ وَأَعْداءِ رُسولِكَ، وَلا تُخَيِّبْ دَعْوَتِي، فَإِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، أَسِيرٌ بَيْنَ يَدَيْكَ، سَيِّدِي أَنْتَ الَّذِي مَنَنْتَ عَلَيَّ بِهٰذَا الْمَقامِ، وَتَفَضَّلْتَ بِهِ عَلَيَّ دُونَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ، أَسْئَلُكَ أَنْ تصَلِّيَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَنْ تُنْجِزَ لِي ما وَعَدْتَنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الصَّادِقُ، وَلا تُخْلِفُ الْمِيعادَ، وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»(١).

من صلواته علىٰ النبيّ(صلى الله عليه وآله)

«اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَخَاتِمِ النَّبِيِّينَ، وَحُجَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الْمُنْتَجَبِ فِي الْمِيثاقِ، الْمُصطَفَىٰ فِي الظِّلالِ، الْمُطَهَّرِ مِنْ كُلِّ آفَةٍ، الْبَرِيءِ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ، الْمُؤَمَّلِ لِلنَّجاةِ، الْمُرْتَجىٰ لِلشَّفاعَةِ، الْمُفَوَّضِ إِلَيْهِ دَينِ اللهِ...»(٢).

نماذج من زياراته

«الله أكبر الله أكبر، لا الله إلّا الله والله أكبر، ولله الحمد، الحمدُ لله الذي هدانا لهـذا، وعرّفنا أولياءَهُ وأعداءَهُ، وَوفّقنا لزيارةِ أئمتنا ولم يجعلنا من المعاندين الناصبين ولا من الغُلاةِ المفوّضين ولا من المرتابين الْمُقصِّرِينَ، السَّلامُ عَلَىٰ وَلِيِّ اللهِ وَابْنِ أَوْلِيائِهِ، السَّلامُ عَلَىٰ الْمُدَّخَرِ لِكَرَامَةِ [أَوْلِياءِ] اللهِ وَبَوَارِ أَعْدَائِهِ السَّلامُ عَلَىٰ النُّورِ الَّذِي أَرادَ أَهْلُ الْكُفْرِ إِطْفاءَهُ، فَأَبَىٰ اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ بِكُرْهِهِمْ وَأَمَدَّهُ بِالْحَياةِ حَتَّىٰ يُظْهِرَ عَلَىٰ يَدِهِ الْحَقَّ بِرَغْمِهِمْ، أَشْهَدُ أَنَّ اللهَ اصْطَفَاكَ صَغِيراً وَأَكْمَلَ لَكَ عُلُومَهُ كَبِيراً، وَأَنَّكَ حَيٌّ لا تَمُوتُ حَتّىٰ تبْطِلَ الْجِبْتَ

---

(١) مهج الدعوات : ٦٨، الصحيفة الهادية والتحفة المهدية، الفيض الكاشاني: ٤٨ ـ ٥٠.

(٢) ضمن صلوات طويلة علىٰ النبيّ وأوصيائه(عليهم السلام) ، غيبة الطوسي: ٢٧٧، الصحيفة المهدية: ٥٣، المـزار، المشهدي: ٦٦٧.

وَالطَّاغُوت.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ خُدَّامِهِ وَأَعْوَانِهِ، عَلَىٰ غَيْبَتِهِ وَنَأْيِهِ، وَاسْتُرْهُ سِتْراً عَزِيزاً وَاجْعَلْ لَهُ مَعْقِلاً حِرِيزاً وَاشْدُدِ اللَّهُمَّ وَطْأَتَكَ عَلَىٰ مُعانِدِيهِ، وَاحْرُسْ مَوَالِيهِ وَزائِرِيهِ. اللَّهُمَّ كَما جَعَلْتَ قَلْبِي بِذِكْرِهِ مَعْمُوراً، فَاجْعَلْ سِلاحِي بِنصْرَتِهِ مَشْهُوراً وَإِنْ حال بَيْنِي وَبَيْنَ لِقائِهِ الْمَوْتُ الَّذِي جَعَلْتَهُ عَلَىٰ عِبادِكَ حَتْماً مَقْضِيّاً وَأَقْدَرْتَ بِهِ عَلَىٰ خَلِيقَتِكَ رَغْماً، فَابْعَثْنِي عِنْدَ خُرُوجِهِ، ظَاهِراً مِنْ حفْرَتِي، مؤْتَزِراً كَفَنِي، حَتَّىٰ أُجَاهِدَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فِي الصَّفِّ الَّذِي أَثْنَيْتَ عَلَىٰ أَهلهِ فِي كِتابِكَ، فَقُلْتَ ﴿كَأَنَّهمْ بنْيانٌ مَرْصُوصٌ﴾.

اللَّهُمَّ طالَ الانْتِظارُ، وَشَمُتَ بِنا الْفجّارُ، وَصَعُبَ عَلَيْنا الانْتِصارُ، اللَّهُمَّ أَرِنا وَجْهَ وَلِيِّكَ الْمَيْمونَ، فِي حَياتِنا وَبَعْدَ الْمَنُونِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَدِينُ لَكَ بِالرَّجْعَةِ، بَيْنَ يَدَيْ صَاحِبِ هٰذِهِ الْبُقْعَةِ، أَلْغَوْثَ أَلْغَوْثَ، أَلْغَوْثَ، يَا صَاحِبَ الزَّمانِ، قَطَعْتُ فِي وُصْلَتِكَ الْخُلاَّنَ، وَهَجَرْتُ لِزيارتِكَ الأَوْطانَ، وَأَخْفَيْتُ أَمْرِي عَنْ أَهْلِ الْبُلْدانِ لِتَكُونَ شَفِيعاً عِنْدَ رَبِّكَ وَرَبِّي، وَإِلَىٰ آبائِكَ مَوَالِيَّ فِي حُسْنِ التَّوْفِيق، وَإِسْباغِ النِّعْمَةِ عَلَيَّ، وَسَوْقِ الإِحْسانِ إِلَيَّ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحمَّدٍ، أَصْحابِ الْحَقِّ، وَقادَةِ الْخَلْقِ، وَاستَجِبْ مِنِّي ما دَعوْتُكَ، وَأَعْطِنِي مالَمْ أَنْطقْ بِهِ فِي دُعائِي، وَمِنْ صَلاحِ دِينِي وَدُنْيايَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَصَلَّى اللهُ عَلَىٰ مُحمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ.

ثُمَّ ادْخُلِ الصَّفَّةَ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ وَقُلْ: اللَّهُمَّ عَبْدُكَ الزَّائرُ فِي فِناءِ وَلِيِّكَ الْمَزُور، الَّذِي فَرَضْتَ طاعَتَهُ عَلَىٰ الْعَبِيدِ وَالأَحْرَارِ، وَأَنْقَذْتَ بِهِ أَوْلِياءَكَ مِنْ عَذابِ النَّارِ، اللَّهُمَّ اجْعَلْها زِيارَةً مَقْبُولَةً ذاتَ دُعاءٍ مسْتَجاب مِنْ مُصَدِّقٍ بَوَلِيِّكَ غَيْرَ مُرْتابٍ، اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْهُ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ وَلا بِزِيارَتِهِ، وَلا تَقْطَعْ أَثَرِي مِنْ مَشْهَدِهِ، وَزِيارَةِ أَبِيهِ وَجَدِّهِ، اللَّهُمَّ اخْلُفْ عَلَيَّ نَفَقَتِي، وَانْفَعْنِي بِما رَزَقْتَنِي، فِي دُنْياي وَآخِرَتِي وَلإِخْوَانِيَ وَأَبَوَيَّ وَجَمِيعِ عِتْرتِي، أَسْتَوْدِعُكَ اللهَ أَيُّها الإمامُ الّذي يَفوزُ بِهِ المؤمنونَ وَيَهلِكُ علىٰ يديهِ الكافِرونَ المكذِّبونَ...»[1].

---

(١) المزار، محمّد المشهدي: ٦٥٧ ـ ٦٥٩، مصباح الزائر للسيّد ابن طاووس: ٣٢٧، الصحيفة المهدية: ١٧٩ ـ ١٨٢.

فهرس المصادر

ـ أ ـ

١ ـ **إثبات الرجعة**، أبو محمّد الفضل بن شاذان بن الخليل الأزدي المتوفى (٢٦٠هـ).

٢ ـ **إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات**، محمّد بن الحسن الحرّ العاملي المتوفى (١١٠٤ هـ) المطبوع بقم بإشراف أبي طالب التبريزي.

٣ ـ **إثبات الوصية**، عليّ بن الحسين بن عليّ المسعودي المتوفى (٣٤٦ هـ).

٤ ـ **أحاديث المهدي من مسند أحمد**، إعداد محمّد جواد الجلالي (معاصر).

٥ ـ **إحقاق الحقّ وإزهاق الباطل**، السيّد نور الله التستري الشهيد المتوفى (١٠١٩هـ) مع تعليقات للسيّد المرعشي النجفي.

٦ ـ **اختيار معرفة الرجال**، الشيخ محمّد بن الحسن الطوسي المتوفى (٤٦٠ هـ)، تحقيق: مهدي الرجائي، سنة الطبع (١٤٠٤ هـ)، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

٧ ـ **الإشاعة في أشراط الساعة**، الشيخ محمّد بن عبدالرسول البرزنجي المتوفى (١١٠٣ هـ).

٨ ـ **أُصول الدين**، محمّد حسن آل ياسين (معاصر)، نشر مؤسسة قائم آل محمّد عجل الله تعالى فرجه الشريف، قم ط الأُولى (١٤١٣ هـ).

٩ ـ **أضواء على السنّة المحمّدية**، محمود أبو ريّة المصري المتوفى (١٣٧٣ هـ)، ط الخامسة، نشر البطحاء.

١٠ ـ **إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ**، الفضل بن الحسن الطبرسي، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم المشرّفة، ط الأُولى (١٤١٧ هـ).

١١ ـ **إقبال الأعمال**، السيّد ابن طاووس المتوفى (٦٦٤ هـ)، تحقيق جواد القيومي، ط الأُولى (١٤١٤ هـ)، نشر مكتب الإعلام الإسلامي.

١٢ ـ **الإحتجاج**، الشيخ أحمد بن عليّ بن أبي طالب الطبرسي المتوفى (٥٤٨ هـ)، تعليق وملاحظات محمّد باقر الخرسان، سنة الطبع (١٣٨٦ هـ)، الناشر دار النعمان، النجف الأشرف.

١٣ ـ **الاختصاص**، الشيخ المفيد المتوفى (٤١٣ هـ)، تحقيق عليّ أكبر غفاري، محمود الزرندي، ط الثانية (١٤١٤ هـ)، نشر دار المفيد بيروت.

١٤ ـ **الإرشاد**، الشيخ المفيد المتوفى (٤١٣ هـ)، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، ط الثانية (١٤١٤ هـ)، الناشر دار المفيد، بيروت.

١٥ ـ **الاعتقادات في دين الإمامية**، الشيخ الصدوق المتوفى (٣٨١ هـ)، تحقق عصام عبدالسيّد، ط الثانية (١٤١٤ هـ)، الناشر دار المفيد، بيروت .

١٦ ـ **الأمالي**، الشيخ الصدوق المتوفى (٣٨١ هـ)، تحقيق مؤسسة البعثة، قم ط الأُولى (١٤١٧ هـ).

١٧ ـ **الإمام الصادق والمذاهب والأربعة**، أسد حيدر (معاصر).

١٨ ـ **الإمام المهدي**، عليّ محمّد علي دخيل (معاصر)، مطبعة الآداب في النجف الأشرف (١٣٨٥ هـ).

١٩ ـ **الإمام المهدي في كتب الأُمم السابقة والمسلمين**، محمّد رضا حكيمي (معاصر)، الدار الإسلامية، ط الأُولى (١٤٢٣ هـ).

٢٠ ـ **الإمامة والتبصرة**، الحسين بن عليّ بن بابويه القمي المتوفى (٣٢٩ هـ)، تحقيق مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم ط الأُولى (١٤٠٤ هـ)، الناشر مدرسة الإمام المهدي عليه السلام ، قم.

٢١ ـ **الإمامة وقائم القيامة**، الدكتور مصطفىٰ غالب (معاصر)، منشورات دار مكتبة الهلال، بيروت (١٩٨١م).

٢٢ـأنيس الأعلام في نصرة الإسلام، محمّد صادق فجر الإسلام (من علماء الأرمن اعتنق الإسلام).

٢٣ـأهل البيت في المكتبة العربية، عبدالعزيز الطباطبائي (معاصر).

٢٤ـأهل البيت في الكتاب المقدّس، أحمد الواسطي(معاصر)، ط الأُولى (١٩٩٧م).

ـ ب ـ

٢٥ـالبرهان في علامات مهدي آخر الزمان، علاء الدين عليّ بن حسام الدين الشهير بالمتّقي الهندي المتوفى (٩٧٥ هـ)، تحقيق عليّ أكبر غفاري، مطبعة الخيام، قم (١٣٩٩ هـ).

٢٦ـالبيان في أخبار صاحب الزمان، الكنجي الشافعي المتوفى (٦٥٨ هـ)، تحقيق مهدي حمد الفتلاوي، من اصدارات مركز وارث الأنبياء للتوثيق والدراسات الإسلامية، لبنان، بيروت، ط الأُولى (١٤٢١ هـ).

٢٧ـبحار الأنوار، العلّامة محمّد باقر المجلسي المتوفى (١١١١ هـ)، ط الثانية (١٤٠٣ هـ)، الناشر مؤسسة الوفاء، بيروت.

٢٨ـبحث حول المهدي، الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر استشهد (١٤٠٠هـ) ، تحقيق وتعليق، د. بعدالجبّار شرارة، مركز الغدير للدراسات الإسلاميّة، قم، ط الأُولى (١٤١٧هـ).

٢٩ـالبشارات والمقارنات (بشارات عهدين)، محمّد الصادقي، دار الكتب الإسلامية، طهران.

٣٠ـبصائر الدرجات، محمّد بن الحسن الصفّار المتوفى (٢٩٠ هـ)، تحقيق ميرزا حسن كوچه باغي، منشورات الأعلمي، طهران، سنة الطبع (١٤٠٤هـ).

ـ ت ـ

٣١ـ **تاج المواليد**، أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسي المتوفى (٥٤٨ هـ)، سنة الطبع (١٤٠٦ هـ)، الناشر مكتبة آية الله العظمىٰ المرعشي النجفي، قم.

٣٢ـ **تاريخ الخلفاء**، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى (٩١١ هـ)، الناشر مطبعة السعادة، مصر، ط الأُولى (١٣٧١ هـ)، تحقيق محمّد محيي الدين.

٣٣ـ **تاريخ الغيبة الصغرىٰ**، محمّد صادق الصدر المستشهد (١٤٢٢ هـ)، دار التعارف للمطبوعات، ط ٢ (١٤٠٠هـ).

٣٤ـ **تاريخ الغيبة الكبرىٰ**، محمّد صادق الصدر المستشهد (١٤٢٢ هـ)، نشر مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العامّة، إصفهان.

٣٥ـ **تاريخ قم**، الحسن بن محمّد بن الحسن القمّي المتوفى (٣٧٨ هـ).

٣٦ـ **تاريخ البخاري**، محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري المتوفى (٢٥٦ هـ).

٣٧ـ **تاريخ بغداد**، أبو بكر أحمد بن عليّ الخطيب البغدادي المتوفى (٤٦٣ هـ).

٣٨ـ **تبصرة الولي**، الحسين بن عليّ بن بابويه القمي المتوفى (٣٢٩ هـ).

٣٩ـ **تحف العقول عن آل الرسول**، أبو محمّد الحسن بن عليّ بن الحسين بن شعبة الحراني من علماء القرن الرابع.

٤٠ـ **تفسير الميزان**، السيّد محمّد حسين الطباطبائي المتوفى (١٤٠٢ هـ)، نشر جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدّسة.

٤١ـ **تفسير مجمع البيان**، الشيخ الطبرسي المتوفّى (٥٤٨ هـ)، مؤسسة الأعلمي بيروت سنة الطبع (١٤١٥ هـ).

٤٢ـ **التصريح بمضمون التوضيح**، الشيخ خالد عبدالله الجرجاوي الأزهري الشافعي المتوفى (٩٠٥ هـ).

٤٣ـ **تفسير الثعلبي**، أحمد بن محمّد بن إبراهيم الثعلبي المتوفى (٤٢٧ هـ).

٤٤ ـ **تفسير العياشي**، أبو النظر محمّد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي المعروف بالعياشي المتوفى (٣٢٠ هـ).
٤٥ ـ **تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)**، محمّد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفى (٦٧١ هـ).
٤٦ ـ **تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء، إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى (٧٧٤ هـ).
٤٧ ـ **التفسير الكبير (تفسير فخر الرازي)**، محمّد بن عمر (فخر الدين الرازي) المتوفى (٦٠٦ هـ).
٤٨ ـ **تقريب المعارف**، أبي الصلاح الحلبي المتوفى (٤٤٧ هـ)، تحقيق فارس الحسّون، سنة الطبع (١٤١٧ هـ)، الناشر المحقق.
٤٩ ـ **تهذيب الأحكام**، الشيخ الطوسي المتوفى (٤٦٠ هـ)، تحقيق وتعليق حسن الخرسان، ط الثالثة (١٣٦٤ ش)، الناشر دار الكتب الإسلامية، طهران.
٥٠ ـ **التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح**، محمّد بن عليّ بن محمّد الشوكاني المتوفى (١٢٥٠ هـ).

ـ ث ـ

٥١ ـ **ثواب الأعمال**، الشيخ الصدوق المتوفى (٣٨١ هـ)، تقديم محمّد مهدي الخرسان، ط الثانية (١٣٦٨ هـ)، منشورات الشريف الرضي، قم.

ـ ج ـ

٥٢ ـ **الجامع الصحيح المختصر**، محمّد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري المتوفى (٢٥٦ هـ)، الناشر دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط الثالثة (١٤٠٧ هـ)، تحقيق الدكتور مصطفىٰ ديب البغا.

٥٣ـ الجامع الصحيح سنن الترمذي، أبو عيسى محمّد بن عيسىٰ الترمذي المتوفى (٢٩٧ هـ)، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق أحمد محمّد شاكر وآخرون، الأحاديث مذيّلة بأحكام الألباني عليها.

٥٤ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمّد بن جرير الطبري أبو جعفر المتوفى (٣١٠ هـ).

- ح -

٥٥ـ الحاوي للفتاوى الحديثية، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمّد السيوطي المتوفى (٩١١ هـ).

٥٦ـ حياة الإمام العسكري، محمّد جواد الطبسي (معاصر)، نشر مكتب الإعلام الإسلامي، ط الأُولى (١٤١٣ هـ).

٥٧ـ حلية الأولياء، أبو نعيم أحمد بن عبدالله الإصفهاني المتوفى (٤٣٠ هـ).

- خ -

٥٨ـ الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي المتوفى (٥٧٣ هـ)، نشر وتحقيق مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، ط الأُولى (١٤٠٩ هـ).

٥٩ـ الخصال، الشخ الصدوق المتوفى (٣٨١ هـ)، تصحيح وتعليق علىّ أكبر الغفاري، سنة الطبع (١٤٠٣ هـ)، الناشر جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم.

- د -

٦٠ـ الدر المنثور، عبدالرحمن جلال الدين السيوطي التوفى (٩١١ هـ)، دار الفكر بيروت (١٩٩٣م).

٦١ـ **دفاع عن الكافي**، الدكتور ثامر هاشم العميدي (معاصر)، نشر مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ط الأُولى (١٤٢٥ هـ).

٦٢ـ **دلائل الإمامة**، محمّد بن جرير بن رستم الطبري (من أعلام القرن الخامس الهجري) تحقيق مؤسسة البعثة، قم، ط الأُولى (١٤١٣ هـ)، الناشر، مؤسسة البعثة.

٦٣ـ **دلائل الصدق**، محمّد حسن بن محمّد المظفر المتوفى (١٣٧٥ هـ).

ـ ذ ـ

٦٤ـ **الذريعة الى تصانيف الشيعة**، الشيخ محسن بن عليّ الدربندي المعروف باغا بزرك الطهراني المتوفى (١٣٨٩ هـ).

ـ ر ـ

٦٥ـ **رجال الكشي (اختيار معرفة الرجال)**، أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي المتوفى (٤٦٠ هـ).

٦٦ـ **رجال ابن داود**، الحسن بن عليّ بن داود الحلّي المتوفى (٦٤٧ هـ).

٦٧ـ **رسائل في الغيبة**، الشيخ المفيد المتوفى (٤١٣ هـ)، تحقيق علاء آل جعفر، الناشر دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط الثانية (١٤١٤ هـ).

٦٨ـ **رسالة الثقلين**، دار التقريب مصر.

٦٩ـ **رشفة الصادي من بحر فضائل النبيّ الهادي**، أبو بكر بن عبدالرحمن بن محمّد شهاب الدين العلوي الحضرمي المتوفى (١٣٤١ هـ)، تحقيق عليّ عاشور، منشورات محمّد عليّ بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأُولى (١٤١٨هـ).

٧٠ـ **رعاية الإمام المهدي للمراجع والعلماء الأعلام**، الشيخ كريم الجهرمي (معاصر)،

منشورات دار ياسين البيروتية.
٧١ـ**روضة الواعظين**، الفتّال النيسابوري المتوفى (٥٠٨ هـ)، تقديم محمّد مهدي الخرسان، الناشر منشورات الشريف الرضي، قم.

ـ ز ـ

٧٢ـ**الزهرة العطرة في حديث العترة**، أبو المنذر المصري.
٧٣ـ**زوال إسرائيل حتمية قرآنية**، أسعد بيوض التميمي (معاصر).

ـ س ـ

٧٤ـ**السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أُمية**، فان فلوتن ، ترجمه عن الفرنسية، د. حسن إبراهيم ومحمّد زكي، ط الثانية، مكتبة النهضة المصرية.
٧٥ـ**سفر الرؤيا**.
٧٦ـ**سنن النسائي**، أحمد بن شعيب بن عليّ بن بحر النسائي المتوفى (٣٠٣ هـ).
٧٧ـ**سنن ابن ماجة**، محمّد بن يزيد أبو عبدالله القزويني المتوفى (٢٧٥ هـ)، الناشر دار الفكر، بيروت، تحقيق وتعليق محمّد فؤاد عبدالباقي، الأحاديث مذيّلة بأحكام الألباني عليها.
٧٨ـ**سنن أبي داود**، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني المتوفى (٢٧٥ هـ)، الناشر دار الفكر، تحقيق محمّد محيي الدين عبدالحميد، والأحاديث مذيّلة بأحكام الألباني عليها.
٧٩ـ**سير أعلام النبلاء**، شمس الدين محمّد بن أحمد الذهبي المتوفى (٧٤٨ هـ)، مؤسسة الرسالة، ط الحادية عشرة (١٤١٩ هـ).

ـ ش ـ

٨٠ـ **شواهد التنزيل**، الحاكم الحسكاني المتوفى (القرن الخامس الهجري)، تحقيق محمّد باقر المحمودي، الناشر مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ـ مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ط الأُولى (١٤١١هـ).

٨١ـ **شرح أُصول الكافي**، صدر الدين محمّد بن إبراهيم الشيرازي المعروف بصدر المتألهين المتوفى (١٠٥٠ هـ).

ـ ص ـ

٨٢ـ **الصحيفة الهادية والتحفة المهدية**، إبراهيم بن المحسن الكاشاني المتوفى (١٣٤٥ هـ)، الناشر مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدّسة.

٨٣ـ **صحيفة العهد اللبنانية.**

٨٤ـ **صحيفة النور**، من آثار الإمام روح الله الموسوي الخميني قدس سره المتوفى (١٤٠٩هـ)، مؤسسة نشر آثار الإمام الخميني قدس سره.

٨٥ـ **الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة**، ابن حجر الهيتمي المتوفى (٩٧٤ هـ)، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ (١٩٩٧م)، تحقيق: عبدالرحمن التركي، وكامل الخرّاط.

٨٦ـ **صحيح ابن حبّان بترتيب ابن بلبان**، محمّد بن حبّان أبو حاتم التميمي البستي المتوفى (٣٥٤ هـ)، الناشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثانية (١٤١٤ هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، الأحاديث مذيّلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها.

٨٧ـ **صحيح مسلم**، أبو الحسين مسلم بن الحجّاج القشيري النيسابوري المتوفى (٢٦١ هـ)، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق فؤاد عبدالباقي.

- ع -

٨٨ـ **العقيدة والشريعة في الإسلام**، المستشرق أجناس جولدتسيهر، ط الثانيه، دار الكتب الحديثة بمصر، ومكتبة المثنى بغداد، نقله الى العربية الدكتور محمّد يوسف، والدكتور عليّ حسن، والأُستاذ عبدالعزيز عبدالحقّ.

٨٩ـ **عقد الدرر في أخبار المنتظر**، يوسف بن يحيىٰ المقدسي الشافعي (من علماء القرن السابع)، دار الكتب العلمية / بيروت، ط ١ (١٤١٨ هـ).

٩٠ـ **عقيدة المسيح الدجّال**، سعيد أيوب (معاصر)، دار البيان للطباعة والنشر، قم، ط الثالثة (١٤١٣ هـ).

٩١ـ **عقيدة أهل السنّة والأثر في المهدي المنتظر**، عبدالمحسن بن حمد العباد (معاصر)، مكتبة السنّة، ط ١ (١٤١٦ هـ)، القاهرة.

٩٢ـ **علل الشرائع**، الشيخ الصدوق المتوفى (٣٨١ هـ)، تقديم محمّد صادق بحر العلوم، سنة الطبع (١٣٨٥ هـ)، الناشر المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف.

٩٣ـ **عيون أخبار الرضا عليه السلام**، الشيخ الصدوق المتوفى (٣٨١ هـ)، تصحيح وتعليق حسين الأعلمي، سنة الطبع (١٤٠٤ هـ)، الناشر مؤسسة الأعلمي، بيروت.

- غ -

٩٤ـ **الغيبة**، الشيخ الطوسي المتوفى (٤٦٠ هـ)، تحقيق الشيخ عباد الله الطهراني، الشيخ عليّ أحمد ناصح، الناشر مؤسسة المعارف الإسلامه، قم المقدّسة، ط الأُولى (١٤١١ هـ).

- ف -

٩٥ـ **الفتن (الملاحم والفتن)**، أبو عبدالله نعيم بن حمّاد المروزي المتوفى (٢٢٩هـ).

٩٦ـ **فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين**، إبراهيم بن محمّد بن أبي بكر بن محمّد حمويه الجويني الشافعي المتوفى (٧٢٢ هـ).

٩٧ـ **الفصول العشرة في الغيبة**، محمّد بن النعمان المفيد المتوفى (٤١٣ هـ)، تحقيق فارس الحسّون، نشر دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت، ط الثانية (١٤١٤ هـ).

٩٨ـ **الفصول المختارة**، محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد المتوفى (٤١٣ هـ)، تحقيق نور الدين الإصبهاني، يعقوب الجعفري، محسن أحمدي، ط الثانية (١٤١٤ هـ)، الناشر دار المفيد، بيروت.

٩٩ـ **الفصول المهمّة في معرفة الأئمة**، ابن الصبّاغ المتوفى (٨٥٥ هـ)، تحقيق سامي الغريري، ط الأُولى (١٤٢٢ هـ)، الناشر دار الحديث للطباعة والنشر.

١٠٠ـ **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**، أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني المتوفى (٨٥٢ هـ)، الناشر دار المعرفة، بيروت (١٣٧٩ هـ).

١٠١ـ **فلاح السائل**، السيّد عليّ بن موسى ابن طاووس المتوفى (٦٦٤ هـ).

ـ ق ـ

١٠٢ـ **القول المختصر في علامات المهدي المنتظر**، أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن حجر المكي الهيتمي المتوفى (٩٧٤ هـ)، تحقيق مصطفى عاشور، نشر مكتبة القرآن، القاهرة.

١٠٣ـ **قرب الإسناد**، الحميري القمّي المتوفى (٣٠٠ هـ)، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط الأُولى (١٤١٣ هـ)، الناشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام.

ـ ك ـ

١٠٤ـ **الكافي**، أبو جعفر محمّد بن يعقوب الكليني المتوفى (٣٢٩ هـ).

١٠٥ ـ **الكتاب المقدّس تحت المجهر**، عودة مهاوش أبو محمّد الأُردني (معاصر)، مؤسسة أنصاريان، قم، ط الأُولى (١٤١٢ هـ).
١٠٦ ـ **الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل**، الزمخشري المتوفى (٥٣٨ هـ)، نشر مكتبة الحلبي، مصر، طبع سنة (١٣٨٥ هـ).
١٠٧ ـ **كتاب الغيبة**، محمّد بن إبراهيم النعماني المتوفى (٣٨٠ هـ)، تحقيق فارس حسون كريم، ط الأُولى (١٤٢٢ هـ)، الناشر أنوار الهدىٰ.
١٠٨ ـ **كشف الأستار عن وجه الغائب عن الأبصار**، الميرزا حسين بن محمّد تقي النوري الطبرسي المتوفى (١٣٢٠ هـ)، اصدار مكتبة نينوىٰ الحديثة، طهران، ط الثانية (١٤٠٠ هـ).
١٠٩ ـ **كشف المحجّة لثمرة المهجة**، السيّد ابن طاووس المتوفى (٦٦٤ هـ)، الناشر المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف (١٣٧٠ هـ).
١١٠ ـ **كشف الحقّ**، السيّد محمّد صادق بن محمّد رضا الخاتون آبادي الإصفهاني المتوفى (١٢٧٢ هـ).
١١١ ـ **كشف الغمة**، أبو الحسن عليّ بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي المتوفى (٦٩٣هـ).
١١٢ ـ **كفاية الأثر**، محمّد بن عليّ الخزاز القمّي المتوفى (٤٠٠ هـ)، تحقيق عبداللطيف الكوهكمري سنة الطبع (١٤٠١ هـ)، انتشارات بيدار.
١١٣ ـ **كمال الدين وتمام النعمة**، الشيخ الصدوق المتوفى (٣٨١ هـ)، تحقيق عليّ أكبر غفاري، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، سنة الطبع محرّم الحرام (١٤٠٥ هـ).
١١٤ ـ **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، عليّ بن حسام الدين المتقي الهندي المتوفى (٩٧٥ هـ)، الناشر مؤسسة الرسالة، بيروت (١٩٨٩م).

١١٥ ـ **كنز الفوائد**، أبو الفتح محمّد بن عليّ الكراجكي المتوفى (٤٤٩ هـ)، دار الأضواء، بيروت (١٤٠٥ هـ)، حقّقه وعلّق عليه الشيخ عبدالله نعمة.

ـ ل ـ

١١٦ ـ **لوائح الأنوار البهية**، محمّد بن أحمد بن سالم بن سليمان السقاريني المتوفى (١١٨٨ هـ).

ـ م ـ

١١٧ ـ **المجتبىٰ من السنن**، أحمد بن شعيب أبو عبدالرحمن النسائي المتوفى (٣٠٣هـ)، الناشر مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط الثانية (١٤٠٦ هـ)، تحقيق عبدالفتاح أبوغدة، الأحاديث مذيّلة بأحكام الألباني عليها.

١١٨ ـ **المحاسن**، أحمد بن محمّد بن خالد البرقي المتوفى (٢٧٤ هـ)، تصحيح وتعليق جلال الدين الحسيني، سنة الطبع (١٣٧٠ هـ)، الناشر دار الكتب الإسلامية، طهران.

١١٩ ـ **المزار الكبير**، محمّد بن المشهدي المتوفى (٦١٠ هـ)، تحقيق جواد القيّومي، ط ١ (١٤١٩ هـ)، الناشر: نشر القيّوم، قم.

١٢٠ ـ **المسائل العشرة في الغيبة**، الشيخ المفيد المتوفى (٤١٣ هـ)، تحقيق فارس تبريزيان الحسّون، الناشر مركز الأبحاث العقائدية ـ قم.

١٢١ ـ **المستدرك على الصحيحين**، أبو عبدالله محمّد بن عبدالله الحاكم النيسابوري المتوفى (٤٠٥ هـ)، تحقيق مصطفىٰ عبدالقادر عطا، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأُولى (١٤١١ هـ).

١٢٢ ـ **مشكل الآثار**، أبو جعفر محمّد بن أحمد الأزدي الطحاوي المتوفى (٣٢٢هـ).

١٢٣ ـ **المصباح**، تقي الدين إبراهيم الكفعمي المتوفى (٩٠٥ هـ)، ط الثالثة (١٤٠٣هـ)، مؤسسة الأعلمي، بيروت.

١٢٤ ـ **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، الرافعي أحمد بن محمّد الفيومي الناشر، المكتبة العلمية، بيروت.

١٢٥ ـ **المصنف**، أبو بكر عبدالرزّاق بن همام الصنعاني المتوفى (٢١١ هـ)، الناشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثانية (١٤٠٣ هـ)، تحقيق حبيب الرحمٰن الأعظمي.

١٢٦ ـ **المعجم الأوسط**، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني المتوفى (٣٦٠ هـ)، الناشر دار الحرمين، القاهرة (١٤١٥ هـ)، تحقيق طارق بن عوض، عبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني.

١٢٧ ـ **المعجم الكبير**، سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني المتوفى (٣٦٠ هـ)، الناشر مكتبه العلوم والحكم، الموصل، ط الثانية (١٤٠٤ هـ)، تحقيق حمدي بن عبدالمجيد السلفي.

١٢٨ ـ **المقنع في الغيبة**، عليّ بن الحسين الموسوي الشريف المرتضى المتوفى (٤٣٦ هـ)، تحقيق محمّد عليّ الحكيم، الناشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت، ط الأُولى (١٤١٦ هـ).

١٢٩ ـ **الملاحم والفتن**، السيّد ابن طاووس المتوفى (٦٦٤ هـ)، ط الأُولى (١٤١٦ هـ)، الناشر مؤسسة صاحب الأمر عليه السلام.

١٣٠ ـ **المهدي المنتظر في الفكر الإسلامي**، ثامر العميدي (معاصر).

١٣١ ـ **المهدي الموعود ودفع الشبهات عنه**، عبدالرضا الشهرستاني (معاصر).

١٣٢ ـ **المهدي المنتظر بين التصوّر والتصديق**، محمّد حسن آل ياسين (معاصر)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ط الثالثة (١٣٩٨ هـ).

١٣٣ ـ **المهدي المنتظر بين الدين والفكر البشري**، د. محمّد طي، نشر الغدير للدراسات

والنشر، بيروت، ط الأُولىٰ (١٤٢٠ هـ).

١٣٤ ـ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، نور الدين عليّ بن أبي بكر الهيثمي المتوفى (٨٠٧ هـ)، الناشر دار الفكر، بيروت (١٤١٢ هـ).

١٣٥ ـ **مروج الذهب**، أبو الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ المسعودي المتوفى (٣٤٦ هـ).

١٣٦ ـ **مسند أبي داود الطيالسي**، سليمان بن داود أبو داود الطيالسي المتوفى (٢٠٤هـ) الناشر، دار المعرفة بيروت.

١٣٧ ـ **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني المتوفى (٢٤١هـ)، الناشر مؤسسة قرطبة ـ القاهرة، الأحاديث المذيّلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها.

١٣٨ ـ **مسند الشهاب**، القاضي أبي عبدالله محمّد بن سلامة القضاعي المتوفى (٤٥٤هـ).

١٣٩ ـ **مصباح المتهجد**، الشيخ الطوسي المتوفى (٤٦٠ هـ)، ط الأُولى (١٤١١ هـ)، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت.

١٤٠ ـ **مطالب السؤول في مناقب آل الرسول**، كمال الدين محمّد بن طلحة الشافعي المتوفى (٦٥٢ هـ)، تحقيق ماجد العطية.

١٤١ ـ **معادن الحكمة**، محمّد بن محسن الفيض الكاشاني المشتهر بعلم الهدى (معاصر).

١٤٢ ـ **معاني الأخبار**، أبو جعفر محمّد بن الحسين بن علىّ الصدوق المتوفى (٣٨١هـ).

١٤٣ ـ **مع الدكتور أحمد أمين في حديث المهدي والمهدوية**، محمّد أمين زين الدين، مؤسسة النعمان للطباعة والنشر، بيروت (١٤١٣ هـ).

١٤٤ ـ **معجم أحاديث الإمام المهدي** عليه‌السلام ، عليّ الكوراني العاملي (معاصر)، تحقيق

واشـراف علـيّ الكـوراني العـاملي، ط الأُولى (١٤١١ هـ)، النـاشر مـؤسسة المعارف الإسلامية، قم.
١٤٥ ـ **مكيال المكارم**، محمّد تقي الإصفهاني المتوفى (١٣٤٨ هـ)، تحقيق عليّ عاشور، ط الأُولى (١٤٢١ هـ)، الناشر مؤسسة الأعلمي، بيروت.
١٤٦ ـ **مفاتيح الأُصول**، السيّد محمّد بن عليّ الطباطبائي المتوفى (١٢٤٢ هـ).
١٤٧ ـ **مفتاح باب الأبواب**، محمّد مهدي بن محمّد تقي خان (١٣٣٣ هـ).
١٤٨ ـ **مناقب آل أبي طالب**، ابن شهر آشوب المتوفى (٥٥٨ هـ)، تحقيق لجنة من أساتذة النجف الأشرف، طبع (١٣٧٦ هـ)، النجف الأشرف.
١٤٩ ـ **منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر**، لطف الله الصافي (معاصر)، نشر مؤسسة السيّدة المعصومة عليها السلام، قم، ايران، ط الأُولى ١٥ شبعان (١٤١٩ هـ).
١٥٠ ـ **منع تدوين الحديث**، السيّد عليّ الشهرستاني (معاصر).

ـ ن ـ

١٥١ ـ **النجم الثاقب في أحوال الحجّة الغائب**، حسين الطبرسي النـوري المـتوفى (١٣٢٠ هـ)، ترجمة وتحقيق السيّد ياسين الموسوي، نشر أنـوار الهـدىٰ، ط الأُولى (١٤١٥ هـ)، قم المقدّسة.
١٥٢ ـ **نظم المتناثر من الحديث المتواتر**، محمّد بن أبي الفـيض الكـتّاني المـغربي الإدريسـي المـتوفى (١٩٢٧م)، دار الكـتب العـلمية، بـيروت، ط الثـانية (١٤٠٧هـ).
١٥٣ ـ **النهضة والثورة المهدية**، الشيخ مرتضىٰ مطهري المتوفى (١٣٩٩ هـ).

ـ ي ـ

١٥٤ ـ **ينابيع المودّة لذوي القربىٰ**، القندوزي الحنفي المتوفى (١٢٩٤ هـ)، تحقيق سيد عليّ جمال أشرف الحسيني، الناشر دار الأُسوة، ط الأُولى (١٤١٦ هـ).

الفهرس التفصيلي

الباب الأوّل

الباب الثاني

الباب الثالث

الباب الرابع

الباب الخامس